الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية — كلية أصول الدين

–قسنطينة– — قسم: الكتاب والسنّة

رقم التسجيل /

الرقم التسلسلي /

الحوار حقيقته وأثره التربويّ في ضوء السنةّ النّبوية

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالبة: رزيقة قريوي

إشراف الدكتور: حسان موهوبي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الاصلية	الصفة
أ.د.نصر سليمان	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر	رئيسا
أ.د.حسان موهوبي	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر	مشرفا ومقررا
د.حميد قوفي	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا
د.نور الدين سكحال	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا

السنة الجامعية : 1434-1435 هـ/ 2013-2014 م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر و تقدير

اعترافا بالنّعمة والجميل يتوجّب عليّ أن أشكر أولّا الله عزوجل أن أعانني على إتمام هذا البحث ، كما يتوجب عليّ أيضا أن أتقدم بجزيل الشّكر ووافر التّقدير والعرفان إلى كل من ساعدني على إنجاز هذا العمل وعلى رأس ذلك:

أستاذي الفاضل الدكتور: حسّان موهوبي المشرف على إعداد هذا البحث والذي كان لي الناصح الأمين والذي صبر على قراءة هذا البحث وعلى تصحيح أخطائه المختلفة فجزاه الله عنّي خير الجزاء.

اللّجنة الموقرة : التي تحمّلت عناء قراءة هذه الرّسالة ، وبذلت جهدها في تصحيح وتصويب ما كان فيها من أخطاء.

أساتذتي المحترمون: صالح عومار الذي هو الآخر تكفّل بقراءة جزء كبير من هذا البحث مع كثرة انشغالاته واهتماماته ، فأحسن إليّ بنصائحه القيّمة وتوجيهاته الدّقيقة.

الأستاذ الدكتور: عبد الحميد قوفي ، الذي أفادني أيضا بتوجيهاته القيّمة في اختيار موضوع هذا البحث.

الأستاذة الدكتورة: حكيمة حفيظي والأستاذة الدكتورة: فتيحة بوشعالة هذه الأخيرة التي شجّعتني على إتمام هذا البحث فكانت بجانبي في بداية هذا المشروع واختيار موضوعه القيّم.

عمّال المكتبة وعلى رأسهم الأخت: نجاة.

إلى من تحمّلوا عناء طبع هذه الرّسالة: سميرة، نجاة، فيروز، كلثوم، وردة.

وفي الأخير لا أنسى أن اشكر أسرتي التي تحمّلتني طيلة إعداد هذا البحث وتحمّلت تقصيري اّتجاههم وعلى رأسهم أختي الصغيرة: أحلام.

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-توطئة:

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات ، أنعم علينا بمحمّد صلّى الله عليه وسلّم هاديا ومبشّرا ونذيرا وداعيا إليه بإذنه وسراجا منيرا ؛ فكان نبراسا للحقّ ورحمة للعالمين ، وخير ما يوصف به أنّه كان قرآنا يمشي على الأرض مجسّدا لأحكام ربّه وأوامره ، فكان أن جسّد قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ **النحل:** ١٢٥ حتّى وصفه القرآن الكريم بأحسن وصف في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ **القلم:** ٤

هذا الرّسول صلّى الله عليه وسلّم لم يدع كبيرا ولا صغيرا رجلا أو امرأة مسلما أم كافرا إلّا وسلك معه الحوار في سبيل الإقناع والتّدرّج معه في الدّعوة ليصل بهؤلاء جميعا إلى برّ الأمان ، إذ لم تكن له في ذلك مصلحة شخصيّة يرجوها من هؤلاء ، إنّما كان همّه أن يخرج النّاس من الظّلمات إلى النّور بإذن ربه ، وهكذا لينعموا بعدها بالسّعادة الأبديّة في الآخرة.

كما أنّه لم تمنعه صلّى الله عليه وسلّم الدّعوة إلى الله تعالى بأن يفتح باب الحوار والحديث مع زوجاته ونسائه ونساء المسلمين ليعلّمهم أمور دينهم ، ولم يمنعه أذى المشركين أن يمنحهم فرصة الحوار معه ، فكان أن قال لعتبة بن ربيعة: "قل يا أبا الوليد أسمع "، يلتقي بصبيّ قد فقد عصفوره فيسأله عنه "ما فعل النغير يا أبا عمير؟" ، تدعوه النّسوة ليجعل لهنّ يوما يلتقين فيه معه فيفتح لهنّ المجال لتعلّم أمور دينهنّ ، وإثارة روح السؤال لديهنّ ، يأتيه الأنصار ليعترضوا على قسمة الغنائم فيردّهم بعد أن وهّج في نفوسهم الإيمان وقد اخضلّت لحاهم بالدموع ، يأتيه الشّاب يستأذنه في الزّنا فيرجع بعد أن وضع يده الشريفة على صدره وحاوره بأن سكنت نفسه ورجع إلى رشده ، يزور شابّا يهوديا عند موته فيحاوره ليقنعه بعد ذلك بالإسلام ، وهكذا ليموت الشّاب على كلمة لا إله إلّا الله ، فيحمد ربّه أن أنقذه الله به من النّار...

بهذا الأسلوب النّبويّ الرّشيد استطاع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أن يربي ذلك الجيل ليصبح بعدها أفضل جيل على مرّ العصور.

2- حدود البحث : تتجلّى حدود هذا البحث في النّواحي التّالية :

الحوار كأسلوب تربويّ في التّعامل مع الآخر ، وحقيقته المنهجيّة في ذلك مع الأثر التّربويّ

والسلوك الشرعيّ ، وكلّ ذلك في ضوء نصوص السنّة الشريفة ، وباعتبار الهدي النّبوي قـــدوة وأسوة حسنة .

3-أهمّية البحث : تكمن أهمّية هذا الموضوع في:

أ- محاولة جادّة لربط الواقع بالسنّة النّبويّة .

بـــ - تسليط الضّوء على أسلوب من أساليب الدّعوة والتّربية ألا وهو الحوار ، هذا الأخير الذي لم نعد نلمسه لدى المسلمين في بيوتهم مع أهليهم ، أو خارج بيوتهم وذلك في إطـــار الدّعوة والتّربية.

جـــ - الوقوف على مبادئ ومعالم هادية في حياة المسلم ، من خلال لفـــت الأنظـــار إلى هدي النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في التّعامل مع غيره ، على اختلاف شرائحهم والتّحاور معهـــم وكيف انعكس ذلك.

4-أسباب اختيار الموضوع ودوافعه: هناك جملة من الأسباب دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع منها:

أ- رغبتي الشّديدة في تقديم دراسة تربويّة حول السنّة النّبوية ، وذلك في محاولة لبيان هذا الكنز العظيم الذي غفل عنه الكثير من المسلمين.

بـــــ - لما نرى من غياب الحوار داخل الأسرة المسلمة ، هذا الغيـــاب الـــذي أدّى إلى انتشار الفساد الأخلاقي بشكل فضيع ، والذي مسّ بقدر كبير فئة الشّباب.

جـــ - لما نرى من غياب الحوار بين الزّوجين ، حيث أدّى إلى انتشار الطلاق في المجتمـــع المسلم.

دـــ - أهمّية موضوع الحوار وخاصّة في مجال التّربيّة ، لأنّه يعتبر أسلوبا ناجحا في التّربيّـــة والدّعوة إلى الله تعالى.

لهذه الأسباب وغيرها ارتأيت أن أقف على مفهوم الحوار النّبويّ ، وكيف مارســـه صلّى الله عليه وسلّم في حياته الشريفة ، وكيف أتى ذلك أكله ، ثم أقدّمه لأهل العلم خاصّة والنّاس عامة ، علّه يكون نبراسا يهتدون به وميزانا في حسناتنا.

5- إشكالية البحث: تنطلق فكرة هذا البحث من جملة من هذه التّساؤلات التي يطرحها واقعنا وتحتاج إلى بحث واستقصاء وجواب علميّ ومنهجيّ ، وهذه التساؤلات هي:

أ- هل الحوار كأسلوب تربويّ من الأساليب النّبويّة التربوية في تبليغ الرسالة.

بـ - هل هناك مواقف نبويّة تجيد الحوار كأسلوب من أساليب التّربيّة.

تـ - ماهي الآداب والضّوابط التي تراعى أثناء الحوار حتى يتّسم هذا الأخير بالنّجاح.

ثـ - مامدى تأثير الحوار على نجاح العمليّة الدّعويّة والتّربويّة.

جـ - ما هي أهمّ الآثار التّربويّة للحوار.

6- أهداف الدّراسة : الهدف الأوّل من هذه الدراسة هو عبادة الله تعالى وذلك بإحياء سنّة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ، وهناك جملة من الأهداف المرجوّة من ذلك منها:

أ- السّعي إلى تهذيب سلوك المسلمين أفرادا أو جماعات باتّباع هدي النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في هذا المجال.

بـ - محاولة الوقوف على أسلوب الحوار كأسلوب تربويّ في السنّة النّبويّة ، وكيف كانت حقيقته في الواقع .

جـ - محاولة لإثراء البحث العلميّ الأكاديميّ في مجال الحديث الموضوعي.

د - أرمي إلى نظرة جديدة لفهم السنّة النّبويّة ، لإصلاح حال المسلمين في عصرنا هذا وهو هدف أيّ دراسة موضوعيّة في السنّة النّبويّة .

هـ - محاولة جادّة لإبراز كيفية تجسيد الحوار في حياة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

7- الدّراسات السّابقة: أثناء بحثي حول هذا الموضوع وتقصّي آثاره وقفت على جملة من الدّراسات القريبة منه وهي:

أ- فقه الحوار مع المخالف في السنّة النّبويّة: عبد الله الموصلي، إلّا أنّ كاتبه اقتصر على ذكر الحوار الواقع مع المخالف دون غيره ، بيد أنّ بحثي ضمّنته الحوار مع المخالف المسلم وغير المسلم ، ضف إلى ذلك ما تعرّضت إليه في الفصل الأخير من ذكر الآثار التّربويّة للحوار في ضوء السنّة النّبويّة.

بـــ – فقه الحوار في ضوء السنّة النّبويّة لأحمد عبده عوض ، حيث تناول الحوار عموما دون أن يتطرّق هو الآخر إلى ذكر الآداب والضّوابط ، وكذا الآثار التّربويّة للحوار في الســـنّة النّبويّة.

جـــ – التّربية بالحوار: عبد الرّحمن النّحلاوي ، هذا الذي تناول فيه بعض الجوانب التّربويّة للحوار.

د – الحوار لغة القرآن والسنّة لإبراهيم أحمد الوقفي، حيث أكّد من خلاله أنّ الحوار لغـــة القرآن والسنّة وذلك بعرض بعض الآيات والأحاديث التي تثبت ذلك .

هـــ – الحوار آدابه وضوابطه في ضوء القرآن والسنّة : يحيى محمّد زمزمي ، حيث ركّز فيه على ذكر أهمّ الآداب والضّوابط التي تراعى أثناء الحوار النّاجح وذلك وفق ثلاث معـــايير : نفســـية وعلمية ولفظية ، وهو نفس التّقسيم الذي اعتمدته في الفصل الثاني من بحثي هذا.

و – الحوار في السّيرة النّبويّة : السيّد علي الخضر ، حيث تطرّق إلى ذكر المواقف الحواريـــة في السيرة النّبويّة ، بالإضافة إلى ذكر أهمّ الآداب التي لابدّ وأن تراعى أثناء الحوار ، مدلّلا على ذلك بمواقف من السّيرة النّبويّة .

ي – الحوار في السيرة النّبويّة : محمّد إبراهيم الحمد ، حيث تضمّن تقريبا نفس العناصـــر الـــتي تضمّنها المرجع السّابق ، مع إضافة المبحث الذي تناول الحوار مع النساء والشّباب والأطفال.

8- صعوبات البحث: وككلّ بحث علمي لا يخلو من الصّعوبات فقد واجهتني صعوبات كثيرة وأهمّها:

أ- قلّة المراجع في ميدان الدّراسات الموضوعيّة في الحديث النّبويّ الشّريف ، حيث لا توجد كتب مؤلفة في هذا الموضوع ، بل كان عليّ الاجتهاد في التّنقيب على عناصر البحث في بطون الكثير من الكتب والمؤلفات.

بـــ – تشعّب البحث وذلك أنّ الكثير من قام بالبحث فيه كانت طبيعة بحثه عامّة ، غـــير أنّي حاولت قدر المستطاع أن أحصر فيه النّقاط المهمّة والأساسية.

جـــ – لم يقتصر البحث على كتب في مجال واحد بل تعدّى إلى كتب في عدّة مجالات .

9- المنهجيّة المّتبعة في الدّراسة وطبيعة العمل: إنّ طبيعة البحث تقتضي الاعتماد على المناهج المناسبة لمثل هذه الدّراسة وهي : المنهج الاستقرائي ، وذلك باستقراء الأحاديث الواردة في الحوار وذلك بجمعها من مصادرها ومظّانها ، ومحاولة إدراجها تحت العنوان المناسب لها في البحث وتخريجها التخريج العلمي ، ثمّ المنهج التحليلي والقائم على تحليل النّصوص الحديثيّة الواردة وشرحها ، أمّا ما يخص طبيعة عملي فهي كالتالي:

أ- فيما يخص تخريج الأحاديث فقد قمت بإيراد الأحاديث التي هي في دائرة المقبول وأشير إلى مصادرها في الهوامش ، وذلك بذكر المؤلف ثم المصدر ثم الكتاب والباب ثمّ ذكر رقم الحديث دون ذكر الجزء والصّفحة .

بـــ - إذا لم يكن الحديث في أحدّ الصحيحين ، فإنّي أقوم بذكر درجته اعتمادا على أقوال علماء التّخريج في ذلك .

جـ - فيما يخصّ تراجم الأعلام : لم أترجم للصّحابة والتّابعين وكذا البخاري ومسلم .

د- أقوم بذكر المعلومات الخاصّة بالكتاب وأكتفي بذلك عند أوّل ذكره ، أمّا فيما يخص مصادر السنّة فقد أجّلت ذكرها تحت فهرس المصادر والمراجع.

هـ - فيما يخصّ الفهارس فقد رتّبتها ترتيبا ألفبائيا ، غير أنّ فهرس الآيات فقمت بترتيبها حسب ورودها في المصحف.

10- أهمّ المصادر والمراجع : اعتمدت في هذا البحث على العديد من المصادر والمراجع أذكر أهمّها:

- كتب السنّة كالصحيحين والسنن.....الخ.
- شروح السنّة وأهمّها: فتح الباري على شرح البخاري لابن حجر العسقلاني وشرح النّووي على مسلم وشرح ابن بطال أيضا على البخاري.
- كتب في الحوار وأهمّها: الحوار مع المخالف في ضوء السنّة النّبويّة : عبد الله الموصلي ، وفقه الحوار في ضوء السنّة النّبويّة لأحمد عبده عوض.....الخ.
- كتب في التّربيّة وأهمّها: التّربيّة ودورها في تشكيل السّلوك لمصطفى الطحّان ، التّربيّة بالحوار لعبد الرّحمن النّحلاوي...الخ.

الخطّة الإجمالية

حيث قسّمت هذا البحث إلى مقدّمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول .

فصل تمهيدي :

المبحث الأول : مفهوم الحوار

المبحث الثاني : أنواع الحوار

المبحث الثالث : القيمة الحضاريّة للحوار في القرآن الكريم

الفصل الأول : مظاهر الحوار في السنّة النّبويّة

المبحث الأول : الحوار مع المسلم المخالف

المطلب الأول : الحوار بين العلماء

المطلب الثاني : الحوار في مجال التعلّم

المطلب الثالث : الحوار مع العوام

المطلب الرابع : الحوار في الفتن والنوازل

المطلب الخامس : الحوار في باب السياسة الشّرعيّة

المبحث الثاني : الحوار مع غير المسلم

المطلب الأول : الحوار مع اليهود

المطلب الثاني : الحوار مع النّصارى

المطلب الثالث : الحوار مع المنافقين

المطلب الرابع : الحوار مع المشركين

المبحث الثالث : الحوار مع المسلم غير المخالف

المطلب الأول : الحوار مع النّساء عموما

المطلب الثاني : الحوار مع أمّهات المؤمنين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث : الحوار مع الشّباب

المطلب الرابع : الحوار النّبوي مع الأطفال

الفصل الثاني : آداب وضوابط الحوار في السنّة النّبويّة

المبحث الأول : الآداب النّفسية للحوار

المطلب الأول : التّجرّد في طلب الحقّ

المطلب الثاني : مراقبة النّفس أثناء الحوار

المطلب الثالث : عدم اتّهام النّيات

المبحث الثاني : الآداب العلميّة للحوار

المطلب الأوّل : الحذر من الجدال

المطلب الثاني : البدء بالأهمّ في عرض الموضوعات

المطلب الثالث : الالتزام بالموضوعيّة أثناء الحوار

المبحث الثالث : آداب متعلّقة بجوّ الحوار

المطلب الأوّل : ملاءمة الزّمان

المطلب الثاني : ملاءمة المكان

المطلب الثالث : ملاءمة الموضوع وطريقة طرحه

الفصل الثالث : الأثر التّربويّ للحوار في ضوء السنّة النّبويّة

المبحث الأول : الآثار الوجدانيّة والعاطفيّة

المطلب الأول : محبّة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم

المطلب الثاني : كسب القلوب وتغليب الرّوح الإنسانيّة على الماديّة

المطلب الثالث : نشر المحبّة بين النّاس

المطلب الرابع : إشاعة الأمن والرّاحة والطّمأنينة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني : الحوار في الإقناع وتصويب الخطأ

المطلب الأول : الدّخول في الإسلام

المطلب الثاني : التّقليل من شأن الدّنيا في النّفوس

المطلب الثالث : تهذيب الأخلاق والرّجوع عن المعصيّة

المطلب الرابع : التّجاوب والعطاء

المطلب الخامس : تصويب الخطأ

المبحث الثالث : الآثار المعرفيّة والتّوضيحيّة

المطلب الأول : ترسيخ العلم والإيمان

المطلب الثاني : كشف الحقائق عن كثير من المسائل

المطلب الثالث : ترسيخ المعاني الرّبانيّة في النّفوس

و في الأخير ذكرت خاتمة هذا البحث أجملت فيها أهمّ النّتائج التي توصّلت إليها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل التّمهيدي:

المبحث الأوّل: مفهوم الحوار

المبحث الثّاني: أنواع الحوار

المبحث الثّالث: القيمة الحضاريّة للحوار في القرآن الكريم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأوّل: مفهوم الحوار

الحوار لغة: الحاء والواو والرّاء ثلاثة أصول: أحدها: اللون، والآخر: الرجوع، والثّالث: أن يدور الشيء دورا [1]، والحوار مشتق من الحَوْر: وهو الرّجوع عن الشّيء إلى شيء آخر.[2]
وفي الحديث:" من دعا رجلا بالكفر وليس كذلك حار عليه "[3]، أي رجع إليه ما نسب إليه، والحور: النّقصان بعد الزيادة، لأنّه رجوع من حال إلى حال [4]، وفي الحديث: " نعوذ بالله من الحور إلى الكور[5] " [6] وأحار إليه جوابه: ردّه، وأحرت له جوابا وما أحار بكلمة.[7]

والاسم من المحاورة وهي المجاوبة ومراجعة النّطق، والكلام في المخاطبة، وقد حاوره وتحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم، يتراوحون ويتحاورون [8]، واستحاره: استنطقه، والتّحاور: التّجاوب، تقول كلّمته فما أحار إليّ جوابا، وما وقع إليّ حويرا ولا حوارا: أي ما ردّ إليّ جوابا. [9]

ومن مشتقّات الحوار أيضا الأحور: وهو العقل الصافي، يقال: ما يعيش بأحور: أي بعقل صاف، ولذلك قال أحدهم:

جلبن عليك الشّوق من كلّ مجلب بعيد و لم يتركن للمرء أحورا [10]

فالحوار في اللّغة يأتي بمعان عديدة منها: ــ المجاوبة من: ما رجع إليّ حويرا ولا حوارا:أي ما ردّ جوابا.

---

[1] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تــ:عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،، 1399هــ/ 1979م، ج2، ص155.
[2] ابن منظور، لسان العرب، تــ: عامر حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، مج3، ص 205.
[3] مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر، رقم: 61.
[4] ابن منظور، لسان العرب، مج3، ص 205.
[5] الكور: من تكوير العمامة وهو لفها وجمعها وهي بمعنى أنّه كان على حالة جميلة، فحار عن ذلك أي رجع، أنظر النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين المبارك ابن الأثير، ت: محمد عاشور، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1422هـ، ج4، ص1243، وغريب الحديث لأبي عبيدة القاسم بن سلام الهروي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1396هـ ط1، ج1، ص62.
[6] مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب الذكر إذا ركب دابته متوجها لسفر حج...، رقم: 1342.
[7] ابن منظور، لسان العرب، مج3، ص205.
[8] سيّد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تــ: عبد المنعم إبراهيم، كريم محمد محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،1427هـ / 2007مـ، مج6، ج11، ص57.
[9] ابن منظور، لسان العرب، مج3، ص205.
[10] محمود الزمخشري، أساس البلاغة، تــ: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، ص99.

ــ المراجعة في النطق من أحار إذا رجع، وتحاوروا: أي تراجعوا في الكلام بينهم[1]، ويأتي بمعنى الكلام في المخاطبة.

الحوار اصطلاحا:

تعدّدت تعاريف العلماء للحوار، نذكر بعضا منها: الحوار هو مراجعة الكلام بالوعظ.[2]

- الحوار هو مراجعة الكلام بين متكلمين.[3]
- الحوار حديث يجري بين شخصين أو أكثر.[4]
- الحوار تردّد الكلام بين فريقين للوصول إلى الحقّ.[5]
- الحوار عبارة عن مناقشة وجدل يكون بين شخصين أو أكثر، يعرض كلّ جانب نظره فيما يراه ويعتقد من أمور.[6]
- ومنهم من عرّفه بأنّه نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، ويتّم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتّعصّب.[7]

ولعلّ التّعريف الأخير هو التّعريف السّليم للحوار، كونه قد راعى النّقاط الرئيسية التي يرتكز عليها الحوار من أصول وآداب الحوار، وصفات المحاور.

ومن الملاحظ على هذه التّعاريف الاصطلاحيّة للحوار أنّها تصبّ في معنى واحد وهو: مراجعة الكلام بين طرفين أو أكثر دون ما يدّل بالضّرورة على وجود خصومة بينهما، ومن هنا

---

[1] مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، دط، دت، مج3، ص15

[2] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، خرّج أحاديثه: عبد الرزّاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1425هـ/1995مـ، ج4، ص468.

[3] الطاهر بن عاشور،التحرير والتنوير،الدار التونسية،تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،دط، 1404هـ /1984مـ، ج15، ص319.

[4] عبد الرحمن المناوي، التوقيف على مهمّات التعاريف، تـ: محمّد رضوان الدّاية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، سوريا، ط1، 1410هـ/1990مـ، ص299.

[5] محمّد أبو زهرة، تاريخ الجدل، دار الفكر العربي، دط، 1400هـ/1980مـ، ص10.

[6] عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1407هـ/1987مـ، ص478.

[7] في أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وحدة الدراسات والبحوث، تنفيذ: المنبع للدعاية والإعلام، الرياض، ط5، 1416هـ/1995مـ، ص15، نقلا من: فتحي عبد الله الموصلي، فقه الحوار مع المخالف في السنّة النّبوية، الدار الأثرية، عمّان، ط1، 1428هـ/2007مـ، ص10.

يمكننا أن نحدّد عناصر المحاورة وهي:

1 ــ وجود أطراف للحوار، سواءا كانوا أشخاصا أو مؤسّسات أو جهات.

2 ــ موضوع الحوار.

3 ــ تبادل الحديث والمراجعة بالكلام، أو بأيّ وسيلة معبّرة عن مقصود أطراف الحوار.

مرادفات الحوار:

الجدل: الجدل في **اللغة:** شدّ الفتل، وجدلت الحبل أجدله جدلا إذا شددت فتله فتلا محكما.[1]

وجاء في أساس البلاغة: جدّله: أي ألقاه على الجدالة وهي الأرض[2]، وقد سمّيت به إحدى سور القرآن الكريم ــ المجادلة ــ

والجدل **اصطلاحا:** دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجّة أو شبهة، ويقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة، وهو القياس المؤلّف من المشهورات والمسلّمات، والغرض منه إلزام الخصم من هو قاصر عن إدراك مقدّمات البرهان[3]، فالغرض من الجدل هو مجرّد الغلبة، ففي الجدل يبذل من أجل هذه الغلبة جهد، يقول الرّازي[4] رحمه الله عند هذه الآية: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغُرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٤﴾ ﴾ غافر: "والجدال نوعان: جدال في تقرير الحقّ، وجدال في تقرير الباطل، أمّا الجدال في تقرير الحقّ فهو حرفة الأنبياء ــ عليهم السلام، قال الله عزّ وجلّ للنّبيّ ﷺ ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴿١٢٥﴾ ﴾ النحل: ١٢٥، وقال حكاية عن الكفار أنّهم قالوا لنوح ــ عليه السلام ــ:﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مج1، ص 569.

[2] الزمخشري، أساس البلاغة، ص53.

[3] علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تــ: محمد عبدالحكيم القاضي، دارالكتب العلمية، بيروت،ص75.

[4] الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري أبو عبد الله،الإمام المفسر المتكلم، لقب بشيخ الإسلام، ولد في 544 هــ بالريّ، أتقن علوما كثيرة، وكان شافعيا أشعريا من كتبه:: مفاتيح الغيب، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز في علوم البلاغة، مفاتيح العلوم في تفسير الفاتحة...الخ، توفي سنة 606 هــ، انظر: وفيات الأعيان وأبناء أنباء الزمان لابن خلكان، مج4،ص248-252، ومعجم المؤلفين،ج11،ص79-80، شذرات الذهب مج3،ج5،ص21.

جِدَٰلَنَا ﴿٣٢﴾ ﴾ هود: ٣٢، وأمّا الجدال في تقرير الباطل فهو مذموم وهو المراد بهذه الآية، حيث قال الله تعالى: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴿٤﴾ ﴾ غافر: ٤، وقال: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ الزخرف: ٥٨، وقال: ﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ ﴾ غافر: ٥، ثمّ قال:" واعلم أنّ لفظ الجدال في الشيء مشعر بالجدال بالباطل، ولفظ الجدال على الشيء مشعر بالجدال لأجل تقريره والذبّ عنه."[1]

وعند تتبّع كلمة الجدال في القرآن الكريم يظهر أنّ أغلبها يكون في الموضع غير المرضيّ عنه أو غير المحمدي كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴾ الكهف: ٥٤، وقوله:﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ﴾ الكهف: ٥٦، حيث وردت كلمة الجدال في القرآن الكريم **تسعا وعشرين مرّة**[2]، بصيغتها المختلفة، فجاءت مرّتين بصيغة المصدر من المجرّد، والبقيّة بصيغة المزيد بحرف (جادل) بأزمانها الثّلاثة، وبأحد مصدريها تضمّنتها **سبعا وعشرين آية**، ولعلّ سبب ذلك هو طبيعة المرحلة التي تستلزم الجدل لردّ دعوى الخصم.[3]

علاقة الحوار بالجدل:

يقول محمّد حسين فضل الله[4]: "... كلمة الحوار أوسع مدلولا من كلمة الجدل...باعتبار تضمّن الكلمة الثانيّة معنى الصّراع، بينما نجد الكلمة الأولى تتّسع له ولغيره ممّا يراد منه إيضاح الفكرة بطريقة السؤال والجواب... "[5]

---

[1] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، قدّم له: خليل محي الدين المَيْس، دار الفكر، دط، 1415هـ/ 1995م، مج14، ص223

[2] البقرة: 167، النساء: 107، 109، الأنعام: 25، 121، الأعراف: 71، هود: 32، 74، النحل16:، 125، الرعد:13، الكهف: 54،56، الحج: 3، 8، 68، العنكبوت: 46، لقمان: 20 غافر: 4، 5، 35، 56، 69، الشورى: 35، الزخرف: 58، المجادلة: 1.

[3] محمّد التومي، الجدل في القرآن الكريم، فعاليته في بناء العقلية الإسلامية، دار الشهاب، باتنة، دط، دت، ص10.

[4] حسين فضل الله: ولد في 2 نوفمبر 1935 م، مرجع شيعي لبناني، ولد في مدينة النجف في العراق. يعتبر من أكابر علماء الشيعة، له عدّة مؤلفات: فقه الحياة، الحوار في القرآن، من وحي القرآن. وتوفي عام: 2010. انظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

[5] حسين فضل الله، الحوار في القرآن، قواعده وأساليبه، معطياته، دار المنصوري، الجزائر، ج1، ص18.

وقد ورد الجدل والحوار في آية واحدة من القرآن الكريم ؛ بحيث يعود الحوار على الحديث الذي يشارك فيه الرّسول ﷺ، بينما يعود الجدل على المرأة التي كانت تحاوره، فقد قال الله تعالى﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾ المجادلة: ١، فهي في موقف مضادّ فيما يتعلّق بزوجها، ولكنّها ليست في موقف مضادّ مع النّبيّ ﷺ، فالجدل يتّسم بمسائل مثل العقم، اللّاجدوى، إخضاع الفكرة إلى متاهات، التّرف الذّهني، الصّراع، أمّا كلمة الحوار فتتّسم بالتّوليد والفائدة، والإقناع، وتغيير الوعي بعمق.

تعريف المناظرة:

المناظرة في **اللغة**: من النّظر وهو تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، ويراد به التأمّل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص والرويّة[1]، والمناظرة هي المباحثة والمباراة في النّظر، واستحضار كلّ ما يراه ببصيرته[2]، والنّظير: المثيل، وأصله المناظر، وكأنّه ينظر كلّ واحد منهما إلى صاحبه فيباريه.[3]

فالمناظرة في **الاصطلاح** يعرّفها الإمام الشاطبي[4] ــ رحمه الله ــ بقوله: "... ردّ الخصم إلى الصّواب بطريق يعرفه، لأنّ ردّه بغير ما يعرفه من تكليف ما لا يطاق، فلابدّ من رجوعهما إلى دليل يعرفه الخصم السّائل المستدّل، وعلى ذلك دلّ قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴿٥٩﴾ ﴾ النساء: ٥٩، لأنّ الكتاب والسنّة لاخلاف فيهما عند أهل الإسلام، وهما الدّليل والأمل المرجوع إليه في مسائل النّزاع... "[5]

---

[1] الراغب الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، ضبطه وراجعه: محمّد خليل عتاني، دار المعرفة، بيروت، 1418هـ/1998م، ص499.

[2] الزّبيدي، تاج العروس، ج3، ص162.

[3] الرّاغب الأصبهاني، معجم مفردات القرآن الكريم، دار الكتب العلمية بيروت، دط، 1979 م، ص 518.

[4] الشّاطبي:إبراهيم بن موسى بن محمد اللّخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي أبو إسحاق حافظ ثقة محدث ومفسر، أصولي من أئمة فقهاء المالكية من أهل غرناطة، له تآليف نفيسة اشتملت على تحريرات للقواعد وتحقيقات لمهمّات الفوائد، منها الموافقات في الفقه من أنبل الكتب وتأليف في الحوادث والبدع سمّاه: الاعتصام ،و المجالس شرح به كتاب البيوع من البخاري وكتاب الإفادات والإنشاءات، عنوان الاتفاق في علم الاشتقاق، توفي في شعبان790هـ، انظر شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ج1ص231، معجم المؤلفين لعمر كحالة،ج1، ص118.

[5] أبو إسحاق إبراهيم الشّاطبي: الموافقات،ت: عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، ج4، ص 33.

علاقة الحوار بالمناظرة والجدل:

من خلال معرفة معنى الحوار والجدل والمناظرة، يتبيّن لنا أنّ الحوار لفظ عام يشمل صورا عديدة منها: المناظرة والمجادلة، وقد يذكر الجدال ويراد به مجرد مراجعة الكلام بين المتخاطبين بدون إلزام أو مغالبة كما قال الله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١ ﴾ المجادلة: ١.

ويرى بعض العلماء أنّه لا فرق بين الجدل والمناظرة اصطلاحا، حيث قال الجويني[1] ــ رحمه الله ــ:"ولا فرق بين المناظرة والجدال والمجادلة والجدل في عرف العلماء بالأصول والفروع، وإن فرّق بين الجدل والمناظرة على طريق اللغة، وذلك أنّ الجدل في اللغة: مشتق من غير ما اشتُق منه النظر." [2]

فالمجادلة والمناظرة والجدل ألفاظ متقاربة وبين معنى الحوار ومعاني هذه الألفاظ عموم وخصوص أي أنّ كلّ جدل هو حوار، وليس كلّ حوار جدلاً، وأيضا فإنّ معنى الحوار عند الانفراد يكون عامّا وعند الاقتران ــ مثلا ــ له معنى خاصّ، وهكذا مع سائر الألفاظ كالمراء والخصومة والمحاجّة.[3]

ولقد ذكر الإمام محمّد أبو زهرة[4] ــ رحمه الله ــ الفرق بين الجدل والمناظرة من حيث الاصطلاح ؛ إذ المناظرة يكون الغرض منها الوصول إلى الصواب في الموضوع الذي اختلفت أنظار المناقشين فيه، والجدل يكون الغرض منه إلزام الخصم والتغلب عليه في مقام الاستدلال.[5]

---

[1] الجويني: إمام الحرمين الإمام الكبير شيخ الشافعية أبو المعالي عبد الملك بن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني ثمّ النيسابوري ضياء الدين، ولد سنة 419هـ، من أهمّ مؤلفاته: نهاية المطلب في دراية المذهب، البرهان، الإرشاد في أصول الدين، غياث الأمم، انظر سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي،ج13،ص68، وانظر طبقات الشافعية لعبد الرحيم الأسنوي،ج1، ص197.

[2] أبو المعالي عبد الملك الجويني، الكافية في الجدل، ت: فوقية حسين محمود، مكتبة الكليات الزهرية، القاهرة، 1399هـ/1979م، ص19.

[3] حمد عثمان، أصول الجدل، ص19، نقلا من فتحي الموصلي، فقه الحوار مع المخالف، ص13.

[4] محمد أبو زهرة: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بابي زهرة في المحلة الكبرى التابعة لمحافظة الغربية بمصر في 6 ذو القعدة 13315 هـ ألّف ما يزيد عن 30 كتابا غير بحوثه ومقالاته: عرف الأصول والفروع، من أهمّ مؤلفاته: المعجزة الكبرى، تناول فيها قضايا نزول القرآن وجمعه وتدوينه وقراءته ورسمه وترجمه إلى لغات أخرى، الجريمة في الفقه الإسلامي، تاريخ المذاهب الإسلامية، انظر: ملتقى أهل الحديث بقلم أحمّد تمام.

[5] محمّد أبو زهرة، تاريخ الجدل، ص5.

المبحث الثاني: أنواع الحوار

حيث قسّم الحوار بالنّظر إلى عدّة اعتبارات، سأقتصر تحت هذا العنوان على ذكر ثلاث منها دون ذكر الأخرى، وذلك خشية الطول وتماشيا مع ماله علاقة ببحثي.

أولا: الحوار باعتبار جوازه وإباحته:

وهذا التّقسيم ينظر فيه إلى شرعيّة وسائل الحوار ومقاصده والطّريقة التي يتمّ بها الحوار، وهو نوعان: حوار محمود، وحوار مذموم، وغالب من يقسّم هذا التّقسيم ينظر إلى الحوار على أنّه من باب الجدل والمناظرة.[1]

قال النّووي [2] ــ رحمه الله ــ: "واعلم أنّ الجدال قد يكون بحقّ وقد يكون بباطل، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴿٤٦﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٦، وقال الله تعالى: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴿٤﴾ ﴾ غافر: ٤، فإذا كان الجدال الموقوف على الحقّ وتقريره كان محمودا، وإن كان في مدافعة الحقّ أو كان جدالا بغير علم كان مذموما، وعلى هذا التّفصيل تنزّل النّصوص الواردة في إباحته وذمّه. "[3]

وقال شيخ الإسلام بن تيمية[4] ــ رحمه الله ــ: " والمقصود أنّهم نهوا عن المناظرة من لا يقوم بواجبها، أو مع من لا يكون في مناظرته مصلحة راجحة أو فيها مفسدة راجحة، فهذه أمور عارضة تختلف باختلاف الأحوال، وأمّا جنس المناظرة بالحقّ فقد تكون واجبةً تارة ومستحبةً تارة أخرى، وفي الجملة جنس المناظرة والمجادلة فيها: محمود ومذموم، ومفسدة ومصلحة، وحقّ وباطل."[5]

---

[1] فتحي عبد الله الموصلي، فقه الحوار مع المخالف، ص14.

[2] النووي: محي الدين أبو زكريا يحي بن شرف الخزامي، ولد سنة 631 هـ، بـ: نوا، وهي قرية من الشام، لم يتزوج، توفي سنة 676 هـ من أشهر مؤلفاته: شرحه على صحيح مسلم، والأربعون النووية، انظر طبقات الشافعية لعبد الرحيم الأسنوي 28، ص: 266.

[3] شرف الدين النووي، الأذكار، تـ: محمّد الحجّار، دار البشائر، ص319.

[4] ابن تيمية: أحمد بن تيمية الحراني الدمشقي تقي الدين ابن العباس أحمد بن الشيخ شهاب الدين عبد الحليم بن أبي القاسم بن تيمية الحراني بحران سنة إحدى وستين وستمائة(661هـ) توفي سنة 728هـ من كتبه: اقتضاء الصراط المستقيم، الرسالة الحموية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، درء تعارض العقل والنقل، انظر النهاية والبداية لابن كثير مجلد7، ص281 ورجال الفكر والدعوة في الإسلام لعلي الندوي ج2، ص28.

[5] ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تـ: محمّد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1401هـ/1981مـ، ج7، ص174.

ثانيا: الحوار باعتباره أسلوبا من أساليب الدّعوة:

فبالنّظر إلى الحوار كونه أسلوبا من أساليب الدّعوة إلى الله تعالى ينقسم إلى ثلاثة أنواع:

الحوار التعليمي: وهو الحوار الذي تستنتج من خلاله آداب المتعلّم أثناء تحصيله العلم، وتتمثّل في الصّبر والأناة على وجه الخصوص، مع مراعاة تعليم الطرف الآخر وغالبه يكون بطريق السؤال والجواب.[1]

الحوار الوعظي: وهو أسلوب من أساليب الوعظ والإرشاد والتذكير، ويكون متضمّنا للتّرهيب والتّرغيب.

الحوار الجدلي: وهو أسلوب لردّ الخصوم، ودفع شبهات وأباطيل الطرف الآخر، وتجري على هذا النوع قوانين الجدل والمناظرة.[2]

وهذه الطريقة في التقسيم دلّ عليها قوله عزّ وجلّ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴿١٢٥﴾ ﴾ **النحل: ١٢٥**

فالآية الكريمة قد بيّنت أساليب الدّعوة إلى الله تعالى: بالحكمة والموعظة والمجادلة بالتي هي أحسن، ولّما كان الحوار وسيلة من وسائل الدّعوة، كان عليه أن يلتزم بهذه المواصفات في الآية حتّى يحقّق الهدف المنشود من دعوته.

ثالثا: الحوار باعتبار أثره التّربوي

ينقسم الحوار بناءا على هذا الاعتبار إلى خمسة أنواع:

الحوار الخطابي أوالتعبدي:

وهذا النوع قد دلّت عليه الآيات القرآنية الكثيرة، حيث خاطب الله عباده في عشرات المواضع، مصدّرا خطابه بنداء التعريف بالإيمان: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾، وكلّما قرأه المؤمن لهج قلبه بالجواب: لبّيك يا رب، ولذلك اعتبر هذا الأسلوب حوارا، وقد يجري العكس، فإذا خاطب المؤمن ربّه داعيا إيّاه في بعض آيات القرآن الكريم، أجابه الحقّ جلّ جلاله بما يناسب المقام.[3]

---

[1] فتحي عبد الله الموصلي، فقه الحوار مع المخالف، ص15

[2] المرجع نفسه، ص 15.

[3] عبد الرحمن النّحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر، سوريا، ط2، 1403هـ/1993م، ص207.

فقد روي عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ سمعت النّبيّ ﷺ يقول:" قال الله تعالى: "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الفاتحة 1، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال:﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ الفاتحة 2، قال الله تعالى:أثنى عليّ عبدي، وإذا قال: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ الفاتحة 3، قال: مجّدني عبدي، وقال مرّة: فوّض إليّ عبدي، فإذا قال: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ الفاتحة 4، قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ الفاتحة 5-6، قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل."[1]

فهذا وغيره دليل على الحوار التعبدي القائم بين العبد وربّه.

الحوار الوصفي: وهو الحوار الذي يستعين بالمخيّلة، والوصف الدّقيق لأحوال أهل النّار وأهل الجنّة على تربية العواطف الربّانية والتّأثير في نفس القارئ أو السامع، والقصد من هذا الحوار الاقتداء بصالح العباد والابتعاد عن شرّيرهم، والأمثلة على هذا النوع في القرآن الكريم نذكر منها: قوله تعالى في حوار أهل النّار ﴿ وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝٢٠ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢١ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٢٣ ﴾ الصافات: ٢٠ - ٢٣، فالحوار هنا بين الحقّ جلّ جلاله وبين ملائكته، والحديث عن الظالمين الذين استّحقوا عذاب جهنّم، ثمّ استمرّ الحوار لبيان ضعفهم والاستهزاء بهم بعد أن ينالوا حسابهم في ذلك الموقف: ﴿ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ۝٢٤ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥ ﴾ الصافات: ٢٤ - ٢٥، وعجزوا عن الجواب فأخبرنا الله عزّ وجلّ عن حالهم:﴿ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ۝٢٦ ﴾ الصافات: ٢٦، ثمّ دار الحوار بين قادة الظلم والباطل، وبين السّوقة الذين استسلموا للباطل في الدنيا، فحشروا في العذاب جميعا.[2]

﴿ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ۝٢٧ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ۝٢٨ ﴾ الصافات:

[1] مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كلّ ركعة، رقم: 365.

[2] عبد الرحمن النّحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص220.

٢٧ - ٢٨، وتنصّل قادة الظلم من المسؤولية: ﴿ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَـٰغِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الصافات: ٢٩ – ٣٠، فالحوار الوصفي يعتمد على الإيحاء والتّعريض دون التّصريح، فالآيات الكريمة هنا تحذّرنا من هذا المصير دون أن تقول لنا: إيّاكم أن تقعوا فيما وقع فيه هؤلاء، وهذا الإيحاء أشدّ تأثيرا من التّلقين.[1]

الحوار الجدلي:

وهو حوار يهدف من خلال المناقشات التي يجريها إلى إثبات الحجّة على المشركين بضرورة الإيمان بالله عزّ وجلّ وتوحيده، والاعتراف باليوم الآخر وبرسالة محمّد ﷺ، كوصفه لما رأى عندما عرج به إلى السماوات العلى.[2]

كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾ النجم: ١٩ – ٢٠، ثمّ يعيّرهم الحقّ جلّ جلاله في نسبة البنات ــ الملائكة ــ إلى الله ــ تعالى عمّا يصفونه علّوا كبيرا ــ مع أنّهم يكرهون أن تكون لهم البنات، ويتمنّون البنين، قال الله تعالى: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾ النجم: ٢١ – ٢٣.

وفي هذا ما فيه من تناقض المشركين، إذ ينسبون إلى خالقهم المنعم المتفضّل عليهم ما يكرهون لأنفسهم.

ثمّ يبيّن لهم معيارهم في التّفكير ومبلغهم من العلم، وأنّه معيار خاطئ لا يغني ولا ينتج شيئا، إنّه معيار الظنّ والهوى، ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾ النجم: ٢٣، ويستمرّ أسلوب الحوار الاستفهامي الجدلي التهكمي في قوله تعالى ﴿ أَمْ لِلْإِنسَـٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ﴾ النجم: ٢٤ - ٢٥.[3]

---

[1] المرجع نفسه، ص221.

[2] المرجع نفسه، ص 224.

[3] المرجع نفسه، ص225.

الحوار النّبوي:

وهو حوار النّبيّ ﷺ الذي استمدّ أشكاله وصوره من حوار القرآن الكريم، كيف لا وقد كان خلقه القرآن الكريم، ولّما كان ﷺالقدوة لكلّ المربّين في كلّ زمان ومكان، فقد كان من أساليبه في التّربية الحوار، فالذي يتفحّص كتب السنّة يجد في كثير من المواضع التي استعمل فيها النّبيّ ﷺ الحوار ومارسه كأسلوب من أساليب التربية.[1]

الحوار القصصي:

وهو حوار يمتاز عن سابقيه بأنّه يعرض حجج الأنبياء عرضا فكريا ربّانيا، وتدحض فيه حجج الظالمين الماديين ويبيّن لنا منطقهم المتهافت، كما يمتاز بذكر نتيجة القصّة ومصير كلّ من الظالمين والمؤمنين وتصويره تصويرا مرتبطا بالحوار، وبمراحل القصّة ارتباطا وثيقا، وذلك بعد ترقّب وتلهّف يد القارئ والسّامع إلى تتّبع الحوار وتأمّل معانيه.[2]

وقد انتشر هذا الحوار في كثير من قصص القرآن، والحوار القصصي ذو أثر فكري رائع، بالإضافة إلى أثره الوجداني العاطفي.[3]

وهذا كما يتجسّد مثلا في قصّة شعيب مع قومه في سورة هود، فالآيات العشر الأولى من هذه القصّة كلّها حوار، ثمّ ختم الله تعالى القصّة بآيتين بيّن فيها عاقبة قوم شعيب.

---

[1] المرجع نفسه، ص 228.

[2] المرجع نفسه، ص223.

[3] المرجع نفسه، ص222.

المبحث الثالث: القيمة الحضاريّة للحوار في القرآن الكريم

إذا تتبعنا لفظ الحوار في القرآن الكريم وجدنا أنّه قد جاء في ثلاثة مواضع:

في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾ الكهف: ٣٤، وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ الكهف: ٣٧، وفي قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ المجادلة: ١، وأكثر ما جاء في القرآن الكريم من أقوال وأحداث قصصيّة، كان الحوار هو طريق عرضها[1]، حيث تعرّضت آيات القرآن الكريم في مواضع شتّى للحوار وبأساليب مختلفة، ففي بعض الآيات تظهر الدّعوة إلى الحوار أو إلى شيء من مستلزماته وأصوله، وفي بعض النّصوص الأخرى تحثّ على التزام آداب عامّة للحوار، وفي قسم منها بيان لآداب خاصّة من آداب الحوار، وفي قسم منها نماذج وأمثلة للحوار.[2]

يقول محمّد الغزالي[3] ــ رحمه الله ــ في تقديمه لكتاب الحوار لغة القرآن والسنّة ما نصّه: "وقد تتّبعت كلمة: **هاتوا برهانكم** في القرآن الكريم فوجدتها في مواضعها الكثيرة تضبط الحوار وتسيّره على منهج سليم، يقول الله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾ الأنبياء: ٢٤ أي ليس لكم دليل عقلي ولا نقلي على وجود إله آخر، إنّ خالق الكلّ وضابط الكلّ هو الله الواحد... ويزداد المعنى وضوحا في آية أخرى ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن

---

[1] أحمد عبده عوض، فقه الحوار في ضوء السنّة النّبوية، ألفا، مصر، ط1، 1429هـ/2008مـ، ص17.

[2] المرجع نفسه، ص24.

[3] محمّد الغزالي: يعدّ أحد دعاة الفكر الإسلامي في العصر الحديث، ولد في محافظة نكلا العنب المصرية،في 5 ذي الحجة 1335ه الموافق ل: 22 سبتمبر 1917م، نشأ في أسرة متديّنة، بدأت كتاباته في مجلّة الإخوان المسلمين أثناء دراسته بالكليّة، والتحق بكليّة أصول الدّين بالأزهر وتخرّج منها سنة 1941 م، حيث تلقّى العلم عن شيوخ الأزهر أنذاك أمثال: محمّد شلتوت، محمّد أبو زهرة والشيخ محمّد محمّد المدني وغيرهم، وعمل بعد تخرّجه إماما وخطيبا بمسجد العتبة الخضراء، توفي سنة 1996، من مؤلفاته: عقيدة المسلم، فقه السيرة.....إلخ، انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرّة.

كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ النمل: ٦٤، ويطّرد طلب الدليل في الدنيا والآخرة، أي أيّام التكليف ويوم الجزاء لتتّم عدالة الحساب، ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ القصص: ٧٤. "[1] ومن النّصوص العامّة التي وضعت مقوّمات الحوار وأصوله وشروط الانتفاع به قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ سبأ: ٤٦."[2]

تأتي هذه الآيات ردًّا على المشركين الذين طعنوا في النّبيّ ﷺ، دون تدبّر أو تفكير، فاتّهموه بالكذب تارة وبالسحر تارة أخرى، كما في الآيات قبلها: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ سبأ:٤٣، قال الطبري[3] ــ رحمه الله ــ:" وقيل: إنّما قيل: ﴿ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ﴾ وتلك الواحدة أن تقوموا لله بالنّصيحة وترك الهوى، ﴿ مثنى﴾ : يقوم الرجل منكم مع الآخر فيتصادقان على المناظرة، هل علمتم بمحمّد ﷺ جنونا قطّ، ثمّ ينفرد كلّ واحد منكم، فيفكّر ويعتبر فردا هل كان ذلك به، فتعلّموا حينئذ أنّه نذير لكم."[4] وقال الزمخشري[5] ــ رحمه الله ــ: "والمعنى ﴿ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ﴾ إن فعلتموها

---

[1] إبراهيم أحمد الوقفي، الحوار لغة القرآن الكريم والسنّة النّبويّه، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993مـ، ص3.

[2] محمّد إبراهيم الحمد، الحوار في السيرة النّبويّة، جامعة القصيم، 1429ه، ص43.

[3] الطبري: ولد بـ: آمل، سنة 224 هـ، استوطن بغداد وأقام بها، كان أحد أئمة العلماء، عارفا بالقراءات بصيرا بالمعاني، فقيها في أحكام القرآن، عالما بالسنن وطرقها، من أشهر كتبه: الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك، وكتابه في التفسير، وكتاب سماه: تهذيب الآثار، توفي سنة: 310 هـ، ببغداد، انظر شذرات الذهب، مج1، ص 260.

[4] محمّد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، تـ: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/2000مـ، ج20، ص417.

[5] الزمخشري: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، ولد في زمخشر من قرى خوارزم عام 467 هـ، ورحل إلى عدّة أماكن، أخذ بمذهب الاعتزال، مات بالجرجانية من قرى خوارزم بعد رجوعه من مكّة، من أشهر كتبه: الكشاف عن حقائق التنزيل،الفائق في غريب الحديث، متشابه أسماء الرواة، توفي عام 538 هـ، انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي،ج5،ص489 ومعجم المؤلفين، ج12، ص186،وشذرات الذهب، مج2، ج4، ص118.

أصبتم الحقّ وتخلّصتم وهي إن لوجه الله خالصين متفرقين اثنين وواحدا واحدا، ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾ في أمر محمّد ﷺ وما جاء به، أمّا الاثنان فيفكّران ويعرض كلّ واحد منهما محصول فكره على صاحبه، وينظران فيه نظر المتصادقين المتناصفين لا يميلان إلى اتّباع الهوى ولا ينبض لهما عرق عصبيّة حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنّظر الصحيح على جادّة الحقّ وسنّته، وكذلك الفرد يفكّر في نفسه بعدل وإنصاف من غير أن يكابرهما، ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقرّ عنده من عادات العقلاء ومجارى أحوالهم، والذي أوجب تفرّقهم مثنى وفرادى: أنّ الاجتماع ممّا يشوّش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الرؤية ويخلط القول، مع ذلك يقلّ الإنصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصّب، ولا يسمع إلاّ نصرة المذهب".[1]

فالله عزّ وجلّ أقام هذه الموعظة العظيمة ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ سبأ: ٤٦، التي من أخذها بجميع مقوّماتها، فلا بدّ أن يصل إلى الحقّ، وهذه المقومات هي: ــ القيام لله تعالى: وهو الإخلاص والتجرد في طلب الحقّ.

ــ مراجعة النّفس على انفراد أو مع الآخرين، ممّا يقضي على عامل مهمّ من العوامل التي تغطّي الحقّ أو تشوّه وجهه.

ــ التفكّر فيما يقوله المخالف، وهذا الأصل هو الوسيلة الأساسية للوصول إلى الحقّ بعد الالتزام بالشّرطين السابقين.[2]

فالآية الكريمة فيها إشارة إلى المناظرة والحوار، وذلك وفق الضّوابط والأصول التي توصل إلى الهدف المنشود من ذلك الحوار، وبالتّالي إلى النّتيجة المثمرة.

ومن الآيات القرآنية التي هي الأخرى تدعو إلى الحوار الإيجابي، القائم على ضوابطه ومقوّماته والموصلة بصاحبه إلى أهدافه: قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ..﴿١٢٥﴾ ﴾ النحل: ١٢٥، قال الزمخشري ــ رحمه الله ــ في

---

[1] الزمخشري، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوب التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ/1987 مـ، ج3، ص590.

[2] أحمد عوض، فقه الحوار، ص24 بتصرف.

تفسيره هذه الآية الكريمة:" وجادلهم بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرّفق واللّين من غير فضاضة ولا تعنيف. "[1]

وقد بيّن الإمام الشوكاني[2] ــ رحمه الله ــ أساليب الدّعوة المذكورة في الآية الكريمة حيث قال: " ثم أمر الله سبحانه رسولَه ﷺ أن يدعو أمّته إلى الإسلام فقال: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ وحذف المفعول للتّعميم لكونه بعث إلى كافّة النّاس، وسبيل الله هو الإسلام بالحكمة: أي بالمقالة الصحيحة، وقيل: هي الحجج القطعية المفيدة لليقين، والموعظة الحسنة: هي المقالة المشتملة على الموعظة الحسنة التي يستحسنها المستمع، وتكون في نفسه حسنة باعتبار انتفاع السامع بها،... وجادلهم بالتي هي أحسن: أي بالطريق التي هي لأحسن طرق المجادلة، وإنّما أمر الله سبحانه بالمجادلة الحسنة لكون الدّاعي محقّا وغرضه صحيحا، وكان خصمه مبطلا وغرضه فاسدا. "[3]

نماذج حوارية في القرآن الكريم:

إنّ المتفحّص لكتاب الله تعالى يجد مواقف حوارية عديدة، منها ما كان بين أنبياء الله تعالى وبين أقوامهم، ومنها ما كان بين أصحاب الجنّة وأصحاب النّار، ومنها ما كان بين أصحاب الحقّ وبين أصحاب الباطل، والملاحظ عليها أنّ أغلبها إن لم نقل كلّها كانت تعرض ضمن القصص القرآني الذي يحتلّ مساحة كبيرة من كتاب الله تعالى، وسوف نختار من بين هذه النماذج العديدة بعضا منها، لنبيّن من خلالها طبيعة الحوار في القرآن الكريم.

النموذج الأول: حوار الله تعالى مع الملائكة:

وهو حوار ضمن إطار قصّة البشريّة الأولى، وذلك عندما أخبر الله تعالى ملائكته بخلق الإنسان من أجل بناء الأرض وعمارتها، وتنمية الحياة وتنوّعها، وترقيتها على يد الخليفة الأوّل في الأرض: ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن

---

[1] الزمخشري، الكشّاف، ج2، ص435.

[2] الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد الشوكاني، أبو عبد الله، فقيه أصولي، محدث، مفسر، من كبار علماء اليمن، ولد بشوكان، من بلاد خولان باليمن، له أكثر من مائة كتاب منها: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، مطلع البدرين ومجمع البحرين في التفسير أيضا، جواب السائل في تفسير"و القمر قدرناه منازل"، البدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع، إرشاد الفحول من علم الأصول، انظر معجم المؤلفين،ج11،ص53.

[3] محمّد بن علي الشوكاني، فتح القدير، اعتنى به: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ/1994م، ج3، ص215.

يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ **البقرة: ٣٠ – ٣٣،** أي أنّه سبحانه لمّا أخبر ملائكته بأنّه يريد أن يجعل في الأرض خليفة قالوا له: ﴿ ....أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ...ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ مَن ... ﴾ إلى آخر القصّةِ، يقول ابن كثير[1]:"... إنّما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك... قال الله تعالى مجيبا لهم عن هذا السؤال: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾، أي أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم، فإنّي سأجعل فيهم الأنبياء وأرسل فيهم الرّسل.. والمحبّون لله تعالى والمتّبعون رسله صلوات الله وسلامه عليهم –."[2]

فهذه كالمناظرة من الملائكة، والجواب عن سؤالهم من الله عزّ وجلّ، فكان من ثمرات هذا الحوار الذي دار بين الله عزّ وجلّ في علاه وبين ملائكته، أن امتحنهم بالسّجود لمن زعموا أنّه يفسد في الأرض، ويسفك الدماء، فأسجدهم له وأظهر فضله عليهم.

مناظرة إبليس في شأن ءادم ــ عليه السلام ــ:

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾

---

[1] ــ ابن كثير:إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير البصري، الشيخ عماد الدين، ولد سنة 700هـ ونشأ بدمشق، اشتغل بالحديث، وجمع التفسير وجمع التاريخ الذي سمّاه البداية والنهاية، وعمل طبقات الشافعية، توفي سنة774هـ، انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني، مج1،ج1،ص218، ومعجم المفسرين لعادل نويهض مج1، ص 93.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تـ: محمّد ناصر الدين الألباني، خرّج أحاديثه: محمود بن الجميل، وليد بن محمّد بن سلامة، خالد بن محمّد بن عثمان، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 1425هـ/2004مـ، ج1، ص90.

إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ الحجر: ٣٢ - ٣٩، فهذا وأمثاله ممّا يدلّك على ضعف مناظرة إبليس اللّعين وفساد نظره وإدراكه، وأنّ الحكمة كانت توجب عليه خضوعه لآدم، فعارض حكمة الله وأمره برأيه الباطل ونظره الفاسد، فقياسه باطل نصّا وعقلا.

فالعالِم يتدبّر سرّ تكرير الله عزّ وجلّ لهذه القصّة مرّة بعد مرّة، وليحذر أن يكون له نصيب من هذا الرّأي والقياس وهو لا يشعر، فقد أقسم ـــ عدوّ الله ـــ أنّه ليغوينّ بني ءادم أجمعين إلاّ المخلصين منهم.[1]

النموذج الثاني: حوار نوح مع قومه:

نوح نبيّ الله ورسوله من أولي العزم من الرسل، جاء قومه يدعوهم إلى الله: ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ المؤمنون: ٣٢، وهم هائمون في عبادة الأصنام، وكان له جدال مع ابنه، كما كان لإبراهيم جدال مع أبيه، وإنّ نوحا عليه السلام هو أوّل رسول بعد ءادم عليه السلام وأطول الرسل حوارا مع قومه، فقد لبث فيهم ألف سنة إلاّ خمسين عاما، يدعوهم إلى إخلاص العبادة ووحدانية الألوهيّة له سبحانه، وذكره تعالى في تسع وعشرين سورة من سور القرآن الكريم، وسمّيت سورة منه باسمه، بلغت آياتها 28 آية، بدأها بقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١﴾ ﴾ نوح: ١.[2]

فنوح ـــ عليه السلام ـــ بدأ فدعا قومه إلى التّوحيد: ﴿ إِنَّنِي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴿٢٦﴾ ﴾ هود: ٢٥ - ٢٦، فردّوا عليه بتهم له ولمن اتّبعوه ﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ هود: ٢٧. فردّ عليهم نوح بأربع: أنّه على بيّنة من ربّه عميت أبصارهم عنها، ولن يكرههم عليها، وأنّه لن يسألهم أجرا، لأنّ أجره على الله ، إنّه لن يطرد الذين آمنوا، لأنّه يخاف

[1] علي الصالحي، الضوء المنير على التفسير،،مؤسسة النور، مكتبة دار السلام، مج1، ص203.

[2] أحمد الوقفي، الحوار لغة القرآن والسنّة، ص1.

الله ومن ينصره من الله، وأنّه لن يقول لهم لن يأتيكم الله خيرا، إنّه إن فعل ذلك كان ظالما، وأخيرا إنّه لا يملك خزائن الله، ولا يعلم الغيب ولا يدّعي أنّه ملـــك.[1] ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ هود: ٢٨ – ٣١.

ونصل إلى الإفحام فيقول قومه له﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ هود: ٣٢، فيردّ نوح على ذلك:﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ هود: ٣٣ – ٣٥.

وتأتي العاقبة في النهاية بعد استهزائهم منه وهو يصنع الفلك، وقبل أن يشير إلى العاقبة يشير إلى حواره مع ابنه ويليه حواره مع ربّه، أمّا حواره مع ابنه فقد قال له: ﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ هود: ٤٢، فكان ردّ ابنه الجاهل أنّه سيعتصم بالجبـــل ﴿ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ ﴾، فجاء ردّ الوالد الناصح الأمين ﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ ﴾، و لم يستطع الابن جوابا، فقد تاه جوابه مع أمر الله الذي جـــاء: ﴿ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ هود:٤٣.[2]

وانتهى المشهد الأليم للأب وهو يشهد مصرع ابنه، فتأخذه الشفقة بولده ويخاطب ربّه،

[1] أحمد عوض، فقه الحوار في ضوء السنّة النّبويّة ، ص41.

[2] المرجع نفسه، ص42.

أمّا حواره مع ربه عزّ وجلّ: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ هود: ٤٥، وكان قد صدق وعد ربه: ﴿ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ ﴿٤٠﴾ ﴾ هود: ٤٠، وهنا تتقرّر القاعدة الربّانية التي تفصل بين الكفر والإيمان، ويأتي معها التوجيه والتأنيب: ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ هود: ٤٦، وهنا يعود العبد الأوّاب إلى ربه يسأله المغفرة والرحمة في تذلل وخضوع، ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ هود: ٤٧.[1]

النموذج الثالث: حوار موسى مع الخضر

وهو حوار يبرز من خلاله آداب المتعلّم أثناء تحصيله العلم، وتتمثل في الصّبر والأناة على وجه الخصوص: ﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٦٧﴾ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ الكهف: ٦٥ - ٧٠، أي لا تقدر على اتّباعي وملازمتي، لأنّك ترى ما لا تقدر على الصّبر عليه من الأمور التي ظاهرها المنكر وباطنها غير ذلك[2]، وقبل موسى ــ عليه السلام ــ الشرط: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا إِمۡرٗا ﴿٧١﴾ ﴾ الكهف: ٧١، فلم يكتف موسى عليه السلام بالسؤال، بل تعدّى إلى اللّوم والحكم على موقف معلّمه، واكتفى الخضر بتذكيره: ﴿ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٢﴾ ﴾ الكهف: ٧٢ واعترف موسى بخطئه الذي كان بسبب النّسيان: ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا

---

[1] المرجع نفسه، ص43.

[2] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، مؤسسة الرسالة، ط1، 1429هـ، 2000م، ص481.

﴿٧٣﴾ ﴾ الكهف: ٧٣، وفي التجربة الثانية كان الدرس أصعب من الأوّل ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾ الكهف: ٧٤، وأعاد الخضر تأكيده لموسى ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ الكهف: ٧٥، في هذه المرّة لم يكن موسى ناسيا بل قاصدا أن ينكر المنكر الذي لا يصبر على وقوعه، لأنّ الغلام في نظره بريء، ولأنّه لم يبلغ الحلم و لم يرتكب ما يوجب القتل، وما كان من موسى بعد أن ذكّره الخضر إلاّ أن قال: ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ﴾ الكهف: ٧٦، وتأتي التجربة الثالثة التي أفاضت الكأس ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾ الكهف: ٧٧ - ٧٨، وانتهت هذه الرحلة مع هذه الدروس الشاقّة ومع هذا الأستاذ الذي زوّده الله تعالى ببعض من علم الغيب الذي وصفه بقوله: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ الكهف: ٦٥، ورغم أنّ الخضر قرّر الفراق، إلاّ أنّه لم يترك أعماله غامضة فقد وضّحها، وهذا دليل علمه وأمانته.

وحتى يتأكّد موسى عليه السلام من صحّة النتائج وتفسيرها، يخبره الخضر أنّ ما قام به ليس من اجتهاده الخاص: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ الكهف: ٨٢، قال ابن كثير ــرحمه اللهــ: "أي هذا الذي فعلته في هذه الأحوال الثلاثة، إنّما هو من رحمة الله بمن ذكرنا من أصحاب السفينة... وما فعلته عن أمري أي لكنّي أمرت به ووقفت عليه."[1]

النموذج الرّابع: الحوار بين أهل الجنّة وأهل النّار

إذ الحوار لثلاثة أطراف: أهل الجنّة، أهل النّار، أصحاب الأعراف، على اختلاف في كنههم، فبدأ الحوار بأصحاب الجنّة: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص113.

الأعراف: ٤٣، ثمّ يتوجهون إلى أصحاب النّار: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ﴾ الأعراف: ٤٤.[1]

وهنا يظهر صوت أصحاب الأعراف متوجّهين لأصحاب الجنّة: ﴿ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴾ الأعراف: ٤٦.

ثمّ ينتقل الحوار إلى أصحاب النّار: ﴿ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٨ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٤٩ ﴾ الأعراف: ٤٧ - ٤٩

وتأتي خاتمة الحوار ندما يوم لا ينفع الندم: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠ ﴾ الأعراف: ٥٠.

ويأتي التبكيت من أهل الجنّة مع الحرمان أليما: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٥١ ﴾ الأعراف: ٥٠ - ٥١.[2]

بعد هذا العرض السّريع للحوار في القرآن الكريم، وبالنظر إلى باقي الأنبياء والرسل وما دار معهم من حوارات في كثير من الآيات القرآنية، يمكننا أن نقرّر بدون أيّ تردّد أنّ القرآن الكريم كتاب حوار لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنّ الحوار مشروع إسلامي، فالله عزّ وجلّ يُحاوَرُ من قبل ملائكته في مشهد رائع، يتجلّى فيه الحِلم الربّانيّ، وهاهو حوار إبليس مع الله عزّ

[1] أحمد عوض، فقه الحوار في ضوء السنّة النّبويّة، ص43.

[2] المرجع نفسه، ص44.

وجلّ في مشاهد متعدّدة، ثمّ هاهم الأنبياء يحاورون ربّهم في مناسبات كثيرة، هذا وقد أشار كثير من الباحثين على أنّ الفعل: "**قال**" ومشتقاته وردت في القرآن أكثر من ألف وسبعمائة مرة (1700)، ممّا يدل على المساحة الكبرى التي تحتلّها المشاهد الحوارية في القرآن الكريم.[1]

وبهذا يتأكّد لنا أنّ القرآن الكريم يعتمد اعتمادا كبيرا على أسلوب الحوار في توضيح المواقف وجلاء الحقائق وهداية العقول وتحريك الوجدان واستشاجة الضمير وفتح المسالك التي تؤدّي إلى أحسن التلقي والاستجابة والتدرج بالحجّة، احتراما لكرامة الإنسان، وإعلاءا لشأن عقله الذي ينبغي أن يقتنع عن بيّنة ونور، وقد آتى هذا النوع من الحوار أُكله وحرّك في العقول والقلوب أثره.

فالقرآن الكريم هو الذي يجب أن يدرس دراسة واعية لنجد فيه الوثيقة الرائعة من وثائق الحوار الديني.

وقد كان القرآن الكريم في حياة المسلمين يمثّل المدرسة التي انطلق منها النّبي ﷺ وأصحابه ــ رضوان الله عليهم ــ في الأساليب المتنوعة للحوار والدروس العلمية التي تجسّد وصول الحوار إلى هدفه التربوي وغيره من الأهداف.

لذا يجب على المؤمن أن يعتمده أسلوبا ومنهجا في تبليغ دينه، قال الله تعالى: ﴿**وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴿٨٣﴾**﴾ البقرة: ٨٣. ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾** ﴾ الإسراء: ٥٣.﴿ **وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾** ﴾ الحج: ٢٤. ﴿ **فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾** ﴾ طه: ٤٤.﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾** ﴾ إبراهيم: ٢٤ - ٢٦.

[1] سعد الدين العثماني، في فقه الحوار، منشورات الفرقان، ط1، 1993، ص19.

الفصل الأوّل:
مظاهر الحوار في السنّة النّبويّة

المبحث الأول: الحوار مع المسلم المخالف

المطلب الأول: الحوار بين العلماء

المطلب الثاني: الحوار في مجال التعلّم

المطلب الثالث: الحوار مع العوام

المطلب الرابع: الحوار في الفتن والنوازل

المطلب الخامس: الحوار في باب السّياسة الشّرعية

المبحث الثاني: الحوار مع غير المسلم

المطلب الأول: الحوار مع اليهود

المطلب الثاني: الحوار مع النّصارى

المطلب الثالث: الحوار مع المنافقين

المطلب الرابع: الحوار مع المشركين

المبحث الثالث: الحوار مع المسلم غير المخالف

المطلب الأول: الحوار مع النّساء عموما

المطلب الثاني: الحوار مع أمّهات المؤمنين

المطلب الثالث: الحوار مع الشّباب

المطلب الرابع: الحوار النّبوي مع الأطفال

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

إنّه من الملاحظ أثناء تتبّع الأحاديث النّبويّة في كتب السنّة أنّ الحوار كان له النّصيب الأوفر في مواقف النّبيّ ﷺ أثناء تعامله مع غيره من المسلمين وغير المسلمين من الكفّار والمنافقين، إذ أنّه قد حاور كلّ أصناف المجتمع، وذلك لطبيعة الرسالة ومتطلباتها، وفي هذا الفصل ــ بإذن الله ــ سأبيّن فعالية الحوار النّبويّ، وذلك من خلال عرض واستحضار بعض المواقف التي تجسّد ذلك، هذا من جهة، ومن جهة أخرى حتى أبيّن أنّ النّبيّ ﷺ لم يقتصر في حواره على فئة دون أخرى بل اشتمل حواره جميع فئات المجتمع، إذ كان نتيجة ذلك أن ترى معه الفقير والغني والصغير والكبير والرجل والمرأة، وترى ممّن آمن الحبشي والفارسي والعربيّ والروميّ.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول:الحوار مع المسلم المخالف

قد يقع الخلاف بين الصحابة رضوان الله عليهم فيتوجهون إلى النّبيّ ﷺلإزالة هذا الخلاف، وذلك بطرح المسألة التي اختلف فيها، متأدّبين في ذلك مع معلّمنا محمّد ﷺ، فيقوم النّبيّ ﷺ بفتح المجال أمامهم ليشاركوه بأنفسهم حلّ هذا الخلاف ليكون بعدها أوقع في أنفسهم، هذا إن كان في عهده ﷺ، أمّا إن كان بعد ذلك فما على الصحابة إلاّ أن يقوموا ببسط المسألة وذلك بعرض ما لدى كلّ واحد منهم من رأي، ليقرّروا في الأخير ويتّفقوا على ما وافق عموم ماجاءت به الأدلّة من الكتاب والسنّة، يحدث ذلك كلّه في جوّ من الحوار الذي يتّسم بالهدوء والراحة والبعد عن الصخب ورفع الصوت، والذي إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على ذلك الرقيّ الذي يتحلّى به الأسلوب النّبويّ الرشيد في تبليغ شرع الله عزّ وجلّ، والذي سار على نهجه الجيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم، وتحت هذا العنوان سأعرض ــ بإذن الله ــ بعض الأمثلة التي تدلّ على حرص النّبيّ ﷺ على الحوار في إزالة الخلاف واقتداء الصّحابة رضي الله عنهم من بعده في ذلك.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: الحوار بين العلماء

بتتبع الأحاديث والآثار في السنّة النّبويّة نجد أنّ الحوار كان بين أكابر الصحابة الذين كان الاعتماد عليهم في المسائل العظام، هؤلاء الذين هم بمثابة العلماء الربانيّين آنذاك وحتى اليوم، وهذا ما نلمسه فيما يرويه البخاري عن زيد بن ثابت ﷺ أنّه قال: أرسل إليّ أبو بكر الصديق مقتل أهل اليمامه، فإذا عمر ابن الخطاب عنده، قال أبو بكر:إنّ عمر أتاني فقال: إنّ القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإنّي أخشى أن يستحرّ القتل بالقرّاء بالمواطن[1] فيذهب كثير من القرآن، وإنّي أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنّك رجل شابّ عاقل لا نتّهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه، فوا لله لو كلّفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ ممّا أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعسب[2] واللخاف[3] وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ التوبة: ١٢٨ حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفّاه الله، ثمّ عند عمر في حياته، ثمّ عند حفصة بنت عمر ﷺ.[4]

والمتأمّل في هذه المحاورة يلحظ ما يلي:

– أنّ موضوع الحوار كان في حفظ المصالح الكليّة للشريعة، فإنّ جمع القرآن في ذلك الوقت كان من خير ورّاث الشريعة، وهكذا الحوار بين العلماء يدور حول حفظ مقاصد الشريعة

---

[1] المواطن:المشهد من مشاهد الحرب: انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ج4، ص1398.

[2] العسب: جمع عسيب: وهو جريد النخيل، كانوا يكتبون في الطرف العريض منه، انظر الفائق في غريب الحديث لمحمود بن عمر الزمخشري، ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ، ج2، ص361، وغريب الحديث للهروي، ج1، ص151.

[3] اللخاف:جمع لخفة: وهي صفائح الحجارة الرقاق، انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ج4، 1259.

[4] البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير،سورة براءة، رقم 4402، والترمذي في سننه، كتاب التفسير، سورة التوبة،رقم: 1303.

ومصالحها الكلية.

– انتهج أطراف الحوار أسلوب التشاور في بحث القضية.

– اختيار التخصص العلمي، حيث أرسل أبو بكر ﷺ إلى زيد بن ثابت ﷺ دون غيره من الصحابة لما يتميّز به من دراية وعلم في هذا الباب.

– تكرار الحوار والمراجعة في القضية الواحدة، فقد قال أبو بكر ﷺ:" فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك".

– حرص زيد بن ثابت ﷺ على تنفيذ ما آل إليه الحوار من نتائج، لهذا قال"فقمت فتتبّعت القرآن أجمعه" وهذا يدلّ على المبادرة إلى الفعل والمسارعة إليه والحرص على تنفيذ ما اتفقا عليه من توصيات.[1]

ـــ أنّ الحوار بين العلماء العاملين والدّعاة الربّانيّين حوار هادئ فهو وسيلة من وسائل استحضار العلم ومعرفة دقائقه، حيث دار بين أبي بكر وعمر وزيد ـــ رضي الله عنهم ـــ حوار حول مسألة جمع القرآن ليتّفقوا في الأخير على جمعه.

ـــ **مناظرة عمر بن الخطاب لأبي عبيدة– رضي الله عنهما – في القدر**: روى البخاري رحمه الله – عن عبيد الله بن العباس – رضي الله عنهما أنّ عمر بن الخطاب ﷺ خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ[2] لقيه أمراء الأجناد – أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه – فأخبروه أنّ الوباء قد وقع في أرض الشام، فنادى عمر في النّاس: إنّي مصبح على ظهر، فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفرار من قدر الله ! قال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ! نعم، نفرّ من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت إن كانت لك إبل هبطت واديا له عدوتان، إحداهما خصبة جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله. [3]

---

[1] عبد الله الموصلي، فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنّة النّبويّة، ص109.

[2] سرغ: بفتح أوله وسكون ثانيه وغين معجمة والغين لغة فيه، وهو أوّل الحجاز وآخر الشام، وقال مالك بن أنس: هي قرية بوادي تبوك. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، حرف السين ج5،ص36.

[3] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، رقم 5397، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، رقم: 2219 ومالك بن أنس في الموطأ، كتاب الجامع، باب ما جاء في الطاعون، رقم: 1587.

قال الحافظ ابن عبد البر[1] -رحمه الله -: " وفيه دليل على أنّ الإمام والحاكم إذا نزلت به نازلة لا أصل لها في الكتاب ولا في السنّة كان عليه أن يجمع العلماء وذوي الرأي ويشاورهم، فإن لم يأت واحد منهم بدليل كتاب ولا سنّة غير اجتهاده، كان عليه الميل إلى الأصلح والأخذ بما يراه....وفيه دليل على إثبات المناظرة والمجادلة عند الخلاف في النوازل والأحكام،ألا ترى إلى قول أبي عبيدة لعمر- رحمه الله تعالى- نفرّ من قدر الله تعالى، فقال: نعم، أفر من قدر الله إلى قدر الله، ثمّ قال له:أرأيت، فقايسه وناظره بما يشبهه في المسألة...."[2].

فالذي يمكن أن نستنتجه تحت هذا العنوان أنّ الحوار بين العلماء العاملين والدّعاة الربانيّين حوار هادئ، فهو وسيلة من وسائل استظهار العلم ومعرفة دقائقه، وهذا الذي لاحظناه في المثالين السابقين.

المطلب الثاني: الحوار في مجال التعلّم

لقد حرص الصّحابة- رضي الله عنهم- على المذاكرة في العلم والمباحثة في مسائله، والتلطّف في استكشاف الصواب، والتأدّب في السؤال والجواب، والوقوف على الدليل وترك الخصومات ومالا فائدة فيه، لذا تلاحظ أنّ غالب مناظرات الصحابة مع بعضهم البعض هي من قبيل المناظرات العلمية النافعة، وهي تدور على بيان الشّريعة والحرص على تعلّم أدلّتها وأحكامها والأمثلة على ذلك كثيرة سأكتفي بذكر مثالين:

ـــ روى مسلم- رحمه الله- عن عروة بن الزبير ﷺ قال: كنت أنا وابن عمر مستندين إلى حجرة عائشة، وإنّا لنسمع ضربها بالسواك تستنّ، قال: فقلت يا أبا عبد الرحمن اعتمر النّبيّ ﷺ في رجب قال: نعم، فقلت لعائشة: أي أمتاه؟ ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن؟ قالت: وما يقول؟ قلت: يقول: اعتمر النّبيّ ﷺ في رجب فقالت: يغفر الله لأبي عبد الرحمن، لعمري ما اعتمر

[1] ابن عبد البر: أبو عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، شيخ علماء الأندلس، وكبير محدثيها، ولد سنة 368هـ، ألف في شرح الموطأ كتبا مفيدة منها: التمهيد، الاستذكار، توفي سنة 463هـ.

[2] ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد، ت: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1378هـ،ج8 ص 368.

في رجب وما اعتمر من عمرة إلاّ وإنّي لمعه، قال:وابن عمر يسمع فما قال:لا ولا نعم، سكت.[1]

يدلّ هذا النوع من الحوار في مجالس الصحابة على تفقه الصحابة في طلب العلم من جهة، وعلى أسلوبهم في الحوار من جهة أخرى، فهذا الحوار يعدّ نموذجا للحوار التعليمي القائم على السؤال والجواب وإحياء المجالس العلمية للمذاكرة في العلم والمناقشة في مسائله، والسؤال عمّا يشكل.

– قول عروة بن الزبير لعبد الله بن عمر: يا أبا عبد الرحمن، وقوله لعائشة: أيْ أمتاه، أدب جمّ، وحسن مخاطبة، وطيب كلام مع من يسأله وهذا يدلّ على عظيم الاحترام المتبادل بين الصّحابة ، وحرص كلّ واحد منهم على احترام الآخر ومناداته بأحبّ الأسماء إليه، قال الحافظ ابن حجر [2]– رحمه الله –:" ذكرته بكنيته تعظيما له، ودعت له إشارة إلى أنّه نسي."[3]

– عدم تعنيف المخطئ بل مخاطبته بالحسنى والحرص على تعليمه من غير اتّهامه بالجهل والقصور، لذا قالت عائشة:" يغفر الله لأبي عبد الرحمن، لعمري ما اعتمر في رجب."

– سكوت ابن عمر على إنكار عائشة يدلّ على احترامه للحقّ والوقوف عنده وعدم تجاوزه إلى غيره، وعدم المراجعة في الحوار من غير طائل لأنّ ذلك يفتح باب الجدل والمراء، يقول النووي – رحمه الله – في شرحه لهذا الحديث:" وأما قول ابن عمر: إنّ إحداهنّ في رجب، فقد أنكرته عائشة وسكت عمر حين أنكرته، قال العلماء: هذا يدلّ على أنّه اشتبه عليه أو نسي أو شك ولهذا سكت عن الإنكار على عائشة ومراجعتها بالكلام."[4]

– أنّ الوهم والنّسيان والخطأ أمور تطرأ على الأفاضل من أهل العلم، ولا يكون قدحا فيهم، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله ـــ في فوائد هذه المحاورة:" وفي الحديث أنّ الصحابي الجليل

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، كتاب العمرة، باب كم أعتمر النّبيّ ﷺ رقم: 1775، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب عدد عمر النّبيّ ﷺ وزمانهن، رقم 1255.

[2] ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد العسقلاني الأصل، المصري المولد نزيل القاهرة، ولد سنة 773 هـ، نشأ يتيما، وقد اثر من التآليف والتصانيف المفيدة حتى زادت على مائة وخمسين تصنيفا، توفي عام 852 هـ، انظر الجواهر الدرر في ترجمة شيخ الاسلام ابن حجر العسقلاني، ص: 46، وانظر رفع الأصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلاني، ص 62.

[3] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، مج 5، ص17.

[4] النووي، شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، ط2، ج8، ص176.

المكثر شديد الملازمة للنبيّ ﷺ قد يخفى عليه بعض أحواله، وقد يدخله الوهم والنّسيان لكونه غير معصوم... وفيه حسن أدب الردّ وحسن التلطّف في استكشاف الصواب إذا ظنّ السامع خطأ المحدّث."[1]

2ـ حوار مسروق لعائشة رضي الله عنهما في رؤية النبي ﷺ ربّه ليلة المعراج:

روى مسلم –رحمه الله– عن مسروقﷺ أنّه قال: كنت متّكئا عند عائشة –رضي الله عنها– فقالت: يا أبا عائشة، من تكلّم بواحدة منهنّ فقد أعظم على الله الفريّة، قلت: ما هنّ ؟ قالت: من زعم أنّ النّبيّ ﷺ رأى ربّه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متّكئا فجلست، فقلت: يا أمّ المؤمنين، أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله عزوجل: ﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ النجم: ٧، ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ النجم: ١٣، فقالت: أنا أوّل هذه الأمّة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: إنّما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرّتين، رأيته منهبطا من السماء سادّا عظم خلقه مابين السماء والأرض" فقلت: أولم تسمع أنّ الله يقول ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٠٣، أولم تسمع أنّ الله يقول: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ الشورى: ٥١، قالت: ومن زعم أنّ رسول الله ﷺ كتم شيئا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفريّة، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ المائدة: ٦٧، قالت: ومن زعم أنّه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفريّة، والله يقول: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ النمل: ٦٥.[2]

المتأمّل لهذه المحاورة يلاحظ أنّ عائشة رضي الله عنها قد أثارت مسألة علميّة بقولها: من

[1] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، مج5، ص13.

[2] البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، رقم: 4855،و مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معنى قوله عزوجل: "ولقد رآه نزلة أخرى "و هل رآى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء، رقم 287.

تكلّم بواحدة منهنّ فقد أعظم على الله الفرية، وهذا حتى تلفت مسروق ﷺ إلى الحديث والمناقشة، حيث استجاب على الفور ووجّه إليها سؤالاً بقوله: ما هن ؟

- المحاورة دلّت على فضل عائشة- رضي الله عنها- وقدرتها على الاستدلال بالقرآن المفسّر بالسنّة وطريقتها في ردّ الشبه والأدلّة الضعيفة.[1]

ـ رأت عائشة رضي الله عنها أنّ تلقي المسألة التي تريد أن توصلها إلى مسروق ﷺ عن طريق الأخذ والردّ في الكلام لا عن طريق التلقين، وذلك لما لهذه الطريقة من فائدة ترجى منها، وهي أنّها تكون أبلغ في نفس المتلقي.

- الاستعداد للحوار والتهيؤ له، يقول مسروق:وكنت متكئا فجلست....

- طلب مسروق من عائشة –رضي الله عنهما – أن تعطيه فرصة في الكلام وأن لا تتعجّل عليه في الحكم والجواب.

المطلب الثالث: الحوار مع العوام

للحوار مع العوام نصيب في السنّة النّبويّة، إذ نجد أنّ النّبيّ ﷺ لم يهمل العوام، بل حاورهم وجلس معهم حتى يبيّن لهم أمور دينهم فيلتزموا الطريق المستقيم، وهذا ما نلمسه في الحديث الذي يرويه البخاري عن أبي هريرة ﷺ– أنّ رجلا أتى النّبيّ ﷺ فقال: يارسول الله ولد لي غلام أسود، فقال: هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال: ما ألوانها، قال: حمر، قال: هل فيها من أورق؟[2]، قال نعم، قال:" فمن أين ذلك ؟ "قال: لعلّه نزعه عرق، قال:"فلعلّ ابنك هذا نزعه."[3]

إذ يستفاد من هذه المحاورة التي دارت بين النّبيّ ﷺ وهذا الرجل:

ـ فضّل النّبيّ ﷺ أن يحاور الرجل،ذ لّما عرض عليه شبهته، وذلك بقوله: هل لك من إبل ؟ بدل أن يقول له: الولد للفراش، وهذا حتّى يقتنع الرجل في الأخير وتزول عنه الشبهة نهائيا.

---

[1] عبد الله الموصلي، فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنّة النّبويّة، ص105.

[2] أورق: الذي فيه سواد وليس بصاف، انظر:النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ت: على الحلبي، ص968.

[3] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب إذا عرض بنفي الولد، رقم 4999 ومسلم في صحيحه كتاب اللغات، رقم: 1500و ابن ماجة، في سننه، كتاب النكاح، باب الرجل يشك في ولده، رقم 2002 وأبو داود في سننه، كتاب الطلاق باب إذا شك في الولد، رقم 2262 والترمذي في سننه،كتاب الولاء والهبة، باب فيمن تولى غير مواليه،أو ادعى إلى غير أبيه،رقم 2128 والنسائي في سننه،كتاب الطلاق، باب إذا عرض بامرأته وشكّ في ولده وأراد الانتفاء منه، رقم 5674.

-الإقناع والتدرج ومراعاة الحال والنظر إلى المآل أسس مهمّة عند محاورة العوام من النّاس، إذ لا تزول الشبهة عن قلوب الناس إلاّ من حيث دخلت، وقد كان ﷺ يزيل الشبهة من حيث دخولها.

ـــ أنّ الرجل استغرب بقلبه أن يكون هذا الغلام منه لا أنّه نفاه عن نفسه بلفظه.[1]أي إنّ الرجل قد وردت عليه شبهة، فاستعمل معه النّبيّ ﷺ أسلوب الحوار حتى يزيل عنه ما وجده في قلبه، وذلك بأسلوب بسيط يتناسب وحال هذا الرجل، فالنّبيّ ﷺ علم أنّ الشبهة قد دخلت عليه وأنّه قد وقع عنده أنّ زوجته أتت به من غيره، ولو قال له النّبي ﷺ هو ابنك، الولد للفراش، لم تزل عنه الشبهة، فعدل عن ذلك، وقال له: هل لك من إبل، قال: نعم.....الحديث.

المطلب الرابع: الحوار في الفتن والنوازل

الحوار في الفتنة كثيرة، نختار منها قصّة الإفك لشهرتها، ولما فيها من فوائد شرعية ودعوية. ذكرها شرّاح الحديث، فهي قضيّة مبسوطة في كتب الحديث والتفسير.

روى مسلم- رحمه الله- عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن أبي وقاص وعبيد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة- رضي الله عنها-: "..فأقبلت أنا وبنت أبي رهم قبل بيتي، وقد فرغنا من شأننا، فعثرت أمّ مسطح في مرطها[2] فقالت: تعس مسطح، فقلت لها:بئس ما قلت، أتسبّين رجلا شهد بدرا قالت: أي هنتاه[3] أو لم تسمعي ما قال، قالت: قلت: وما قال، فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددتّ مرضا على مرضي، فلمّا رجعت إلى بيتي ودخل عليّ رسول الله ﷺ – تعني سلّم- ثم قال: كيف تيكم؟ فقلت: أتأذن لي أن آتي أبويّ، قالت: وأنا حينئذ أريد أن أتبيّن الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ فجئت أبويّ فقلت لأمّي: يا أمتاه، ما يتحدّث النّاس؟ قالت:يا بنيّه هوّني عليك، فوالله لقلّما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبّها، ولها ضرائر إلاّ أكثرنّ عليها، قالت: فقلت: سبحان الله، أو لقد تحدّث النّاس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك اللّيلة

---

[1] النووي ، شرح صحيح مسلم،ج10، ص106.

[2] مرطها: بكسر الميم، وهو كساء من صوف وقد يكون من غيره، انظر غريب الحديث للهروي، ج1، ص227، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثر، ج4، ص1311.

[3] هنتاه: معناه يا هذه، وقيل يا امرأة، وقيل يا بلهاء كأنها نسبت إلى قلة المعرفة بمكايد الناس وشرورهم، أنظر النهاية في غريب الحديث والأثر، ج4، ص1550.

حتى أصبحت لا يرقأ[1] لي دمع، ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي، فدعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد – رضي الله عنهما – حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله، قالت: فأمّا أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وأمّا عليّ بن أبي طالب فقال: لم يضيّق الله عليك، والنّساء سواها كثير إن تسأل الجارية تصدّقك، قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة، فقال: أي بريرة هل رأيت من شيئ يريبك؟ قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحقّ إن رأيت عليها أمرا قطّ أغمصه[2] عليها أكثر من أنّها جارية حديثة السنّ تنام عن عجين أهلها فتأتي الدّاجن فتأكله.[3]

يقول الحافظ ابن حجر ــ رحمه الله ــ في ذكر فوائد هذا الحديث:" وفيه البحث عن الأمر القبيح إذا أشيع وتعرف صحّته وفساده بالتنقيب على من قيل فيه، هل وقع منه قبل ذلك معروفا بالخير إذا لم يظهر ما يخالف ذلك والتوقف في خبر الواحد، ولو كان صادقا وطلب الارتقاء من مرتبة الظنّ إلى مرتبة اليقين، وأنّ خبر الواحد إذا جاء شيئا بعد شيء أفاد القطع لقول عائشة: لأستيقن الخبر من قبلها وأنّ ذلك لا يتوقف على عدد معيّن "[4]، وفيه: " استحباب مشاورة الرجل أهل بطانته وأهله وأصدقائه فيما ينوبه من الأمور... وفيه المبادرة إلى قطع الفتن والخصومات والمنازعات، وتسكين الغضب..."[5]

ويدخل تحت هذا العنوان حوار عبد الله بن عمر رضي الله عنه مع الدّعاة في الفتنة حيث يروى البخاري–رحمه الله– عن عثمان بن موهب قال: جاء رجل حجّ البيت فرأى قوما جلوسا فقال: من هؤلاء القعود؟ قالوا:هؤلاء قريش فقال: من الشيخ؟ قالوا: ابن عمر، فأتاه، فقال: إنّي سائلك عن شيء أتحدّثني؟ قال: أنشدك بحرمة هذا البيت أتعلم أنّ عثمان بن عفان فرّ يوم أحد؟ قال: نعم، قال: فتعلمه تغيّب عن بدر فلم يشهدها ؟ قال: نعم، قال: فتعلم أنّه تخلّف عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم، قال: فكبّر، قال ابن عمر: تعالى لأخبرك ولأبيّن لك عمّا سألتني عنه، أمّا

---

[1] يرقأ: ينقطع، انظر:شرح النّووي على مسلم، ج17، ص99.

[2] أغمصه: بفتح الهمزة وكسر الميم أي: أعيبها، انظر: شرح النّووي على مسلم، ج17، ص99.

[3] البخاري صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله:" إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا"إلى قوله "الكاذبون "النور 12، رقم: 4750 ومسلم في صحيحه كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف،رقم 2770.

[4] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج8، ص 480.

[5] النّووي، شرح النّووي على مسلم، ج17، ص103.

فراره يوم أحد فأشهد أنّ الله عفا عنه، وأمّا تغيبه عن بدر، فإنّه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له النّبيّ ﷺ:" إنّ لك أجر رجل ممّن شهد بدرا ومهمه" وأمّا تغيبه عن بيعة الرضوان فإنّه لوكان أحد أعزّ ببطن مكة من عثمان بن عفان لبعثه مكانه فبعث عثمان وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكّة، فقال النّبي ﷺ بيده:" هذه يد عثمان "فضرب بها على يده فقال:" هذه لعثمان" اذهب بهذا الآن معك.[1]

والذي نستنتجه من هذا الأثر أنّ عبد الله بن عمر ﷺ قد فهم مقصد السائل ومراده فأجابه بحسب حاله، ليقول له في الأخير: اذهب بهذا الآن معك.

المطلب الخامس: الحوار في باب السياسة الشرعية

القضاء والسياسة فرعان من فروع الشريعة، لذا نجد النّبيّ ﷺ يولّيها اهتماما في تبليغ دعوته ومن بعده الصحابة – رضوان الله عليهم – وتحت هذا العنوان أحاول بإذن الله تعالى أن أعرض مثالين أظهر من خلالهما مظهرا من مظاهر الحوار في مجال السياسة الشرعيّة ألا وهما: المناظرة في سقيفة بني ساعدة، والآخر: حوار الصحابة مع عمر في تأخير البيان إلى وقت الحاجة:

ـ حوار الصحابة مع عمر في تأخير البيان إلى وقت الحاجة:

روى البخاري –رحمه الله – عن بن عباس ﷺ قال:كنت أقرئ عبد الرحمن ابن عوف، فلمّا كان آخر حجّة حجّها عمر، فقال عبد الرحمن بمنى: لو شهدت أمير المؤمنين، أتاه رجل قال: إنّ فلانا يقول: لو مات أمير المؤمنين لبايعنا فلانا، فقال عمر: لأقومنّ العشيّة فأحذّر هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغصبوهم، قلت: لا تفعل، فإنّ الموسم يجمع رعاع النّاس يغلبون على مجلسك فأخاف أن لا يتزلوها على وجهها، فيطير بها كلّ مطير، فأمهل حتى تقدم المدينة دار الهجرة ودار السنّة، فتخْلص بأصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار فيحفظوا مقالتك ويتزّلوها على وجهها، فقال: والله لأقومنّ به في أوّل مقام أقومه بالمدينة. قال ابن عباس: فقدمنا المدينة فقال: إنّ الله بعث محمّدا ﷺ بالحقّ وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أُنزل آيةُ الرّجم.[2]

دلّت هذه المحاورة على أهميّة أن يتخير الأمير الوقت الذي يكون فيه البيان والتحذير مناسبا،

[1] – البخاري صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى:" الذين تولوا منكم يوم التقى....." رقم: 1491 والترمذي في سننه كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان، رقم: 3706.

[2] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما ذكر النبي ﷺ...رقم 7323.

وأن يراعي أحوال المخاطبين وخاصة إن كانوا من الرعاع.

-أنّ الشريعة جاءت بجواز تأخير البيان إلى وقت الحاجة أو المصلحة وأنّ من المسائل مسائل جوابها السكوت.[1]

وقد بيّن هذا المعنى الشاطبي – رحمه الله – فقال:" ليس كل علم يبث وينشر، وإن كان حقا، وقد أخبر مالك عن نفسه أنّ عنده أحاديث وعلما ما تكلم فيها ولا حدّث بها، وكان يكره الكلام فيما ليس تحته عمل، وأخبر عمّن تقدّمه أنّهم كانوا يكرهون ذلك وضابطه أنّك تعرض مسألتك على الشريعة فإن صحّت في ميزانها فانظر في مآلها بالنّسبة إلى حال الزمان وأهله، فإن لم يؤدّ ذكرها إلى مفسدة فاعرضها في ذهنك على العقول، فإن قبلتها فلك أن تتكلّم فيها وإمّا على العموم إن كانت ممّا تقبلها العقول على العموم، وإمّا على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم، وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ فالسكوت عنها هو الجاري على وفق المصلحة الشرعية والعقلية."[2]

– الحوار في سقيفة بني ساعدة:

روى البخاري – رحمه الله- عن عائشة رضي الله عنها- زوج النّبيّ ﷺ أنّ رسول الله ﷺ مات وأبو بكر ﷺ بالسنح[3]، قال إسماعيل: يعني بالعالية، فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ قالت:و قال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلاّ ذاك وليبعثنّه الله فليقطعنّ أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ، فقبّله قال: بأبي أنت وأمي، طبت حيّا وميّتا، والذي نفسي بيده، لا يذيقك الله الموتتين أبدا، ثمّ خرج فقال: أيّها الحالف على رسلك، فلمّا تكلّم أبو بكر، جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، وقال: ألا ما كان يعبد محمّدا ﷺ فإنّ محمّدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لا يموت، وقال:« إنّك ميت وإنّهم ميتون» الزمر 30، وقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ

[1] ابن تميمة، مجموع الفتاوى، تـ: أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، ط3 1426هـ/2005م، ج20، ص59.

[2] إبراهيم الشاطبي، الموافقات، ت: أبو عبيدة مشهور آل سلمان، دار ابن عفان،ط1 1417ه/1997م،ج5، ص 172.

[3] السنح: منازل بني الحارث بن الخزرج بعوالي المدينة، وفيه نزل أبو بكر الصديق، وبينه وبين منزل النبي ﷺ ميل.

﴿١٤٤﴾ آل عمران: ١٤٤، قال: فنشج النّاس يبكون قال: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا: منّا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فذهب عمر يتكلّم فأسكته أبو بكر وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلاّ أنّي قد هيّأت كلاما قد أعجبني خشيت ألا يبلغه أبو بكر، ثمّ تكلّم أبو بكر فتكلّم أبلغ النّاس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حبّاب بن المنذر: لاو الله لا نفعل، منّا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا، ولكنّا الأمراء وأنتم الوزراء هم أوسط العرب دارا وأعربهم أحسابا، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح، فقال عمر:بل نبايعك أنت، فأنت سيّدنا وخيّرنا وأحبّنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه النّاس، فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة، فقال عمر قتله الله.[1]

حيث ظهر جليًّا خلال هذه المحاورة أخلاق الرعيل الأوّل في التعامل مع الغير وأسلوبهم الحكيم في الخطاب وطريقتهم ومنهجهم في تحصيل الصواب، بل ومسلكهم الشرعي في العلم والعمل، قال الحافظ بن حجر ــ رحمه الله ــ في فوائد حادثة السقيفة: "وفيه دليل على أنّ من خشي من قوم فتنة وأن لا يجيبوا إلى امتثال الحقّ أن يتوجّه إليهم ويناظرهم ويقيم عليهم الحجّة."[2]

– أنّ العالم الفاضل قد ينسى أحيانا بعض الأدلة والمقدّمات، وتفوته في الحوار بعض المسائل، فإنّ عمر بن الخطاب رجع عن ذلك، وقد كان قد علم الآية، ولكنّه نسيها لعظم الخطب الوارد عليه.[3]

– الذي يتصدّى للحوار في النّوازل من كانت له أهلية تقرير المصالح والمفاسد وله إحاطة بدلائل الشّرع وتفاصيله، وملكة على استنباط الأحكام وتنزيلها على الواقع، ومن له قوة يقين...و ثبات على الدين، فكانت هذه الخصال وغيرها مجموعة في أبي بكر ﷺ وقد عرف

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلا، رقم3667 والبيهقي في سننه، كتاب قتل أهل البغي، باب الأئمة من قريش، رقم 1613 وابن ماجه في سننه، كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته ﷺ، رقم 1627.

[2] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج12، ص 155

[3] ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلة على الجمعية المعطلة، ت: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط3،1418 هـ 1998، ج2 ص525.

عمرﷺ ذلك وسكنت نفسه إليها " فلمّا تكلم أبو بكر جلس عمر".

– بدأ الصديق ﷺ حواره بذكر الألفاظ الجامعة والمقدّمات العلمية والاستدلال لها بالمحكم من التنزيل،فجمع كلامه بين حسن التقعيد وقوة الاستدلال وقد تأسّى السلف في مناظرهم وتصانيفهم بهذه الطريقة العلمية، فقد غلب على كلامهم البدء بالجمل الجامعة والاستدلال النقلي لها، قال عبد الله القرطبي[1]:" وتجادل أصحاب النّبيّ ﷺ يوم السقيفة وتدافعوا وتقرّروا وتناظروا حتى صدر الحقّ في أهله."[2]

– هذه المناظرة في السقيفة لا تصّنف في باب النزاع والتضاد بل هي محاورة ومشاورة ومباحثة، لأنّهم ما انفصلوا حتى اتفقوا ومثل هذا لا يعدّ نزاعا.

– وقد دلّت بمنطوق ألفاظها على أدب أمير المؤمنين — عمر بن الخطاب ﷺ– في الحوار على ما جبل عليه من الحزم في أخذ الحق والقوّة في تنفيذه وأدبه في هذه المناظرة ظهرت من خلال سكوته عند تكّلم أبي بكر وحرصه على الإصغاء لقوله والوقوف عنده وكان حريصا على أن يتكلّم كلاما إلّا إذا وزنه في نفسه قبل التكّلم به، وكان يحرص على مخاطبة أبي بكر ﷺ بأحسن الألفاظ وأجمل العبارات، ومع ذلك كان عمر سبّاقا مبادرا إلى الأخذ بنتائج الحوار والمتمثّل بعقد البيعة لخليفة المسلمين بعد نازلة وفاة النّبيّ ﷺ.[3]

[1] القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الأندلسي أبو عبد الله القرطبي، من كبار المفسرين محدث من أهل قرطبة بالأندلس، من كتبه الجامع لأحكام القرآن في عشرين جزءا يعرف بتفسير القرطبي، قمع الحرص بالزهد والقناعة، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، التذكار في أفضل الأذكار، والتذكرة لأحوال الموتى وأحوال الآخرة، التقريب لكتاب التمهيد، انظر الاعلام، ج5، ص322، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي مج3، ج5 ص335.

[2] أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ت: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، 2003م، ج3، 286

[3] ابن تيمية، مناهج السنة النبوية، ت: محمد رشاد سالم نط 1،مؤسسة قرطبة، ج1، ص.63

المبحث الثاني: الحوار مع المخالف غير المسلم

تبيّن لنا فيما سبق أنّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد استعملوا أسلوب الحوار في تبليغ رسالتهم إلى بني البشر، فدخلوا مع خصومهم في حوار متشعب القضايا، تحدّى به الأنبياء جهل أولئك الخصوم وضيق أفقهم حين أثاروا حولهم القضايا التي تشغل عقل الإنسان، سواءً تعلّق الأمر بطبيعة خلقه أو بالحكمة من وجوده أو مصيره بعد موته، ليأتي بعدهم خاتمهم محمّد ﷺ لينتهج هو الآخر منهج إخوانه الذين سبقوه من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام في التعامل مع من اعترض دعوته إلى الطريق المستقيم الذي أمره الله عزّوجلّ بالاستقامة عليه هو ومن تاب معه من المؤمنين ؛ حيث قال الله عزّ وجلّ: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ هود: ١١٢ فما كان عليه ﷺ أمام هؤلاء المعترضين إلّا أن يدعوهم إلى الإسلام عن طريق إثارة قضايا وتقديم استفهامات تلفت عقولهم إلى التفكير فيما يدعو إليه من حق، حيث كانت هذه الأخيرة بمثابة القواعد التي أرسى عليها مبدأ الحوار معهم فدعاهم إلى التأمّل إلى هذا الكون واستفهم من خلقه، قال تعالى:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ العنكبوت: ٦١ - ٦٣.

والأحاديث النّبويّة الشريفة كثيرة تحت هذا الباب تبيّن لنا بوضوح حقيقة هذا المعنى وتجلّيه لكلّ منصف عاقل يتفحّص أحاديث النّبيّ ﷺ ومواقف الصحابة –رضي الله عنهم- بكلّ موضوعية.

المطلب الأول: الحوار مع اليهود

إذ كان من عادة اليهود محاولة إيقاع النّبيّ ﷺ في الحرج بكثرة الأسئلة وإثارة الشبه إذ كانوا أهل علم وجدل فكان _عليه الصلاة والسلام_ يحاورهم ويجادلهم بالتي هي أحسن، فيجيب عن أسئلتهم وإشكالاتهم وشبههم التي يثيرونها، كلّ ذلك في غاية ما يكون من الحسن

ولين الكلام وقوّة الحجّة[1] ومن ذلك ما جاء في صحيح مسلم عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ حدّثه قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود قال: السلام عليك يا محمّد، فدفعته دفعةً كاد يصرع منها، فقال: لِمَ تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله ! فقال اليهوديّ: إنّما ندعوه باسمه الذي سمّاه به أهله، فقال رسول الله ﷺ:" إنّ اسمي محمّد الذي سمّاني به أهلي"، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله ﷺ:" أينفعك شيء إن حدّثتك؟ قال: أسمع بأذنيّ، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه، فقال:" سل "، فقال اليهوديّ: أين يكون النّاس يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات ؟، فقال رسول الله ﷺ:" هم في الظلمة دون الجسر" قال: فمن أولّ النّاس إجازة؟ قال: "فقراء المهاجرين"، قال اليهوديّ: فما تحفتهم حين يدخلون الجنّة؟ قال:" زيادة كبد النون"، قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال:"ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها"، قال: فما شرابهم عليه؟ قال: "من عين فيها تسمّى سلسبيلاً" قال: صدقت، قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلاّ نبيّ أو رجل أو رجلان، قال: ينفعك إن حدّثتك؟، قال: "أسمع بأذنيّ"، قال: جئت أسألك عن الولد، قال: "ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا مَنِيُّ الرجل مَنِيَّ المرأةِ أَذْكَرا بإذن الله، وإذا علا منيُّ المرأةِ منيَّ الرجل آنثا بإذن الله، قال اليهوديّ: لقد صدقت، وإنّك لنبيّ، ثم انصرف، فذهب، فقال رسول الله ﷺ: "لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله به."[2]

وفي هذا الحديث من أدب التجاوز عن المخالفات غير الجوهرية التي قد تعيق الهدف الأساس من الحوار كما فعل النّبيّ ﷺ عن جفاء اليهودي وغلظته [3] وفيه من أدب التعلم أنّه يجدر بطالب العلم أن ينتبه إليها، وهي السؤال عمّا ينفع والعمل بما يعلم، لقوله ﷺ: أينفعك شيء إن حدّثتك؟، فهذا من أدب التّعلم والحوار الذي يتأدّب به المتعلّمون [4].

---

[1] محمد بن إبراهيم الحمد، الحوار في السيرة النّبوية، ص187 بتصرف يسير .

[2] البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى...رقم:3151 وكتاب فضائل الصحابة، باب كيف أذي النبي ﷺ رقم:3729 وكتاب التفسير، سورة البقرة،رقم: 4210 وكتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، رقم 3329 وكتاب مناقب الأنصار، باب حدثني حامد بن عمر رقم: 3938 ومسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الحيض، باب بيان صفة منيّ الرجل والمرأة وأنّ الولد مخلوق من مائهما، رقم: 315.

[3] السيّد علي الخضر، الحوار في السيرة النّبويّة، رابطة العالم الاسلامي، ص166.

[4] المرجع نفسه، ص167 بتصرف.

فالنّبيّ عليه الصلاة والسلام كان يُلْزِم أهل الكتاب بما في كتبهم من العلم، وينعى عليهم مخالفتهم لما جاءت به رسلهم، وكانوا لعلمهم بالكتاب يوجّهون أسئلة تشتمل على شيء من الدقة والمعرفة وإن كانوا ضالّين، والحبر اليهودي في هذا الحديث حاور النّبيّ ﷺ وقد دار في خلده أنّ النّبيّ ﷺ لن يستطيع الإجابة عن أسئلته، غير أنّ ظنّه لم يكن في محلّه حيث أجابه النّبيّ ﷺعن تلك الأسئلة.[1]

ومثل هذا ما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: بينا أنا أمشي مع النبيّ ﷺ في خرب المدينة وهو يتوكّأ على عسيب معه فمرّ بنفر من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه لا يجيء فيه بشيئ تكرهونه، فقال بعضهم لنسألنّه، فقام رجل منهم فقال: قل يا أبا القاسم ما الروح ؟ فسكت فقلت: إنّه يوحى إليه فقمت فلمّا انجلى عنه قال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ **الإسراء:** ٨٥، قال الأعمش: هكذا في قراءتنا.[2]

– الحوار مع اليهود في حدّ الزاني:

روى مسلم ــ رحمه الله ــ عن البراء بن عازب ﷺ قال: مرّ على النّبيّ ﷺ بيهودي محمّما مجلودا فدعاهم رسول الله ﷺ فقال:"هكذا تجدون حدّ الزاني في كتابكم ؟" فقالوا:نعم، فدعا رجلا من علمائهم، فقال: "أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ؟ أهكذا تجدون حدّ الزّاني في كتابكم؟" قال: لا، ولولا أنّك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنّه كثر في أشرافنا، فكنّا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحدّ، قلنا: تعالوا فلنجمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله ﷺ:" اللهم إنّي أولّ من أحيا أمرك إذ أماتوه" فأمر به فرجم، فأنزل الله عزوجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ وَمَن

[1] محمّد إبراهيم الحمد، الحوار في السيرة النّبويّة ص 190.

[2] البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قوله: وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلا، رقم:125.

يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ المائدة: ٤١، ويقول: إئتوا محمّدا ﷺ فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفاتكم بالرجم فاحذروا، فأنزل الله تعالى ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المائدة: ٤٤، ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ المائدة: ٤٧، في الكفار كلّها.[1]

الذي يستفاد من هذا الحديث أنّ الحوار مع مثل هؤلاء القوم يقوم على إلزام الخصم بما يعتقده إن كان صحيحا، لهذا بادر النبي ﷺ إلى سؤالهم: "و هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم " قال الإمام النووي –رحمه الله-:" هذا السؤال ليس لتقليدهم ولا لمعرفة الحكم منهم، وإنّما هو لإلزامهم بما يعتقدونه في كتابهم."[2]

– عندما يكون الحوار يتعلّق بأصول الدّين وتشريعاته، فيتعيّن البدء بالحوار مع العلماء المتخصّصين وهذا أساس مهمّ في احترام التخصّص والبدء مع العارفين بموضوع الحوار دون غيرهم، فمحاورة العامّة من الكفار في قضايا لا علم لهم بها أمر لا جدوى منه، وهذا ظاهر في هذا الحديث: فدعا رجلا من علمائهم.

– يكشف هذا الحوار عن خيانة من خيانات اليهود وما أكثرها، حيث بدّلوا أحكام التّوراة، فأقاموها على الضّعيف وتركوا القويّ [3]

– وممّا يستفاد من هذا الحديث أيضا أنّه إذا كان عند الخصم نقاط التقاء مع ما عند المسلم، فالواجب هو الإقرار بهذا الحق وعدم الإكراه، لأنّ النبي ﷺ لم ينكر ما عند خصومه من نقاط التقاء مع دعوة الإسلام، وذلك لأنّ الإقرار بالحق في بعض المواقف مع الخصم لا يضعف من مركز الإسلام، بل إنّ ذلك قد يكون وسيلة من وسائل دعم الحق الذي نقرّ به عند خصوم الإسلام فنستطيع أن نقهر الباطل الذي يدافعون عنه.

---

[1] مسلم، صحيح مسل، كتاب الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة، رقم:1700، والنسائي في سننه كتاب الحدود، باب إقامة الإمام الحد على أهل الكتاب، رقم 7218 وابن ماجة في سننه، كتاب الحدود، باب رجم اليهودي واليهودية، رقم 2558.

[2] النّووي، شرح النّووي على مسلم، ص208.

[3] السيّد علي الخضر، الحوار في السيرة النّبويّة، ص163.

إذن فالنّبيّ ﷺ كان يستعمل أسلوب الحوار مع الخصوم من اليهود، وهذا الذي ظهر لنا من خلال هذا الحديث الذي بين أيدينا، "فقد طلب النّبيّ ﷺ منهم أن يعرضوا عقائدهم وأفكارهم، وذلك حتى يسحب منهم بعض الحقائق التي قد تتّخذ حجّة ضدّهم في مواقفهم الباطلة، وهكذا ليصل بهم إلى أحد أمرين: إمّا أن يستجيبوا للتحدّي الذي يكشف واقعهم المنحرف، وإمّا أن يعترفوا بالحق الذي قد ظهر لهم جليًّا في ذلك الموقف وضعف الباطل الذي يعتقدونه."[1]

وهذا ما نلمسه أيضا في الحديث الذي يرويه البخاري- رحمه الله- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّه جاء رجل من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمّد إنّا نجد أنّ الله تعالى يجعل السموات على إصبع والأرضيين على إصبع والشجر على إصبع، والماء على إصبع والثرى على إصبع وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النّبيّ ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ ﴾ الزمر: ٦٧.[2]، قال النّووي- رحمه الله -:" ظاهر الحديث أنّ النّبيّ ﷺ صدّق الحبر في قوله أنّ الله تعالى يقبض السموات والأرضيين بالأصابع، ثم قرأ الآية التي فيها الإشارة إلى نحو ما يقول."[3]

فالغاية من حوار المسلم مع خصوم الإسلام أيًّا كان انتماؤهم هو نصرة الحق بصرف النظر عند من يكون هذا الحق، يقول ابن حزم[4]- رحمه الله-: "و لا تقنع بغفلة خصمك في كلّ ما يمكن أن يصحّ قوله فإن وجدت حقا ببرهان فارجع إليه ولا تتردّد، ولا ترض لنفسك ببقاء ساعة آبيا من قبول الحق، وإن وجدت تمويها فبيّنه ولا تغترّ بذهاب خصمك عنه، فلعلّ غيره من أهل مقالته يتفطّن لما غاب عنه."[5]

---

[1] ابن يربح، أساليب التّعامل مع خصوم الإسلام في ضوء السنّة النّبويّة، إشراف: مطفر شاكر الحياني، جامعة بغداد، 1422ه، ص51 بتصرف.

[2] البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: "و ما قدروا الله حق قدره " رقم 4533، كتاب التوحيد،باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، رقم7075، باب قوله تعالى:« لما خلقت بيدي » رقم 6978 ومسلم في صحيحه، كتاب صفة المنافقين وأحكامهم، رقم 2786.

[3] النووي، شرح النووي على مسلم، ج 2، ص 130.

[4] ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب، الفارسي الأصل، ثمّ الأندلسي القرطبي، الفقيه الحافظ المتكلم الأديب، الظاهري، ولد سنة 384 هـ، من كتبه: المحلى، حجة الوداع، توفي عام: 456 هـ، انظر سير أعلام النبلاء، ج18، ص: 184، وانظر شذرات الذهب ج3، ص 299.

[5] محمد علي حماية ، ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1983م، ص208.

المطلب الثاني: الحوار مع النّصارى

لم يغفل النّبيّ ﷺ النّصارى في حواراته، إذ أنّ طبيعة الرسالة التي أمر بتبليغها تستوجب منه ذلك،" وفي السيرة النّبويّة ثلاث لقاءات مع هذه الفئة: لقاء المسلمين المهاجرين إلى الحبشة مع النّجاشي وحاشيته وأساقفته، ولقاء النّبي ﷺ مع عدي بن حاتم، ولقاء النّبيّ ﷺ مع وفد نصارى نجران "[1] وهنا سأقوم بإيراد اللقاء الأوّل والثاني.

– **الحوار مع وفد نصارى نجران:** حيث جاء في صحيح البخاري عن حذيفة بن اليمان قال: "جاء العاقب والسيّد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه، قال: فقال أحدهما لصاحبه:" لا تفعل، فوالله لئن كان نبيّا فلا عنّا نفلح ولا عقبنا من بعدنا "، قالا:"إنّا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلا أمينا ولا تبعث معنا إلّا أمينا "، فقال:" لأبعثنّ معكم رجلا أمينا حقّ أمين "، فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ، فقال:" قم يا أبا عبيدة بن الجرّاح"، فلمّا قام قال رسول الله ﷺ: "هذا أمين هذه الأمّة."[2]

والذي يستفاد من هذا الحديث أنّ النّبيّ ﷺ استجاب لطلب هذين النّصرانيين، وذلك بأن يبعث معهما رجلا يراه أمينا، فوقع منه الإختيار على أبي عبيدة ﷺ، يقول بن حجر–رحمه الله– في شرحه لهذا الحديث ما نصّه: " وفيها جواز مجادلة أهل الكتاب، وقد تجب إذا تعيّنت مصلحته، وفيها مشروعية مباهلة المخالف إذا أصرّ بعد ظهور الحقّ..."[3]

ـــ تعامل النّبيّ ﷺ مع هذين الوفدين بالحسنى، حيث" أكرم وفادتهما والتزم بأدب الجدال معهم "[4]، غايته في ذلك إظهار الحقّ لإقامة الحجّة على مخالفيه لا غير.

–الحوار مع عدي بن حاتم قبل إسلامه:

فقد أورد الإمام الترمذي عن عدي بن حاتمﷺ أنّه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ فرّ إلى الشام وكان قد تنصّر في الجاهلية فأسرت أخته وجماعة من قومه، ثم منّ رسول الله ﷺ على أخته

---

[1] السيّد علي الخضر، الحوار في السيرة النّبويّة، ص169.

[2] البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي،باب قصّة أهل نجران، رقم:4380، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصّحابة، باب فضائل أبي عبيدة بن الجرّاح، رقم: 4450.

[3] ابن حجر العسقلاني،، فتح الباري، ج7، ص697.

[4] السيّد علي الخضر، الحوار في السيرة النّبويّة، ص175 بتصرف يسير.

وأعطاها فرجعت إلى أخيها فرغبته في الإسلام وفي القدوم على رسول الله ﷺ، فقدم عدي إلى المدينة، وكان رئيساً في قومه طيئ وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم، فتحدّث النّاس بقدومه، فدخل على رسول الله ﷺ وفي عنق عدي صليب من فضّة، وهو يقرأ هذه الآية " اتخذوا أحبارهم ورهباهم أرباباً من دون الله " قال، فقلت: إنّهم لم يعبدوهم، فقال: " بلى إنّهم حرّموا عليهم الحلال وأحلّوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إيّاهم ". وقال رسول الله ﷺ: " يا عدي أيضرك أن يقال الله أكبر؟ فهل تعلم شيئاً أكبر من الله؟ أيضرك أن يقال: لا إله إلى الله، فهل تعلم إلهاً غير الله؟ ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم وشهد شهادة الحق، قال: فلقد رأيت وجهه مستبشراً، ثم قال: " إنّ اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون " [1]

والذي يستفاد من هذه المحاورة أنّ النّبيّ ﷺ "أراد بالأسوة الحسنة والفعل المباشر أن يعلّم عديّا بعضا من حقيقة النبوة فهي الرّحمة والتّواضع للنّاس والبعد عن زخرف الحياة الدّنيا طمعا في وعد الله "[2]، "حيث قام النّبيّ ﷺ بتقريب الوسادة إلى عديّ لعلمه بأنّه سيّد قومه، فكان لذلك أثره في نفسه" [3]، وبعدها فتح باب الحوار معه، كلّ ذلك طمعا في هدايته، وهو ما كان في نهاية هذه المحاورة، حيث استجاب عدي إلى أمر النّبيّ ﷺ، لأنّه علم يقينا أنّه لا يتكلّم عن هوى، بل هو صادق فيما يقوله، وأصبح بعد ذلك يحدّث بحديث إسلامه ليكون عبرة ودرسا للجميع.

[1] الترمذي، سنن الترمذي، كتاب التفسير، رقم: 3095، قال الألباني: حسن، انظر: صحيح سنن الترمذي، مج 3، ص 247.

[2] السيّد علي الخضر، الحوار في السيرة النّبويّة، ص178.

[3] محمّد إبراهيم الحمد، الحوار في السيرة النّبويّة، ص199 بتصرّف.

المطلب الثالث: الحوار مع المنافقين

حيث كان لهذه الفئة المخالفة أيضا نصيب من حواره ﷺ، فرغم كل الأذى والمعاملة السيّئة التي كانت تلحقه منهم، ورغم أنّ الله عزّ وجلّ قد أطلعه على ما تكنّه سرائرهم من الكفر وما تحمله من حقد للإسلام والمسلمين، حيث كان "القرآن يتزل من عند الله فيفضحهم أوّلا بأوّل حتى لا تسري سمومهم في المجتمع المسلم "[1] رغم كلّ هذا فالنّبيّ ﷺ لم يقابل ذلك بالمثل، بل حاورهم وتحمّل أذاهم حتّى يردّهم إلى جادّة الصواب، فغايته ﷺ أن يخرج النّاس من الظلمات إلى النور، ومن الأمثلة التّي تأكّد ذلك ما كان من أمره مع رأس المنافقين عبدالله بن أُبَي بن سلول.

جاء في الصحيحين عن أسامة بن زيد أنّ النّبيّ ﷺ ركب حمارا عليه إكاف تحته قطيفة فدكيّة[2]، وأردف وراءه أسامة بن زيد وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج وذلك قبل وقعة بدر، حتى مرّ في مجلسٍ فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود وفيهم عبد الله بن أبيّ بن سلول وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلمّا غَشِيَتِ المجلسَ عجاجةُ الدابةِ خَمَّر[3] عبدُالله بن أبيّ أنفه بردائه، ثمّ قال: لا تغبّروا علينا، فسلّم عليهم النّبي ﷺ، ثمّ وقف، فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبيّ بن سلول: أيّها المرء ! لا أحسن من هذا إن كان ما تقول حقاً فلا تؤذنا في مجالسنا وارجع إلى رحلك، فمن جاءك منّا فاقصص عليه، قال عبدالله بن رواحة: اغشنا في مجالسنا، فإنّا نحب ذلك، فاستبّ المسلمون والمشركون واليهود حتى همّوا أن يتواثبوا، فلم يزل النبيّ ﷺ يُخَفِّضُهم، ثمّ ركب دابّته، حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال: " أي سعد، ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب؟" يريد عبد الله بن أبيّ قال: كذا وكذا، قال: اعف عنه يا رسول الله واصفح، فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة _البلدة _على أن يتوّجوه فيعصّبونه بالعصابة، فلمّا ردّ الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شرق[4] بذلك، فلذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه النّبي ﷺ[5].

---

[1] السيّد علي الخضر، الحوار في السيرة النّبويّة، ص136.

[2] الإكاف:بكسر الهمزة شبه الرحال والأقتاب،انظر: شرح النووي على مسلم لأبي زكريا النووي،ج3، ص488.

[3] عجاجة الدابة:ما ارتفع من غبار حوافرها،خمّر: غطّاه، انظر: شرح النووي على مسلم لأبي زكريا النووي،ج3، ص488.

[4] شرق بكسر الرّاء، أي: غصّ، ومعناه:حسد النّبيّ ﷺ، انظر:شرح النّووي على مسلم ،ج 3،ص488.

[5] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب التسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين،رقم: 6254، ص735، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب في دعاء النّبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين، رقم:1798، ج12، ص123.

ومن الفوائد التي تذكر تحت هذا العنوان ما يلي:

– سعة صدر النّبيّ ﷺ وتجاوزه عمّن أخطأ في حقّه، حيث بيّن الحديث "ما كان عليه ﷺ من الحلم والصّفح والصّبر على الأذى في الله تعالى، ودوام الدّعاء إلى الله تعالى وتألّف قلوبهم."[1]

– لم يكن الأذى الذي لقيه النّبيّ ﷺ من رأس المنافقين حينما استقبله بذلك الاستقبال الذي لا يليق بذاته الأشرف ﷺ يمنعه من النزول عن دابّته، وقراءة القرآن عليهم ودعوتهم إلى الله تعالى،بل والأجمل والأهمّ من ذلك أنّه" أعطى الفرصة لمحاوريه، فتقدّمهم عبدالله بن أبي، فقال ما قال للنبيّ ﷺ، ثمّ ناداه بنداء المُنْكِر له ولنبوّته، فقال: أيّها المرء، و لم يقل: يا نبيّ الله أو يا أبا القاسم أو يا محمّد."[2]

– قام النّبيّ ﷺ وانصرف لمّا رأى من عدم جدوى حواره مع عبد الله بن أبيّ ومن معه، لذا يحسن بالمحاور أن لا يضيّع وقته في حوار من كانوا على شاكلة هؤلاء.

–" لمّا دخل النّبيّ ﷺ على سعد بن عبادة يريد أن يخبره بما جرى معه وعبد الله بن أبي، قال: يا سعد ! ألم تسمع ما قال أبو حباب ــ يريد عبدالله بن أبي ــ قال: كذا وكذا،" فتأمّل هذا الأدب الرفيع وهذه النفس الكبيرة وذلك القلب المفعم بالحب والعدل والإحسان...وذلك دليل على مدى تسامحه ورقته ورأفته وسلامة صدره وترفعه.."[3]

– وممّا يجدر التّنبيه عليه هنا أنّ النّبيّ ﷺ رغم كلّ ما لقيه من قبل عبد الله بن أبي إلّا أنّه عند وفاة الرّجل طلب ابنه قميص النّبيّ ﷺ ليكفّن فيه، أنّه لم يمانع من ذلك، بل ومشى إلى قبره، فلمّاوقف يريد الصلاة عليه وثب إليه عمر بن الخطاب وقال: أتصلي على ابنِ أُبَيٍّ وقد قال يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ يعدّد عليه قوله، فتبسّم رسول الله ﷺ وقال: أخِّر عني يا عمرُ فلمّا أكثرت عليه قال: "إنّي خيِّرت فاخترت لو أعلم أنّي إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها "،قال عمر بن الخطاب في نهاية الحديث: فصلّى عليه رسول الله "ﷺ، ثمّ انصرف، فلم يمكث إلاّ يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ

[1] النّووي، شرح النّووي على مسلم،ج 3، ص489.

[2] محمّد إبراهيم الحمد، الحوار في السيرة النّبويّة، ص201.

[3] المرجع نفسه، ص 204.

﴿وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ التوبة: ٨٤، قال: فعجبت بَعْدُ من جرأتي على رسول الله ﷺ يومئذٍ والله ورسوله أعلم[1]. وفي هذا دليل على مدى حلم وصبر وعفو النّبيّ ﷺ على مخالفيه، "والمتأمّل للسيرة النبوية يلحظ أنّ النّبيّ ﷺ لم يكن ليستعديَ أحداً من الناس كائناً من كان، بل كان يخطب الودّ في كافة حواره، وفي أيّ فرصة تسنح له"[2]

المطلب الرابع: الحوار مع المشركين:

لقد خرج ــ عليه الصلاة والسلام ــ في بيئة عمّ فيها الشرك والتقرب للأوثان فكانت قبيلة قريش على الشرك، وقد جاء بتلك الدّعوة الطاهرة التي تأمر النّاس بتوحيد الله وتنهاهم عن الشرك به فما كان من أولئك القوم إلاّ أن كذّبوه وناصبوا له العداء، فكان يعفو ويصفح ويلقاهم بالجميل ويعرض عليهم الدّعوة بوضوح وجلاء [3].

وهذا ما نلمسه في الحديث الذي يرويه مسلم – رحمه الله – عن جابر بن عبد الله أنّه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ قبل نجد، فأدركنا رسول الله ﷺ في واد كثير العضاة [4]"شجر ذو شوك "، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة، فعلّق سيفه بغصن من أغصانها، قال، وتفرّق النّاس في الوادي يستظلّون بالشجر، فقال رسول الله ﷺ: "إنّ رجلا أتاني وأنا نائم، فأخذ السّيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي، فلم أشعر إلّا والسّيف صلتا[5] في يده "، فقال لي: من يمنعك منّي، قال: قلت:" الله "، قال: فشام السّيف[6]، فها هو ذا جالس، فلم يعرض له رسول الله ﷺ.[7]

والذي نستنتجه من هذا الحوار الذي دار بين النّبيّ ﷺ وبين هذا الأعرابي، أنّه ﷺ الرّحمة المهداة إلى العالمين، رغم أنّ الأعرابي حاول قتله إلّا أنّه ﷺ قد عفا عنه، "لعلّ هذا الموقف يؤثّر في الأعرابي

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من الصلاة على المنافقين والاستغفار...، رقم:1366، ص156.

[2] محمّد إبراهيم الحمد، الحوار في السيرة النّبويّة، ص204.

[3] المرجع نفسه، ص 205.

[4] كثير العضاة،:كلّ شجرة ذات شوك، انظر: صحيح مسلم بشرح النّووي، ج4، ص445.

[5] صلتا: مسلولا، انظر: صحيح مسلم بشرح النّووي، ج4، ص 445.

[6] شام السّيف: إذا سلّه، وإذا أغمده وهو من الأضداد، وهنا بمعنى أغمده، انظر: صحيح مسلم بشرح النّووي، ج 4، ص 445.

[7] مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب توكّله على الله تعالى وعصمة الله تعالى له من النّاس، رقم: 843.

فيسلم، وبذلك ينقذه الله تعالى من النّار بإذنه "[1]فما أحوجنا نحن اليوم إلى مثل هذه المواقف في تعاملنا مع الآخرين.

وهذا ما نلمسه أيضا في الحديث الذي جاء في صحيح مسلم عن ابن شماسة المُهْرِي قال: حَضَرْنا عَمْرَو بن العاص وهو في سياقة الموت، فبكى طويلاً وحوّل وجهه إلى الجدار، فجعل ابنُه يقول: يا أبتاه، أما بشّرك رسول الله ﷺ بكذا، أما بشّرك رسول الله ﷺ بكذا؟ قال: فأقبل بوجهه فقال: إنّ أفضل ما نُعِدّ شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ﷺ، إنّي كنت على أطباق ثلاثٍ لقد رأيتني وما أحدٌ أشدّ بغضاً لرسول الله ﷺ منّي ولا أحبّ إليّ أن أكون قد استمكنت منه فقتلته، فلو مُتُّ على تلك الحال لكنت من أهل النار، فلمّا جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبيّ صلّ الله عليه وسلّم، فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: "ما لك يا عمرو؟" قال: قلت: أردتُ أن أشترط، قال: "تشترط بماذا؟" قلت: أن يُغْفَر لي، قال: "أما علمت أنّ الإسلام يهدم ما كان قبله، وأنّ الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأنّ الحجّ يهدم ما كان قبله؟" وما كان أحد أحبّ إلي من رسول الله ﷺ ولا أجلّ في عيني منه، وما كنت أُطيق أن أملأَ عينيّ منه إجلالاً له، ولو سُئلت أن أصفه ما أطَقْتُ ؛ لأنيّ لم أكن أملأ عينيّ منه، ولو مُتُّ على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنّة، ثمّ وَلِينَا أشياءَ ما أدري ما حالي فيها، فإذا أنا مُتّ فلا تَصْحَبْني نائحةٌ ولا نارٌ فإذا دفنتموني فشنّوا عليَّ التراب شناً، ثمّ أقيموا حول قبري قَدْرَ ما تُنحر جزور ويُقسم لَحْمُها حتى أسْتَأْنِسَ بكم، وأنظر ماذا أراجعُ به رسلَ ربي.[2]

والشاهد ههنا ما كان في حوار عمروٍ للنبيّ ﷺ لّما أراد الدخول في الإسلام وذلك عندما قال: فقبضت يدي، فقال الرسول ﷺ: "مالك يا عمرو"فإنّ عمراً ههنا توقّف وأراد أن يعرف مصير أعماله التي سلفت منه في الكفر فاشترط أن يغفر له فما كان من النبيّ ﷺ إلّا أن أقبل عليه ورغّبه في الإسلام وبَشَّره بأعظم ممّا كان يتصور وبيَّن له أنّ الإسلام والهجرة والحجّ، كلّ أولئك يهدم ما قبله فكان ذلك دافعاً لإقبال عمرو على الإسلام[3].

وهذا ما نلمسه أيضا في الحديث الذي يرويه أنس بن مالك قال: نهينا أن نسأل رسول الله

---

[1] السيّد علي الخضر، الحوار في السيرة النّبويّة، ص153.

[2] مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحجّ، رقم: 121.

[3] محمّد إبراهيم الحمد، الحوار في السيرة النّبويّة، ص207.

عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله، ونحن نسمع فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمّد أتانا رسولك فزعم أنّك تزعم أنّ الله أرسلك، قال: "صدق " قال: فمن خلق السماء؟ قال: "الله" قال: فمن خلق الأرض؟ قال:" الله "، قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: "الله" قال: فبالذي خلق السماء والأرض ونصب الجبال ءالله أرسلك؟ قال: "نعم" قال: وزعم رسولك أنّ علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا؟ قال:" صدق"، قال: فبالذي أرسلك ءالله أمرك بهذا؟ قال:" نعم" قال: وزعم رسولك أنّ علينا زكاة في أموالنا؟ قال: "صدق"، قال: فبالذي أرسلك ءالله أمرك بهذا؟ قال:" نعم " قال: وزعم رسولك أنّ علينا صوم شهر رمضان في سنتنا؟ قال:" صدق"، قال: فبالذي أرسلك ءالله أمرك بهذا؟ قال: "نعم" قال: وزعم رسولك أنّ علينا حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً؟ قال:"صدق" قال: ثمّ ولّى، قال: والذي بعثك بالحقّ لا أزيد عليهنّ ولا أنقص منهنّ، فقال النّبيّ ﷺ:"لئن صدق ليدخلنّ الجنة."[1]

قام النّبيّ ﷺ بالإجابة عن كلّ الأسئلة التي كانت من طرف هذا الأعرابي وهو ضمام بن ثعلبة كما بيّنت بعض الرّوايات، كلّ ذلك في غاية من الحلم والصبر، فكانت سببا في دخوله الإسلام.

- **حوار النّبيّ ﷺ مع عمرو بن عبسة عند إسلامه:**

روى مسلم – رحمه الله – عن أبي أمامة قال: قال عمرو بن عبسة: كنت – وأنا في الجاهلية – أظنّ أنّ النّاس على ضلالة، وأنّهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارا، فقعدت على راحلتي، فقدمت إليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفيا، جرءاء عليه قومه، فتلطّفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت ؟ قال: أنا نبي، فقلت: وما نبي، قال: أرسلني الله، فقلت: بأيّ شيء أرسلك، قال: "أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان،و أن يوحّد الله لا يشرك به شيء" قلت له:فمن معك على هذا النحو، قال: حرّ وعبد، قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممّن آمن معه، فقلت: إنّي متبعك، قال: إنّك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس، ولكن ارجع إلى أهلك، فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني، قال: فذهبت إلى أهلي، وقدم رسول الله ﷺ المدينة، وكنت في أهلي، فجعلت أتخبّر الأخبار، وأسأل النّاس حين قدم المدينة، حتى قدم نفر من أهل يثرب – من أهل المدينة – فقلت: ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة،

[1] البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قوله تعالى: " وقل رب زدني علما " طه 114، رقم:63، ص18 ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام، رقم 12، ج1، ص144.

فقالوا: الناس إليه سراع وقد أراد قومه قتله، فلم يستطيعوا ذلك، فقدمت المدينة فدخلت عليه، فقلت: يا رسول الله: أتعرفني، قال:" نعم، أنت الذي لقيتني بمكة"، قال: فقلت، بلى فقلت يانبي الله، أخبرني عمّا علّمك الله وأجهله، أخبرني عن الصلاة ؟ قال: فقلت: يا نبيّ الله أخبرني عمّا علّمك الله وأجهله، أخبرني عن الصلاة ؟ قال: صلّ صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع فإنّها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفّار، ثم صلّ، فإنّ الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقلّ الظلّ بالرمح، ثمّ أقصر عن الصلاة، فإنّه حينئذ تسجر جهنّم، فإن أقبل الفيء فصلّ،فإنّ الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر، ثمّ أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس، فإنّها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد الكفّار....."[1].

والذي يستفاذ من الحديث:

– النظر إلى حال المحاور الكافر إذا أراد الإسلام وطريقته في البحث عن الحق، لاختيار الأسلوب الذي يتناسب معه.

– الحوار هنا كان بصيغة الجواب والسؤال[2].

– النّاظر في هذا الحديث يرى أنّ النبيّ ﷺ قد بدأ في بيان مجمل الإيمان قبل الشروع في المفصل، ومراعاة التدرج في عرض موضوعات الفكرة ومسائلها.

– مراعاة حال المحاور إذا كان مستضعفا لهذا قال له النبيّ ﷺ:" ألا ترى حالي وحال النّاس، ولكن ارجع إلى أهلك فإن سمعت بي قد ظهرت فأتني."

– فهذه المحاورة تعدّ منهجا وأسلوبا في دعوة غير المسلم في حال الاستضعاف وعدم إهمال جانب القدرة في هذا الباب، فالتعجّل وتكليف المسلم بما لا يستطيع أمران مذمومان في الدّعوة والحوار.

[1] مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن سلمة، رقم: 832 والبيهقي في سننه، كتاب الصلاة، باب ذكر الخبر الذي يجمع النهي عن الصلاة في جميع هذه الساعات وأحمد في مسنده، مسند الشاميين حديث خالد بن الوليد، رقم:1707.

[2] عبد الله الموصلي، فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنّة النّبويّة، ص 183.

- حوار النّبيّ ﷺ مع المشركين في حال الحرب:

روى البخاري –رحمه الله- عن البراء بن عازب- رضي الله عنهما- قال: جعل النبيّ ﷺ على الرجّالة يوم أحد ــ وكانوا خمسين رجلا ــ عبدَ الله بنَ جبير، فقال: إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتّى أرسل إليكم، فهزموهم، قال: فأنا والله رأيت النّساء يشددن قد بدت خلاخلهنّ وأسوقهنّ رافعات ثيابهنّ، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة، أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون، فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله لتأتينّ النّاس فلنصيبنّ من الغنيمة، فلمّا أتوهم صُرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين، فذاك إذ يدعوهم الرسول ﷺ في أخراهم، فلم يبق مع النبيّ ﷺ غير اثني عشر رجلا فأصابوا منّا سبعين، وكان النبيّ ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومئة، سبعين أسيرا وسبعين قتيلا، فقال أبو سفيان: أفي القوم محمّد؟ ثلاث مرات، ثمّ قال:؟ أفي القوم ابن الخطاب؟ ثلاث مرات، ثم رجع إلى أصحابه فقال: أمّا هؤلاء فقد قتلوا، فما ملك عمر نفسه، فقال: كذبت والله يا عدوّ الله، إنّ الذين عددت لأحياء كلّهم، وقد بقي لك ما يسوؤك، قال: يوم بيوم بدر، والحرب سجال،إنّكم ستجدون في القوم مثله لم آمر و لم تسُؤني، ثم أخذ يرتجز: أعل هبل، أعل هبل، قال النبي ﷺ: " ألا تجيبوه" قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: قولوا: "الله أعلى وأجلّ" قال: إنّ لنا العزّى ولا عزّى لكم، فقال النّبي ﷺ:"ألا تجيبوه" قولوا: "الله مولانا ولا مولى لكم."[1]

ومن الفوائد المستفادة من هذه المحاورة ما يلي:

- مشروعية الجدال وردّ الخصم وإلزامه، ودفع كلامه وشبهته، فقد ظهر هذا الأسلوب في هذا الحديث عندما دار الجدل بين عمر وأبي سفيان في يوم أحد، ومن ذلك قول أبي سفيان: أعل أهبل، فقال عمر: الله أعلى وأجل، فقال أبوسفيان: لنا العزّى ولا عزّى لكم، فقال عمر: الله مولانا لا مولى لكم، إلى غير ذلك من مجادلة عمر لأبي سفيان.[2]

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف،رقم: 2874 والنسائي في سننه، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، رقم:3817 والنسائي في سننه، كتاب السير، باب التعبئة، رقم: 8635 وأحمد في مسنده، مسند الكوفيين، رقم:556.

[2] علي بن سعيد القحطاني، فقه الدّعوة في صحيح الإمام البخاري، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، 1421ه،ج2، ص741.

يقول ابن بطال[1] – رحمه الله-: "وفيه بيان أنّ النّبيّ ﷺ نهى جواب أبي سفيان عن الخوض فيما لا فائدة فيه."[2]

إنّ الذي يمكن أن نقرّه في آخر هذا المبحث أنّ النّبيّ ﷺ قد استعمل أسلوب الحوار مع غير المسلمين على اختلاف مللهم وعقائدهم، وذلك في سبيل إخراج النّاس من ظلمات الكفر والشّرك إلى نور الإسلام.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] ابن بطال: أبو حسن علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي ويعرف بـ: ابن اللجام، كان من أهل العلم والمعرفة، عني بالحديث، شرح الصحيح في عدة مجلدات، توفي سنة: 449 هـ، كان من كبار المالكية، انظر سير أعلام النبلاء للذهبي، ج17، ص 47.

[2] ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 1423هـ/2003م ج5، ص195.

المبحث الثالث: الحوار مع المسلم غير المخالف

المطلب الأول: الحوار مع النّساء عموما

لّما كانت المرأة تعتبر اللّبنة الأساس التي تقوم عليها الأسرة وبالتّالي المجتمع، فهي التي تقع على عاتقها مسؤولية أولادها في تربيتهم وتوجيههم وإرشادهم نحو ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، فإنّ النبيّ ﷺ قد أولى النّساء جانبا عظيما من اهتماماته وتوجيهاته، ممّا جعله يخصّ وقتا ليس بالقليل من أجل أن يقوم برعاية حقهنّ في التّعلّم، إذ كان يعقد لهنّ يوما يجتمعن فيه، ينصت لشؤونهن وأمورهنّ، ويحاورهنّ فيما ينتفعن من مواضيع، والسنّة النّبويّة حافلة بمثل هذه المواقف، والتّي إن دلّت على شيئ فإنّما تدلّ على أنّ الإسلام قد خصّ المرأة بمكانة عظيمة لا يمكن أن تحظى بها في أيّ دين أو ملّة، نأخذ من تلك الأمثلة ما رواه البخاري –رحمه الله– عن أبي سعيد الخدري أنّه قال: قال النّساء للنّبيّ ﷺ: غلبنا عليك الرّجال، فاجعل لنا يوما لنفسك، فوعدهنّ يوما لقيهنّ فيه، فوعظهنّ وأمرهن فكان فيما قال لهنّ:" ما منكنّ امرأة تقدّم ثلاثة من ولدها إلاّ كان لها حجابا من النّار" فقالت امرأة: واثنين ؟ قال:" واثنين."[1]

يقول ابن بطال –رحمه الله– في شرحه لهذا الحديث:" وفيه سؤال النّساء عن أمر دينهنّ، وجواز كلامهنّ مع الرّجال في ذلك فيما لهنّ الحاجة إليه، وقد أخذ العلم عن أزواج النبيّ ﷺ وعن غيرهنّ من نساء السلف."[2]

ـــ والذي يستفاد أيضا من هذا الحديث أنّ النبي ﷺ قد لبّى رغبة النساء في تعلمهنّ، فجعل لهنّ يوما لقيهنّ فيه فوعظهنّ وأمرهنّ.

ـــ كان ممّا أثاره النبي ﷺ في هذا المجلس: المرأة التي يموت لها ثلاثة من أولادها أنّه يكون لها حجابا من النّار، وهذا حتى يحفّز وينمّي في نفوسهنّ الإيمان واحتساب الأجر بالصّبر وعدم الجزع أثناء وقوع البلاء.

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوما على حده في العلم، رقم: 101 ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآدب، باب فضل من يموت له ولد فيحسبه، رقم: 2633 والنسائي في سننه، كتاب أهل العلم،باب هل يجعل العالم، للنساء يوما على حدة في طلب العلم،رقم: 5896 والبيهقي في سننه، كتاب الجنائز، باب ما يرجى في المصيبة بالأولاد، رقم:6928.

[2] ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج1، ص17.

ـــ كما أنّه أثار فيهنّ روح الحوار حيث قالت واحدة منهنّ: واثنين، وهذا ممّا يدلّ على أنّه ﷺ قد حرّك بداخلها روح السؤال، فقامت تسأله ﷺ.

ـــ جعل النبيّ ﷺ الحوارَ الأسلوبَ الذي سلكه في تعليم النّساء ووعظهنّ.

ومن ذلك ما روى مسلم –رحمه الله– عن ابن عمر– رضي الله عنهما ـــ عن رسول الله ﷺ أنّه قال:" يا معشر النّساء تصدّقن وأكثرنّ الاستغفار، فإنّي رأيتكنّ أكثر أهل النّار"، فقالت إمرة منهنّ جزلة[1]: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النّار، قال:"تكثرنّ اللّعن وتكفرن العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لبّ منكنّ"، فقالت: يارسول الله. وما نقصان العقل والدّين ؟ قال:" أمّا نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا نقصان العقل، وتمكث اللّيالي ما تصلّي، وتفطر في رمضان، فهذا نقصان الدّين."[2]

فالنّبيّ ﷺ قام بطرح السؤال على النّساء، بطريقة الإخبار لا الإنشاء، ولهذا سألته المرأة الجزلة، واستفسرت عن سبب كون النّساء أكثر أهل النّار، فبيّن النبيّ ﷺ لهنّ عن سبب كونهنّ أكثر أهل النّار حيث تكثرنّ اللّعن وتكفرن العشير.

ـــ وفيه مراجعة المتعلم العالم والتابع المتبوع فيما قاله إذ لم يظهر له معناه كمراجعة هذه الجزلة رضي الله عنها.[3]

ـــ لم يقتصر النّبيّ ﷺ الإجابة عن سؤال المرأة بل أضاف إلى ذلك بيان صفة من صفات النّساء وهي نقصان العقل والدين، وهذا حتى تستمرّ المرأة في حوارها له ﷺ، حيث استفسرت عن هذه الأخيرة فبيّن لها ذلك.

ـــ تدلّ هذه المحاورة على صبر النبيّ ﷺ وحلمه في تعليم النّساء ورغبته ﷺ في تعليمهنّ وعدم الملل من ذلك، بحيث يعرض المسألة ويدع لها الاستفهام حتى تدخل معه النّساء في الحوار.

وممّا يؤيّد هذا المعنى أيضا ما رواه البخاري – رحمه الله– عن عائشة رضي الله عنها– أنّ

---

[1] الجزلة: تامة، أوذات كلام جزل أي قوي شديد،انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير،ت:علي الحلبي،ص152.

[2] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، رقم:1393 ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الطاعات، رقم: 132 وابن ماجه في سننه كتاب الفتن، باب فتنة النساء، رقم:4003 والترمذي في سننه،كتاب الزكاة، باب زكاة الحلى،رقم: 635.

[3] النووي، شرح صحيح مسلم، ج2، ص65.

امرأة سألت النبيّ ﷺ عن الحيض كيف تغتسل منه ؟ قال:" تأخذين فرصة [1] ممسّكة فتتوضئين بها"، قالت: كيف أتوضّأ بها يارسول الله ؟ قال النّبيّ ﷺ:" توضئين"، قالت:كيف أتوضأ بها يا رسول الله ؟ قال النبيّ ﷺ:" توضئين بها"، قالت عائشة: فعرفت الذي يريد رسول الله ﷺ فجذبتها إليّ فعلّمتها. وفي رواية للبيهقي عن عائشة أنّها قالت: نعم النّساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهنّ الحياء أن يسألنّ عن الدّين والتفقه فيه.[2]

يقول ابن بطّال ــ رحمه الله ــ:" وفيه تكرار الجواب لإفهام السائل دون أن يكشف فيه مراجعة السائل إذا لم يفهم، وفيه أنّ السائل إذا لم يفهم بعض من في مجلس العالم والعالم يسمع أنّ ذلك سماع من العالم يجوز أن يقول فيه حدّثني وأخبرني." [3]

ــ أن النّبيّ ﷺ لم يفصّل للمرأة في جوابه عن سؤالها، واكتفى بقوله لها: توضّئين بها، لأنّه استحى من أن يفصّل لها في الأمر.

ــــ لم يكن الحياء يمنع النّساء من سؤال النّبيّ ﷺ فيما يتعلّق بأمور دينهنّ.

من هنا يتبيّن لنا جميعا أنّ النّبيّ ﷺ لم يهمل النّساء في التحاور معهنّ، بل جعل لهنّ الفرصة في أن يتّجهن إليه في حال استشكال بعض ما يخصهنّ في أمور دينهنّ، بل والأهمّ من ذلك أنّه كان ﷺ يقوم باستشارة بعضهن فيما يظنّ أنّ لهنّ به علما، ومن ذلك استشارته لبريرة في حادثة الإفك، حيث قال لها:"يا بريرة، هل رأيت منها شيئا يريبك "، فقالت بريرة:لا، والذي بعثك بالحقّ، إن رأيت منها أمرا أغمصه عليها قط، أكثر من أنّها جارية حديثة السنّ تنام عن العجين، فتأتي الدّاجن فتأكله..."، وفي هذا "دليل على أنّ المرأة ذات رأي واطّلاع ووجهة نظر، قد تخفى على عقلاء الرّجال "[4]

---

[1] فرصة: قطعة من قطن أو صوف أو خرقة،انظر:النهاية في غريب الحديث والأثر،ت:علي الحلبي، ص699.

[2] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب غسل المحيض، رقم:309 وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الأحكام التي تعرف بالدلائل وكيف معنى الدلالة وتفسيرها، رقم: 624، ومسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب استحباب استعمال المغسلة من الحيض فرصة مسك في موضع الدم، رقم: 332 والنسائي في سننه،كتاب الغسل والتيمم، باب العمل في الغسل من الحيض، رقم 427 وابن ماجه في سننه، كتاب الطهارة وسننها، باب في الحائض كيف تغتسل، رقم 642 وأبو داود في سننه، كتاب الطهارة باب الاغتسال من الحيض، رقم 316.

[3] ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج1، ص442.

[4] فهد الحمّودي، مقالات في السّياسة الشّرعيّة، الشّبكة العربيّة للأبحاث والنّشر، بيروت، ط1، 2014، ص273.

المطلب الثاني: الحوار مع أمّهات المؤمنين

حيث كان النّبيّ ﷺ يفتح المجال لزوجاته كي يحاورنه فعن عائشة أمّ المؤمنين أنّها قالت: أولّ ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النّوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثمّ حبّب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنّث فيه – وهو التعبّد – الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثمّ يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتّى جاءه الحقّ، وهو في غار حراء فجاءه الملك، فقالك اقرأ قال " ما أنا بقارىء ". قال: " فأخذني فغطّني حتى بلغ منيّ الجهد، ثمّ أرسلني، فقال: إقرأ، قلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ منيّ الجهد، ثمّ أرسلني، فقال: إقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء فأخذني فغطّني الثالثة، ثمّ أرسلني فقال: ﴿ **ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣** ﴾ **العلق: ١ - ٣**". فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: " زمّلوني زمّلوني ". فزمّلوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: " لقد خشيت على نفسي ". فقالت خديجة كلاّ والله ما يخزيك الله أبدا إنّك لتصل الرحم وتحمل الكلّ وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرءا تنصّر في الجاهلية،وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يا بن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا بن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا النّاموس الذي نزّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا ليتني أكون حيّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ "أومخرجيَّ هم". قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي.[1]

ما كان من النّبيّ ﷺ في هذه الأثناء إلاّ أن يتّجه إلى أمّ المؤمنين خديجة –رضي الله عنها –

[1] البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم: 3 وكتاب الأنبياء، باب وقال رجل مؤمن غافر 24-28 رقم: 3212 وكتاب التفسير، سورة العلق، رقم: 4670 وكتاب التعبير، باب أول ما بدء به رسول الله ﷺ من الوحي والرؤيا، رقم: 6581 ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم: 160 وأحمد في مسنده، مسند ابن عباس، رقم 2845.

فلمّا حاورها في شأنه وجد عندها السلوى والبشرى، حيث استدلّت وهي العاقلة الحصيفة، على من كان هذا شأنه من البرّ ومحبّة الخير للنّاس فلن يخذله الله، فسنّة الله تعالى تقتضي بأنّ الجزاء من جنس العمل، وانظر كيف هديت إلى الذهاب إلى إلى ابن عمّها ورقة بن نوفل، لأنّه كان ذا علم وكتابة ولم تذهب به إلى غيره،و شعورها به لأنّ هذا الأمر غريب، وليس من حسن ما يعتري البشر، لذا وجد النبيّ ﷺ عند ورقة ما سلّاه وبثّ فيه الروح وكان ذلك بسبب تلك الزوجة العاقلة[1]، يقول النووي – رحمه الله –:" وفيه مدح الإنسان في وجهه في بعض الأحوال لمصلحة نظر أو فيه تأسيس من حصلت له مخالفة من أمر وتبشيره وذكر أسباب السلامة له، وفيه أعظم دليل وأبلغ حجّة على كمال خديجة رضي الله عنها وجزالة رأيها وقوّة نفسها وثبات قلبها وعظم فقهها والله أعلم."[2]

"وفيه أنّه لايجب أن يسأل الفازع عن شيئ من أمره مادام في حالة فزعه.... وفيه أنّه من نزلت به ملمّة أنّ له أن يشارك فيها من يثق بنصحه ورأيه....و فيه جواز تزكية الرجل في وجهه بما فيه الخير."[3]

وهذا ما نلمسه أيضا في مشورة النّبيّ ﷺ لأمّ سلمة رضي الله عنها في التحلّل من العمرة في قصّة الحديبية في حديث طويل عندما قال النبيّ ﷺ لأصحابه: "قوموا فانحروا ثم احلقوا "، فما قام منهم رجل واحد، حتّى قال ذلك ثلاث مرات، فلم يقم منهم أحد، ثمّ دخل على أمّ سلمة، فذكر لها ما لقي من النّاس، فقالت أمّ سلمة: يا نبيّ الله ! أتحب ذلك ! اخرج ثم لا تكلّم أحدا منهم كلمة حتّى تنصر بذلك وتدعو حالقك فحلقه، فلمّا رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعض حتّى كاد بعضهم يقتل بعضا غمّا. [4]

فالنّبيّ ﷺ استجاب لمشورة أمّ سلمة حين أشارت عليه في شأن الحلق والذّبح ، وذلك عندما رأى من رجاحة عقلها وسداد رأيها، قال ابن حجر رحمه الله ـــ:"و يحتمل أنّها فهمت عن الصحابة أنّه احتمل عندهم أن يكون النّبيّ ﷺ أمرهم بالتحلّل أخذا بالرخصة في حقّهم، وأنّه هو

---

[1] أبو القاسم الخثعمي، الرّوض الأنف في تفسير السيرة لابن هشام، دار الفكر، بيروت، 1972م، ج1، ص396.

[2] النووي، شرح صحيح مسلم، ج2، ص 202.

[3] ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج1، ص38.

[4] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم: 2581 .

يستمرّ على الإحرام آخذا بالعزيمة في حقّ نفسه، فأشارت عليه أن يتحلّل لينتفي عندهم هذا الاحتمال، وعرف النّبيّ ﷺ صواب ما أشارت به ففعله، وفيه فضل المشاورة وأنّ الفعل إذا انضمّ إلى القول كان أبلغ من القول المجرّد، وفيه جواز مشاورة المرأة الفاضلة، وفيه فضل أم سلمة ووفور عقلها حتى قال إمام الحرمين:" لا نعلم امرأة أشارت برأي فأصابت إلاّ أمّ سلمة." [1]

وفي الحديث أنّ النّبيّ ﷺ لمّا قام فدخل على أمّ سلمة يحدّثها عمّا لقيه من النّاس، في عدم استجابتهم لأمره ـــ اعتراضا منهم على ذلك الصلح ـــ وهو غاضب أشارت عليه أن يخرج إليهم ولا يكلّم أحدا منهم، ويقوم فيحلق وينحر وسوف يفعل الصّحابة مثله، وهو ما حدث فعلا، حيث قام النّبيّ ﷺ فحلق ونحر، وفعل الصّحابة بفعله،"وفي هذا تنبيه إلى أنّ الزّوج العاقل هو من يعتنى بزوجته، ويرفع من شأنها ويحاورها، ويستشيرها فيما ينوبه من بعض أحواله، وفيه إرشاد إلى من يستهين بزوجته فلا يراها إلاّ هملا مضاعا، فلا يعتدّ بحوارها ولا يستشيرها في أيّ شيئ من شؤونه، ولا يأخذ برأيها إن هي أشارت، فيخسر بذلك خيرا عظيما وسعادة معجّلة." [2]

وأيضا ما نلمسه في الحديث الذي يرويه البخاري – رحمه الله – عن عائشة –رضي الله عنها – أنّها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: " إنّي لأعلم إذا كنت عنّي راضية وإذا كنت عنّي غاضبة "، قالت: فقلت: ومن أين تعرف ذلك ؟ فقال: أمّا إذا كنت عنّي راضية فإنّك تقولين:لا وربّ محمّد، وإذا كنت عنّي غضبى قلت:لا وربّ إبراهيم، قالت: قلت أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك.[3]

في هذه المحاورة نلحظ ما يلي:

– الصّبر على النّساء وعلى ما يبدو من الجفاء والحرج عند الغيرة لما جبلن عليه منها وأنهنّ لا تملكنها.[4]

– "أنّ عائشة– رضي الله عنها – كانت في حال الغضب تترك التّسمية اللّفظية ولا يترك

[1] ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج5، ص347.

[2] محمّد إبراهيم الحمد، الحوار في السيرة النّبويّة، ص170.

[3] البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب غيرة النساء ووجدهن، رقم: 4930 ومسلم، في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم –،باب في فضل عائشة –رضي الله عنها –، رقم: 2439 والنسائي في سننه، كتاب عشرة النساء، باب غضب المرأة على زوجها، رقم: 9156 وأحمد في مسنده،مسند عائشة، رقم: 2418.

[4] ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج7، ص354.

قلبها التعلقّ بذاته الكريمة ﷺ مودّة ومحبّة، وفيه ذكاء عائشة –رضي الله عنها – ومزيد فطنتها في اختيار ذكر إبراهيم –عليه الصلاة والسلام ـــ دون غيره من الأنبياء، فلمّا لم يكن بدّ من هجر الاسم الشريف أبدلته بمن هو منه بسبيل، حتّى لا تخرج عن دائرة التعلّق في الجملة." [1]

– "وممّا يدل عليه الحديث أيضا لطفه ﷺ، وحسن معاشرته لأهله."[2]

من هنا يتبيّن لنا جميعا أنّ النّبيّ ﷺ قد جعل لزوجاته رضي الله عنهنّ المجال في سؤاله والتّحاور معه، بل ولا يتحرّج في أن يأخذ برأي إحداهنّ في مسألة هي من أشدّ المسائل وأشقّها، لّما يتبيّن له سدادها ورشادها في رأيها الذي آلت إليه في المسألة، مثلما حدث في مشورته لأمّ سلمة رضي الله عنها، وهذا إن دلّ على شيئ فإنّما يدلّ على حسن عشرته لزوجاته والاهتمام بما يشغلهنّ، وذلك بالتّقرّب إليهنّ من خلال حوارهنّ وحسن الإصغاء إليهنّ،"فمن حقّ الزوجة على زوجها أن يحسن عشرتها فيهشّ عند لقائها ويمازحها ويداعبها تطييبا لقلبها وإيناسا في وحدتها، وإشعارا لها بمكانتها من نفسه وقربها من قلبه."[3] وذلك تأسيا بالنّبيّ ﷺ.

المطلب الثالث:الحوار مع الشّباب

لم يكن للنبيّ ﷺ أن يهمّش هذه الفئة من الشباب هي الأخرى في التحاور والإصغاء إلى ما يشغلها من مهمّات، بل كان ﷺ يولي لها جانبا عظيما من اهتماماته وانشغالاته، وهذا لما تمتلكه هذه الفئة من طاقات، تستغلّ بعدها في الدّعوة إلى الله تعالى على بصيرة من أمرها، وكذا في إعداد الجيوش التي تتصدّى لأعداء الإسلام والمسلمين.

ومن الأمثلة التي تدلّ على أنه ﷺ قد كان يحاور هذه الفئة ما روى البخاري– رحمه الله– عن مالك بن الحويرث قال: أتينا إلى النبيّ ﷺ ونحن شببة متقاربون فأقمنا عنده عشرين يوما وليلة، فلّما ظنّ أنّا قد اشتهينا أهلنا، وسألنا عمّن تركنا في أهلينا فأخبرناه وكان رقيقا رحيما، فقال:" ارجعوا إلى أهليكم فعلّموهم ومروهم، وصلّوا كما رأيتموني أصلّي فإذا حضرت الصلاة

[1] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج6، ص326.

[2] النّووي، شرح النّووي على مسلم، ج15، ص205.

[3] محمّد إبراهيم الحمد، الحوار في السيرة النّبويّة، ص173.

فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم."[1]

– قال ابن بطال ــ رحمه الله ــ"....ولذلك رقّ عليهم النبي ﷺ وصرفهم إلى أهلهم."[2]

– قال ابن حجر – رحمه الله – "....بأن يكون عرض ذلك عليهم عن طريق الإيناس بقوله: لو رجعتم إذ لو بدأهم بالأمر بالرجوع لأمكن أن يكون فيه تنفير، فيحتمل أن يكونوا أجابوه بنعم فأمرهم حينئذ بقوله: ارجعوا. " [4]

– "أدرك النّبيّ ﷺ بذوقه المرهف أن هؤلاء قد اشتاقوا إلى أهليهم، فسألهم عنهم، ثم أمرهم بالرجوع وتعليم أهلهم وأمرهم بالصلاة كما كان يصلّي."[3]

وممّا يأكّد هذا المعنى ما رواه أحمد –رحمه الله – عن أبي أمامة ﷺ قال:أتى النّبيّ ﷺ فتى من قريش، فقال: إيذن لي في الزّنا، فزجره القوم، فقال النّبيّ ﷺ:"أدن منّي"، فلمّا دنا منه، قال: "أتحب الزّنا لأمّك؟" قال: لا والله، قال:" ولا النّاس يحبّونه لأمّهاتهم"، قال:" أتحبّه لأختك؟" قال: لا والله قال:" ولا النّاس يحبّونه لأخواتهم" قال:" أتحبه لعمّتك؟ "قال: لا والله، قال:" ولا النّاس يحبّونه لعمّاتهم"، قال: "أتحبّه لخالتك؟" قال: لا والله، قال: "ولا النّاس يحبّونه لخالاتهم"، ثم وضع يده الشريفة ﷺ، وقال:" اللّهم اغفر ذنبه وطهّر قلبه وحصّن فرجه." [4]، وقال الألباني: صحيح[5].

الذي يتأمّل هذا الحديث يرى كيف كان تعامل النّبيّ ﷺ مع هذا الشاب الذي يطلب منه الإذن في ارتكاب الحرام، " فلم يعنّفه ﷺ وإنّما راعى حاله، فأدناه قريباً منه وأجلسه وحاوره بكلّ لطف، وبعد أن اقتنع الشابّ من خلال تلك الأسئلة الخمسة التقريرية وضع النّبيّ ﷺ يده الشريفة عليه، وفي ذلك مزيد عطف وحنان، و لم يكتف ﷺ بذلك فحسب، بل دعا له بثلاث

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة، رقم: 605 وكتاب الجماعة والإمامة، باب إذا استووا في القراءة فليؤمهم أكبرهن رقم:653 وكتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم: 5662 وكتاب التمني، باب مالا جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم رقم: 6819 ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب من لأحق الإمامة، رقم: 1567 والنسائي في سننه، كتاب الأذان، باب إحتزراء المرء بأذن غيره في الحضر رقم:635 والبيهقي في سننه، كتاب الصلاة، باب وجوب تعلم مت تجزىء الصلاة رقم: 2361 وباب فرض الجماعة في غير الجمعة على الكفاية رقم:1525 وباب وباب إذا استوو في الفقه، رقم: 5499.

[2] ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج2، ص307.

[3] محمّد إبراهيم الحمد، الحوار في السيرة النّبويّة، ص 175.

[4] أحمد، مسند أحمد، رقم: 22211.

[5] محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض،ج1،ص713 رقم: 369.

دعوات هو بأمسّ الحاجة إليها فكانت النتيجة أن طابت نفس ذلك الشاب."[1]

وهذا ما نلمسه أيضا في حديث ابن عمر يقول: أخذ النّبيّ ﷺ بمنكبيّ: فقال: "كن في الدنيا كأنّك غريب أو عابر سبيل" وكان ابن عمر يقول: "إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحّتك لمرضك ومن حياتك لموتك." [2]

في الحديث أنّ النّبيّ ﷺ أخذ بمنكبي ابن عمر رضي الله عنه عندما أراد أن يلقي عليه تلك الكلمات التي هي قليلة، ولكنّها ذات معاني عظيمة، وذلك حتّى تكون أوقع في نفسه، يقول المباركفوري في تعليقه على هذا الحديث:" قوله: بمنكبي فيها نكتته الأخذ وتقريبه إليه وتوجهه عليه ليتمكّن في ذهنه ما يلقى لديه."[3]، قال ابن بطال:" معنى الحديث: الحضّ على قلّة المخالطة وقلة الاقتناء والزهد في الدنيا"[4].

– مشاورته للشباب:

إذ كان النّبيّ ﷺ يشاور الشباب في المسائل التي يظنّ أنّ لهم فيها علم ووجهة نظر صحيحة وإن كانت كبيرة، وأشهر ما يروى في ذلك: مشاورته لأسامة بن زيد في قصّة حديث الإفك وفيه قالت عائشة رضي الله عنها: فدعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد – رضي الله عنهما– حين استلبث الوحي يستأ مرهما في فراق أهله، قالت: فأمّا أسامة فأشار على الرسول ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي لهم في نفسه من الودّ، فقال: يا رسول الله أهلك ولا تعلم إلاّ خيرا...الحديث.[5]

وفي هذا دليل على أنّ النّبيّ ﷺ لم يمنعه صغر هذا الشاب في أن يستشيره في أمر هو من أشدّ

---

[1] محمّد إبراهيم الحمد، الحوار في السيرة النّبويّة، ص 176.

[2] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: كن في الدنيا، رقم 6053 وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، رقم 1414 والبيهقي في سننه، باب ما ينبغي لكل مسلم أن يستعمله،رقم: 6747 والترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب قصر الأمل رقم: 2333 وأحمد في مسنده،ج مسند ابن عمر، رقم: 4764.

[3] المباركفوري: تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت،ج6، ص515.

[4] ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج10، ص 148.

[5] البخاري صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله:" إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا"إلى قوله "الكاذبون "النور 12، رقم: 4750 ومسلم في صحيحه كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف،رقم 2770.

الأمور وأعظمها، "وفي هذا تربية للشباب واستثارة لقرائحهم وزرع الثّقة في نفوسهم، فلا غروّ إذن أن يكون أسامة من أكابر الصحابة، وأن يكون ذا الرأي السديد والمواقف العظيمة إبّان الفتن التي جاءت بعد ذلك.[1]

المطلب الرابع: الحوار النّبويّ مع الأطفال

لم تمنعه ﷺ أمر الدّعوة إلى الله تعالى عن محاورة هذه الفئة من الأطفال الصّغار، فإنّ صاحب الخلق العظيم كان من عادته إذا لقي أحدا من هؤلاء الصّغار فإنّه كان يتلطّف معهم، إمّا بأن يمازحهم أو يقبّلهم أو يفعل معهم شيئا من هذا القبيل، إيناسا لهم واهتماما بهم، ومن ذلك:

_ حديث أبي عمير:

روى البخاري – رحمه الله- عن أنس بن مالك ﷺ قال: كان النّبيّ ﷺ أحسن الناس خلقا، وكان أخ لي يقال له أبو عمير، قال أحسبه فطيم، وكان إذا جاء قال: "يا أبا عمير، ما فعل النغير."[2] نغر كان يلعب به، فربّما حضر الصلاة وهو في بيتنا فيأمر بالبساط الذي تحته، فيكنس وينضح ثم يقوم، ونقوم خلفه فيصلّي بنا.[3]

وممّا نستفيده من الحديث ما يلي:

- كان حوار النّبيّ ﷺ مع الصّبيّ بنوع ممازحة قال ابن حجر ﷺ " وفيه جواز الممازحة وتكرير المزاح، وأنّها إباحة سنّة لا رخصة، وأنّ ممازحة الصبيّ الذي يميّز جائزة... وفيه التلطّف بالصديق صغيرا كان أو كبيرا، والسؤال عن حاله." [4]

_ الملاطفة أثناء الحوار، قال السّيوطي [5]– رحمه الله- في شرح الحديث:" وفيه ملاطفة

---

[1] محمّد إبراهيم الحمد، الحوار في السيرة النّبويّة، ص177.

[2] النّغير: مصغر نغر وهو طائر يشبه العصفور أحمر المنقار،انظر غريب الحديث لابن الجوزي، مج 2، ص421.

[3] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس،رقم: 5778 وباب الكنية للصبي وقبل أن يولد الرجل، رقم: 5850 وكتاب البر والصلة، باب المزاح رقم: 1983 وابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب المزاح، رقم: 3720 وباب الرجل يكني قبل أن يولد، رقم: 3740 والنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، باب التسليم على الصبيان والدعاء لهم ومازحتهم،رقم: 1064 وأبو داود في سننه، كتاب الأدب باب ما جاء في الرجل تنكي وليس له ولد، رقم: 4971.

[4] ابن حجر، فتح الباري، ص585، ج10.

[5] السيوطي: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن عثمان السيوطي، إمام حافظ مؤرخ، ولد سنة 849هـ، سافر إلى الحجاز والشام واليمن والهند والمغرب، له نحو 60 مصنفا منها: الإتقان في علوم القرآن، الإكليل في

الصّبيان وتأنيسهم وبيان ما كان عليه النّبيّ ﷺ من حسن الخلق وكرم الشمائل والتواضع."[1]

ـ واجه النّبيّ ﷺ الصغير بالخطاب عند المزاح فقال: "يا أبا عمير ما فعل النغير "، و لم يواجه بالسؤال عند العلم والإثبات بل خاطب غيره، فقال: ما بال أبي عمير.[2]

ـ دلّ الحديث على تواضع النّبيّ ﷺ وحلمه، حيث لم تمنعه مسؤولية الدّعوة إلى الله تعالى بأن يجعل جزءا من وقته في أن يلاعب الصغار ويمازحهم ويسألهم عن أحوالهم.

ومن ذلك حواره ﷺ مع أنس رضي الله عنه حيث روى مسلم –رحمه الله – عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ من أحسن النّاس خلقا، فأرسلني يوما لحاجة فقلت: والله لا أذهب لما أمرني به نبيّ الله ﷺ، فخرجت حتى أمرّ بصبيان، وهم يلعبون في السوق، فإذا برسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، وقال: فنظرت إليه وهو يضحك فقال: "يا أنيس، أذهبت حيث أمرتك ؟" فقال: قلت نعم أنا ذاهب يا رسول الله.[3]

وهذا ما نلمسه أيضا في حديث الغلام الذي كانت بيده تطيش في الطّعام، فيأكل من كلّ جهة، فقال له النّبيّ ﷺ: " يا غلام، سمّ الله وكل بيمينك، وكل ممّا يليك." يقول هذا الغلام: فما زالت تلك طعمتي بعد.[4]

حيث أراد النّبيّ ﷺ أن يعلّم الولد طريقة الأكل بأسوب لا تحرجه، وتحفظ ماء وجهه، وذلك بعدما رأى أنّ يده تطيش في الصّحفة، فأمره بثلاث أمور يلتزم بها عند الأكل: التّسمية، والأكل باليمين، والأكل ممّا يليه من الطّعام، وكأنّه يأمره بأمر عامّ، وليس بأمر قد لاحظه عليه، وهذا من أدب الحوار مع الصّغار يرشدنا إليه معلّمنا محمّد ﷺ.

استنباط التنزيل...الخ، توفي سنة 911 هـ، نظر شذرات الذهب، مج4، ج8، ص51، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة،ج5، ص128.

[1] السيوطي وآخرون، شرح سنن ابن ماجه، قديمي كتب خانة – كراتشي،ج1، ص265

[2] أحمد بن أبي أحمد الطبري، جزء فيه فوائد حديث أبي عمير، اعتنى به: حسين محمد علي شكري، دار المدينة المنورة،ط1، 1424هـ/2003م، ص53.

[3] مسلم صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كان الرسول ﷺ أحسن الناس خلقا، رقم: 2310 وأبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب الوقار، رقم: 4775.

[4] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب التّسمية على الطّعام والأكل باليمين، رقم:5061، ومسلم في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب الأكل ممّا يلي الآكل، رقم: 1305.

من هنا ندرك مدى عناية النّبي ﷺ بحوار الشّباب والصّغار، فرغم حداثة سنّ هؤلاء إلاّ أنّ النّبي ﷺ قد فتح المجال أمامهم ليحاورهم حتّى يسمع منهم انشغالاتهم واهتماماتهم، وهكذا ليصبحوا بعد هذه العناية النّبوية والتّوجيه والإرشاد من هذا المعلم النّاجح رجالا، فمنهم من قاد الجيوش ضدّ الشرك وأهله ومنهم من أصبح عالما يتعلّم على يديه الصّحابة والتابعين من بعدهم.

فعلى المربّين والدّعاة في زماننا أن يقتدوا بقدوتهم ﷺ، في تربية النّاشئة من الشّباب والأطفال، وأن لا يهملوا هذه الفئة، بل عليهم أن يولوا لها عناية خاصّة، وذلك بحوارهم والاستماع والإنصات لهم في كلّ ما يهمّهم من أمورهم الدّينيّة والدنيوية، وهكذا حتّى ينشئوا على المبادئ الصّحيحة التي توصلهم إلى برّ الأمان، فيسلمون من الزّيغ والانحراف والذي كثيرا ما يمسّ هذه الفئة بالذّات.

تبيّن لنا من خلال هذا الفصل كيف أنّ النّبيّ ﷺ كانت له العناية الكبيرة في حوار جميع الفئات دون استثناء أيّ فئة، حيث بيّنا من خلال المباحث التي مرّت معنا من هذا الفصل أنّ النّبي ﷺ كانت له حوارات مع المسلمين وغير المسلمين، لا يهمّه في ذلك إن كان من يحاوره صغيرا أو كبيرا، المهمّ أن يبلّغ دعوته التي أمره الله عزّ وجلّ بتبليغها إلى جميع النّاس، فكان أن حاور المسلم المخالف وغير المخالف، وكذا المخالف من غير المسلمين، وحتّى النّساء فقد عقد لهنّ مجالس ليعلّمهنّ أمور دينهنّ وذلك من خلال الحوار معهنّ، والإجابة عن كلّ ما يشغلهنّ، وكذلك هو الحال مع الشّباب والأطفال، إذ كان لهذه الفئة أيضا نصيب في حواره ﷺ.

الفصل الثاني:

آداب وضوابط الحوار في السنّة النّبويّة

المبحث الأول: الآداب النّفسيّة للحوار

المطلب الأول: التجرّد في طلب الحقّ

المطلب الثاني:مراقبة النّفس أثناء الحوار

المطلب الثالث:عدم اتّهام النيّات

المبحث الثاني: الآداب العلميّة للحوار

المطلب الأوّل: الحذر من الجدال

المطلب الثاني: البدء بالأهمّ في عرض الموضوعات

المطلب الثالث: الالتزام بالموضوعيّة أثناء الحوار

المبحث الثالث: آداب متعلّقة بجوّ الحوار

المطلب الأوّل: ملاءمة المكان

المطلب الثاني: ملاءمة الزّمان

المطلب الثالث: ملاءمة الموضوع وطريقة طرحه

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

وقبل أن أبدأ بذكر هذه الآداب والضوابط، عليّ أن أعرّج أوّلا على مفهوم هذه الآداب، إذ هي عبارة عن مجموعة من القواعد السلوكية التي ينبغي الالتزام بها عند المحاورة، "بغية تحقيق أهداف الحوار، وهي المزيد من التفاهم والإسهام في حلّ المشكلات، مع الإبقاء على العلاقات الإنسانية القائمة في حالة حسنة، دون تغيّر إلى الأسوأ، نتيجة اختلاف الآراء"[1]، وهذه الآداب قام بوضعها علماء فنّ البحث والمناظرة، ألزموها المتحاورين، محافظة على سلامة الحوار وتحقيقا للغرض منه.

وعليه فسأجمل بحول الله تعالى تحت هذا المبحث أهمّ الآداب التي تراعى أثناء الحوار، مستدلّة على ذلك بأمثلة من القرآن والسنّة النّبويّة التي تبيّن ذلك، حتّى نصل بهذا الأخير إلى نتائج وآثار حميدة، فقد قيل قديما: إذا صحّت النيّات والإرادات ظهرت العزائم، وإذا صحّت الأصول ظهرت الثمار والآثار.

[1] السيّد علي الخضر، الحوار في السيرة النّبويّة، ص108 .

المبحث الأول: الآداب النّفسيّة للحوار

والمراد بالآداب النّفسيّة للحوار: تلك التي تتعلّق بنفسيّة كلّ من المتحاورين وكذا بنوعيّة شخصيتهما، وما يتبنّاه من مبادئ، " إذ أنّ هناك ظروف نفسيّة قد تطرأ على الحوار ممّا يجعلـه يتأثّر سلبا، فينبغي مراعاة ذلك حتّى يحقّق الحوار غايته."[1]

المطلب الأول: التجرّد في طلب الحقّ

روى البخاري ـــ رحمه الله ـــ عن ابن عمر ﷺ قال: سمعت النّبيّ ﷺ يقول:"إنّما الأعمال بالنيّة وإنّما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه." [2]

إذ النيّة شرط أساسي في كلّ عمل، يقول المباركفوري ـــ رحمه الله ـــ:"فالحـديث ورد لبيان الفرق بين النيّة الفاسدة والنيّة الصحيحة الصالحة، فالأولى مذمومة والثانية محمودة نافعة، و لم يرد لبيان ما فيه النيّة وما ليس فيه." [3]

وعليه فإخلاص النيّة لله والتّجرّد في طلب الحقّ يعين في الوصول إلى الحقيقة، ذلـك أنّ الهوى خطير يعمي بصيرة الإنسان، فلا يرى إلاّ ما وافق هواه، والعلم وحده لا يكفي في سـاحة الحوار، بل لابدّ معه من الإخلاص والتجرّد، فقد يضلّ المرء والعياذ بالله [4]، يقول الله عزّ وجـلّ: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ الجاثية: ٢٣، فعلى المحاور الصادق أن يقصد بمحاورته وجه الله تعالى وحده لا شريك له، وهذا التّجردّ يكون في مساءلة الـنّفس عـن

---

[1] يحيى محمّد زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنّة، دار التربية، مكة، ص116.

[2] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب ما جاء أنّ الأعمال بالنيّة الحسنة، رقم:5، وكتاب العتـق، بـاب الخطأ والنسيان في العتاقة، رقم:2392، وكتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه إلى المدينة، رقم:3685، وكتاب النكاح، باب من هاجر أو عمل خيرا لتزويج امرأة فله ما نوى، رقم:4783، وكتـاب الإيمان والنذور، باب النيّة في الإيمان، رقم:6311، وكتاب الحيل، باب في ترك الحيـل، رقـم:6553، ومسـلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قوله صلّى الله عليه وسلّم إنّما الأعمال بالنيّة، رقم:1907، والنّسائي في سننه، كتـاب الطلاق، باب الكلام إذا قصد به فيما يحتمل معناه، رقم:3437.

[3] عبيد الله أبو الحسن المباركفوري، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، إدارة البحـوث العلميـة، الهنـد، ط3، 1404هـ _1984م، ج1، ص33.

[4] أحمد بن عبد الرّحمن الصّويان، الحوار أصوله المنهجية وآدابه السّلوكيّة، دار الوطن، الرياض، ط1، 1413ه، ص77.

الغرض من الحوار، أهو إرادة الحقّ فحسب، أم أنّ هناك أغراضا أخرى كحبّ الظهور وإفحـام الخصم، وأن يرى الإنسان مكانه، فإذا كانت هذه الأغراض في نفسه فليحجم عن الحوار حتّـى يتجرّد بنيّته لله تعالى تماما، وأنّه يريد الحقّ ولو ظهر على لسان الطّرف الآخر[1]، ولقد كان هـذا منهج الأنبياء ــ عليهم الصّلاة والسلام ــ إذ كلّهم أعلنوا لأقوامهم أنّهم يريـدون الأجـر ولا يبتغون مصلحة، إنّما ينتظرون ما عند الله لما يقدّمونه لأقوامهم، فهذا هود يقول لقومه: ﴿ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِى ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ هود: ٥١، وقال صـالح لقومـه:﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ الشعراء: ١٠٩ يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:" أي لا أطلب منكم جزاء على نصحي لكم بل أدّخر ثواب ذلك عند الله."[2] وهكذا بالنّسبة لكلّ الأنبياء، حيث لم يتزحزحوا عن عقيدتهم وأسلموا أنفسهم لله وحده، وكأنّ لسان كلّ نبيّ ينطق أنّي لا أريد منكم أجرا ولا منفعة، ولا مغنما على ما أدعوكم إليه، لأنّ أجري على الله ربّ العالين، ولأنّ واجبي أن أبلّغكم رسالة ربّي وأنصح لكم وأحرص على استجابتكم لي، لأنّي أريد الخير لكم [3]،كما أنّه تميّز أصحاب القرون الخيريّة الأولى في مجالس الحوار بخصائص أهمّها أنّ الواحد منهم كان وقّافا عند الحقّ، إذ ما ذكّر بالدليل فـلا يتردّد في قبوله، ولا يتأخّر في إعلان رجوعه عن الخطإ إلى الصواب.

ومن مقتضيات هذا التّجرّد في طلب الحقّ ما يلي:

أولا: الحرص في الحقّ وإيثاره على ما سواه:

روى البخاري ــ رحمه الله ــ عن عبد الله بن عتبة أنّ عبد الله بن عبّاس ﷺ قال: قدم عيينة بن حصين بن حذيفة بن بدر، فنزل على ابن أخيه الحرّ بن قيس بن حصين، وكان من النّفر الذين يدنيهم عمر، وكان القرّاء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبّانا، فقال ابن عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، هل لك وجه عند هذا الأمير فتستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عبّاس: فلتأذن لعيينة، فلمّا دخل قال: يا ابن الخطاب والله ما تعطينا الجزل، ومـا

[1] عبد العزيز الجليل، وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، دار طيبة، الرياض، ط1، 1418هـ / 1997، ج1، 76.

[2] ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج3، ص414.

[3] عبد الكريم زيدان، المستفاد من قصص القرآن للدّعوة والدّعاة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م، ج1، ص242.

تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتّى همّ بأن يقع به، فقال الحرّ: يا أمير المؤمنين، إنّ الله تعالى قال لنبيّه ﷺ: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ الأعراف: ١٩٩،وإنّ هذا من الجاهلين فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقّافا عند كتاب الله.[1] يقول ابن حجر ــ رحمه الله ــ في شرحه لهذا الحديث:" ومعنى ما: ما عمل بغير مادلّت عليه، بل عمل بمقتضاها، ولذلك قال: وكان وقّافا عند كتاب الله، أي يعمل بما فيه ولا يتجاوزه."[2]

ــ الحرص على الحقّ يحتاج إلى عمل قلبي في إرادة الحقّ ومحبّته وعلى علم بالأدلّة الشرعية، إذ إنّ فساد الإرادة والجهل بالأدلّة مانعان من قبول الحقّ والعمل به[3]، فإذا بنى العبد أقواله وعلومه ونظره ومحاوراته على هذا الأصل، أفلح وأنجح، وكان على ثقة من أمره ويقين من براهينه، ولكن لا يصلح هذا ولا يتمّ إلاّ لمن كان عارفا بالأدلّة الشرعيّة، وأمّا الجاهل فما يفسده أكثر ممّا يصلحه، فعليه أن يتعلّم قبل أن يتكلّم [4]، ولعلّ السبب الذي يمنع من السعي في طلب الحقّ والسعي في إظهاره هو الخوف والخشية من النّاس، وهذا ما يظهر أثناء بعض الحوارات التي تحسّ من خلالها موافقة الأطراف والميل إلى آرائهم أكثر من بيان الحقّ وتأصيله، وقد حذّر النّبيّ ﷺ من هذا الأمر، فقال ﷺ:"ألا لا يمنعنّ رجلا هيبة النّاس أن يقول بحقّ إذا علمه."[5]

ثانيا: أن يعترف بفضل الآخر

روى البخاري ــ رحمه الله ــ عن عروة عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ: أنّ فاطمة عليها السلام بنت النّبيّ ﷺ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إنّ رسول الله ﷺ قال: "لا نورّث ما تركناه صدقة

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأعراف، رقم:4366، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب الاقتداء بسنّة النبي صلى الله عليه وسلّم، رقم:6856.

[2] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج13، ص318

[3] عبد الله لموصلي، الحوار مع المخالف في ضوء السنّة النّبويّة، ص5.

[4] عبد الرحمن ناصر السعدي، توضيح الكافية الشافية، تــ: أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، الرياض، ط1، 1420هــ / 2000م، ص29.

[5] الترمذي سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب أخبر النبي صلى الله عليه وسلّم أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة، رقم:2191 وابن ماجه، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم:4007، قال الألباني: صحيح،انظر صحيح ابن ماجه، دار المعارف، الرياض، ط1، 1417 هــ، مج 3، ص313.

"، إنّما يأكل آل محمّد ﷺ في هذا المال، وإنّي والله لا أغيّر شيئا من صدقة رسول الله ﷺعن حالها الّتي كان عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأعملنّ فيها بما عمل به رسول اللّه ﷺ، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرته، فلم تكلّمه حتّى توفيّت، وعاشت بعد النّبيّ ﷺ ستّة أشهر، فلما توفيّت دفنها زوجها علي ليلا و لم يؤذن بها أبو بكر وصلّى عليهما، وكان لعليّ من النّاس وجه حياة فاطمة، فلمّا توفيّت استنكر عليّ وجوه النّاس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، و لم يكن يبايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر: أن إئتنا ولا يأتنا أحد معك كراهية لمحضر عمر، فقال عمر: لا واللّه لا تدخل عليهم وحدك، فقال أبو بكر: وما عسيتم أن يفعلوا بي، واللّه لآتينّهم، فدخل عليهم أبو بكر، فتّشهد عليّ فقال: إنّا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله، و لم ننفس عليك خيرا ساقه الله إليك، ولكنّك استبددت علينا بالأمر، وكنّا نرى لقرابتنا من رسول الله ﷺ نصيبا، حتى فاضت عينا أبي بكر، فلمّا تكلّم أبو بكر قال: والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله ﷺ أحبّ إليّ أن أصل من قرابتي، وأمّا الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال، فلم آل فيها عن الخير، و لم أترك أمرا رأيت رسول الله ﷺ يصنعة فيها إلاّ صنعته، فقال علي لأبي بكر: موعدك العشيّة للبيعة، فلمّا صلّى أبو بكر الظهر رقى على المنبر، فتشهّد وذكر شأن علي وتخلّفه عن البيعة وعذره بالذي اعتذر إليه، ثمّ استغفر وتشهّد علي، فعظّم حقّ أبي بكر وحدّث أنّه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر، ولا إنكارا للذي فضّله الله به، ولكنّا نرى لنا في هذا الأمر نصيبا فاستبدّ علينا فوجدنا في أنفسنا، فسرّ بذلك المسلمون وقالوا: أصبت وكان المسلمون إلى علي قريبا حين راجع الأمر المعروف." [1] يقول ابن حجر ــ رحمه الله ــ:"قال القرطبي ــ رحمه الله ــ:" من تأمّل ما دار بين أبي بكر وعلي من المعاتبة ومن الاعتذار وما تضمّن ذلك من الإنصاف عرف أنّ بعضهم كان يعترف بفضل الآخر، وأنّ قلوبهم كانت متفقة على الاحترام والمحبّة، وإن كان الطابع البشري قد يغلب أحيانا لكنّ الدّيانة والتّقوى كان يردّ ذلك." [2]

ــ المحاور الصادق في طلب الحق هو الذي يعترف بفضل الآخر ويشكره على ما أعانه

[1] البخاري،كتاب الاعتصام، باب الإقتداء بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالنّبيّ، رقم:6856 وكتاب التفسير، سورة الأعراف، رقم:4366.

[2] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج7، ص616.

عليه، وخصوصا إذا ظهر بعض الحقّ في كلامه، وفي الحديث:"الكبر بطـر[1] الحـقّ وغمـط[2] النّاس."[3]

ـــ" هذه المحاورة تدلّ صراحة على فضل أبي بكر وعلي رضي الله عنهما وعلى حرصهما على التمسّك بالحقّ والرجوع إليه عند ظهوره."[4]

ثالثا: أن يذكر ما له وما عليه من الأدلّة:

يقول اللّه عزوجل ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ **البقرة:**٤٢ فلا يجوز للمحاور أن يحجب شيئا من الحقيقة أو يدفن شيئا من الأدلّة التي تدعّم قول المخالف ونزاهة المحاور وموضوعيته، وتكمن في الأمانة العلميّة[5]، ولذلك فإنّه مـن البـديهي أن يكون المحاور المؤمن صادقا مع اللّه ثمّ مع نفسه يصدّق قوله عمله، وينتفع به الآخرون إذ يرونه في مقام القدوة الصالحة التي لاتناقض في شخصيتها، والتي تدعو بسلوكها كما تدعو بقولها، أمّا إن كان مخالفا لذلك فسوف يضرّ نفسه باكتسابه الإثم حين يخالف قوله فعله، ويضرّ دينه.

المطلب الثاني: مراقبة النّفس أثناء الحوار

جرت العادة عند أكثر المتحاورين أن يركّزوا انتباههم على الطـرف الأخـر، يحصـون الملاحظات على فكرته وطريقته في الحوار دون أن يراقبوا أنفسهم بنفس المقاييس، فينسى الإنسان نفسه ونوازعها ونبرات صوته وطريقته في الردّ، ممّا يكون له أثر سيّئ يحدث في الـنّفس عجبـا وشعورا بأنّها فوق الملاحظات.[6]

فعلى المحاور إذن أن ينتبه إلى نفسه أثناء حواره مع الآخرين، فيراقب نفسه حـتى لا يفقـد السّيطرة عليها، فلا يخرج من دائرة الأفكار التي هيّأها، فيسأل نفسه هل أخرج النّقاش عن جـادّة الاتّزان، وعلى المحاور أن يتأنّى حرصا على الفهم وأن يحذر العجلة في الحكم، وإذا غاب عنه معنى أو فاته فلا يمنعه الخجل أن يطلب استعادته، ويستوثق من المقصد قبل أن يتّجه إلى الحكم أو النّقد.

---

[1] البطر: أن يجعل الحقّ باطلا، انظر: غريب الحديث لابن الجوزي، مج1، ص76.

[2] غمط: الاحتقار والاستهانة،انظر: غريب الحديث لابن الجوزي، مج2، ص163.

[3] مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم:147.

[4] سعيد القحطاني، فقه الدعوة في صحيح البخاري، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، ط1، 1421هـ، ج2، ص855.

[5] عبد الرحمن الصويان، الحوار أصوله وآدابه السلوكية، ص85.

[6] عبد العزيز الجليل، وقفات تربوية، ج1، ص77.

وهنا يستوقفنا ذلك الحوار الذي دار بين داود عليه السلام والخصمين الذين دخلا من غير استئذان ومن غير طرق الباب، وعرض عليه أحدهما الأمر دون أن يسمع للآخر حكمه فقضى، ولّما كان سيدنا داود مراقبا لنفسه فإنّه عرف خطأه واستغفر ربّه، قال تعـالى ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ ﴾ ص: ٢١، وهكذا هو المحاور المراقب لنفسه، ثّم يعقّب اللّه بعد ذلك مؤدّبا عبده بأدب مراقبة النّفس وعدم اتّباع الهوى أو الجور في الحكم: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴿٢٦﴾ ﴾ ص: ٢٦

وحتّى يحقّق المحاور هذه المسألة أثناء حواره عليه أن ينتبه إلى مايلي:

أولا: حسن الاستماع والإصغاء

والإصغاء هو فنّ القدرة على الانتباه والتمييز بين الحقائق والميول الشخصية، كمـا أنّهـا القدرة على التركيز فيما يقول الآخرون وما يحاولون التعبير عنه، وهذا يتطلّب سماع كلّ ما يقال، وليس فقط ما يتوقع أو ما يريد الشّخص سماعه [1]، يقال: إنّ بعض القول فن فاجعل الإصغاء فنّاً

فحسن الاستماع من الأمور التي تندرج تحت أدب مراقبة النّفس أثنـاء الحـوار، إذ أنّ فضيلته تكمن في استيعاب الرأي الآخر، ووزن دليله بميزان العقل والمنطق والمساءلة عمّا خفي من الدّليل المعروض[2]، فالمتحدّث البارع مستمع بارع، فكما يحبّ أن يسمع النّاس إليه ويحترمونه ينتبه إلى نفسه ويسمع لغيره ويحترمهم قال تعالى:﴿ قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ هود: ٣٢

وفي سنّة النّبيّ ﷺ نجد مثالا رائعا، فقد روى ابن هشام في السيرة أنّ عتبة بن ربيعة جلـس إلى رسول اللّه ﷺ فقال له رسول اللّه ﷺ:" قل يا أبا الوليد أسمع "، فقال له عتبة ما قال حتى إذا فرغ قال له: "أوقد فرغت يا أبا الوليد" قال: نعم، قال:" فاسمع منّي " قال: أفعل، فقرأ عليه من سورة فصلت إلى الآية الثالثة والثلاثون (موضع السجدة). ثم قال لعتبة: "قد سمعت يا أبا الوليد

[1] أحمد محمّد عوض، فقه الحوار في ضوء السنة النّبويّة، ص76.

[2] محمّد الكتّاني، ثقافة الحوار في الإسلام، منشورات الأوقاف الإسلامية، المغرب، ط1 1428 هـ/ 2007م، ص207

فأنت وذاك." [1]

حيث قام النّبيّ ﷺ بإعطاء الفرصة الكافية لعتبة، حتّى يتكلّم بما يريد الكلام به، أحسن الاستماع إليه و لم يقاطعه بالكلام حتّى اسيقن من كون عتبة قد أنهى كلامه، وذلك بأن سـأله بقوله: "أوقد فرغت يا أبا الوليد ؟"، "وهذه من نوادر آداب الحوار الذي يعزّ وجودها في عـالم التحاور."[2]

ثانيا: عدم الغضب:

"إذ الغضب من الأمور التي تضعف الحوار وتخرجه إلى الخصومة "[3]، فعلى المحاور أن يتجنّب هذا الخلق السيّء، وفي القرآن الكريم درسا في هذا وهو يعرض علينا قصّة يونس الـذي خـرج مغاضبا لقومه قبل إيمانهم، فابتلاه اللّه بالحوت ليبتلعه حتّى يكون عـبرة، قـال ﴿ **وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا ﴿٨٧﴾** ﴾ الأنبياء: ٨٧، أي خرج يونس مغاضبا لقوله من أجل ربّـه بعـد أن أنذرهم أنّ العذاب سينزل بهم في مدّة حدّدها لهم لبقائهم على الكفر، فيونس غضب على قومـه لكفرهم بربّ ه، فكان ذنبه خروجه من بينهم من غير إذن ربّه، إذ كان عليه أن يصابر ويبقى بين قومه، وينتظر الإذن من اللّه تعالى بالخروج والمهاجرة عنهم.[4]

قال أنس رضي الله عنه في شمائل النّبيّ ﷺ:" لم يكن النّبيّ ﷺ فاحشا ولا لعّانا ولا سبّابا، كان يقول لأحدنا عند المعتبة:" ماله ثرب جبينه."[5]

فالمطلوب أن يبتعد عنه صاحب العقل السليم، ولذلك كانت نصيحة رسول اللّه ﷺ للرجل الذي طلب منه أن يأمره بعمل، وأن لّايكثر في الوصية، قال: "لاتغضب "، ثمّ أعاد عليه فقال:" لا تغضب."[6] وعن سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة أنّ الرسول ﷺ قال: "ليس الشّديد بالصّرعة، إنّما

---

[1] عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص322 ــ 324، قال الألباني: حسن، انظر تعليقه على فقه السيرة، دار الكتب الحديثية، ط 6، 1965م، ص113.

[2] السيّد علي الخضر، الحوار في السيرة النّبويّة، ص92.

[3] المرجع نفسه، ص203.

[4] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج11.

[5] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن السباب واللّعن، رقم:5699.

[6] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم:5765، والترمذي في سننه، كتاب البر والصـلة، باب كثرة الخطى إلى المساجد، رقم:2020.

الشّديد الذي يملك نفسه عند الغضب."[1]

فالتّشنج والانفعال ليس هو الأسلوب الأمثل لنصرة الحقّ، لأنّ القلب المشحون بالغضب يؤثّر تأثيرا بالغا على انفعالات الإنسان التي تطغى على العقل والمنطق، فالغضب كما قال الرّازي رحمه الله: "لا يبقي سدادا للفكر، وعند احتلاله لا مطمع في الفهم، إذ يفوت الغرض."[2]

هذا وقد قال الإمام ابن قيّم الجوزية[3] رحمه الله:" الغضب نوع من الغلق والإغلاق الذي يغلق على صاحبه باب حسن التّصورّ والقصد"[4]، ويشبّه ابن القيم رحمه الله الغضب عند اغتياله العقل كالذّئب عند افتراسه الشّاة، فيقول:" الغضب عدوّ العقل، وهو له كالذّئب للشّاة، قلّما يتمكّن منه إلاّ اغتال عقله."[5]

إذن فالغضب عند الحوار يعتبر محاولة لإبطال دعوى الخصم قبل أن يقدّم الدّليل عليها، حيث "لا يوصل إلى إقناع الطّرف الآخر وهدايته، وإنّما يكون ذلك بالحلم والصّبر اللّذين هما من صفات المؤمنين، فالالتزام بالهدوء أسلوب من أساليب الحوار الجيّد، وخصوصا إن كان محاورك من سريعي الغضب، فأنت تأسره بهدوئك وطمأنينة نفسك."[6]

ثالثا: عدم رفع الصّوت وإطابة الكلام

إذ يعدّ رفع الصوت من أخطر أنواع الإرهاب النّفسي في الحوار، ومن أسباب تلغيم الجوّ ــ ولذلك ذمّة الشارع في قوله:﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم: 5763، ومسلم في صحيحه، كتاب الأدب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، رقم:2609.

[2] فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ/2000م، ج25،ص222.

[3] ابن القيم الجوزية: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، إمام الجوزية و ابن قيّمها، ولد سنة 691هـ، سمع الحديث و اشتغل بالعلم، تلميذ ابن تيمية حيث لازمه إلى أن مات، من مؤلفاته: الفوائد.....الخ. انظر الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني، ج4، ص21.

[4] ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين،تـ: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، 1473هـ، ج2، ص175.

[5] ابن القيم الجوزية، إغاثة اللّهفان في حكم طلاق الغضبان، تـ: محمّد عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، مكتبة فرقد الخاني، الرياض، ط2، 1408هـ/1988م، ج2، ص25.

[6] طارق بن علي الحبيب، كيف تحاور، مؤسّسة الجريسي للتوزيع والإعلام، الرياض، ط14، 1426هـ، ص45.

﴿ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ لقمان: ١٩، قال بن كثير في هذه الآية: "وقال مجاهد وغير واحد أنّ أقبح الأصوات لصوت الحمير، أيّ غاية من رفع صوته أنّه يشبه بالحمير في علوّه ورفعه، ومع هذا فهو بغيض عند اللّه تعالى، وهذا التشبيه يقتضي تحريمه وذمّه غاية الذمّ.[1]

وخاطب اللّه المؤمنين بعدم رفع الصّوت أمام الرسول ﷺ بأنّ لهم أجرا عظيما، قال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ ﴾ الحجرات: ٢. قال بن كثير في هذه الآية:"وقال مجاهد وغير واحد: "وقد ظهرت هذه الإطابة واللين في كلام سيّدنا إبراهيم عليه السلام عند خطابه لأبيه: ﴿ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ ﴾ مريم: ٤٣."[2]

قال الشيخ السعدي:" أي: يا أبت لا تحقرني وإنّي ابنك وإنّ عندك ما ليس عندي، بل قد أعطاني اللّه من العلم ما لم يعطك...وفي هذا من لطف الخطاب ولينه ما لا يخفى فإنه لم يقل: يا أبت أنا أعلم وأنت جاهل، وإنّما أتى بصيغة تقتضي أنّ عندي وعندك علما، وأنّ الذي وصل إليّ لم يصل إليك و لم يأتك، فينبغي لك أن تتّبع الحجّة وتنقاد لها."[3]

وقد قال ابن عقيل ــ رحمه اللّه ــ تحت هذا المعنى من اللّين في الكلام أثناء الحوار مانصّه:"اعلم أنّه يجب لكلّ واحد منهما على صاحبه مثل الذي يجب للآخر من الإجمال في الخطاب، وترك التقطيع لكلامه والإقبال عليه وترك الصياح في وجهه، والتأمّل لما يأتي به والتجنّب للحدّة والضجر عليه، وترك الحمل له على حجر الضرورة، إلاّ من حيث يلزمه ذاك بمذهبه وترك الإخراج له عن الحدّ الذي ينبغي أن يكون السؤال والجواب، وترك الاستصغار له والاحتقار لما يأتي به، والتنبيه له عن ذلك إن بدر منه أو مناقضته إن ظهرت في كلامه، وألاّ يمانعه العبارة إذا أدّت المعنى، وكان الغرض إنّما هو المعنى دون العبارة، وأن لا يخرج في عبارته عن العادة، وأن لا يدخل في كلامه ما ليس منه، ولا يستعمل ما يقتضي التعدّي على خصمه... "[4]

---

[1] ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج3، ص540.

[2] المصدر نفسه، ج3، ص541.

[3] عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، ج1، ص494.

[4] ابن عقيل، الواضح في أصول الفقه، تـ: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط1، ج1، ص523 ــ 254.

إذن فعدم رفع الصّوت أثناء الحوار وإطابة الكلام مع الطّرف الآخر من الأمـور المهمّـة لإنجاحه، فعلى المحاور أن يضع ذلك في حسبانه وهو يدير عملية الحوار، فيراقب درجة صـوته، ويسعى إلى أن يطيب كلامه مع محاوريه، فيضفي على عباراته معاني اللّين والرّأفة والطّيبـة، ولا بأس أن يدخل نوعا من الفكاهة والمزاح على كلامه من الحين إلى الآخر، وذلك حتّـى يزيـل الحاجز الذي بينه وبين محاوريه، فإذا بكلّ من المتحاورين قد وجدا لنفسيهما قبولا لدى الآخـر، وشعورا بمدى قربهما، وبهذا يستطيع كلّ منهما على إبداء رأيه بكلّ حريّة، بعيدا عن كلّ ما يعكّر جوّ الحوار.

المطلب الثالث: عدم اتّهام النيّات

أمرنا الإسلام أن نتعامل مع النّاس بحسب ما يظهرونه من أقوال وأعمـال دون التعـرّض لبواطنهم، لأنّ هذه الدائرة في علم اللّه تعالى، وليس لأحد أن يتجرّأ فيخبر بمـا يخفونـه النّـاس بداخلهم وبواطنهم، ولقد كان المنافقون بين يدي رسول الله ﷺ وأصحابه، يعرفهم الرسول ﷺ لكنّه لا يعاملهم إلاّ بظواهرهم، وتجري عليهم أحكام الإسلام على الظاهر، ولّما أشار عليه بعض أصحابه بقتل أحدهم ن رفض ذلك حتّى لا يقول النّاس:" إنّ محمّدا ﷺ يقتل أصحابه."[1]

روى البخاري ــ رحمه اللّه ــ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قصّة الرّجل الذي اعتـرض على قسمة رسول اللّه ﷺ وقوله له: اتق الله، فقال النّبيّ ﷺ:" ويلك، أولست أحقّ أهـل الأرض أن يتّق اللّه "، قال: ثمّ ولىّ الرّجل، قال خالد بن الوليد: يا رسول اللّه ألا أضرب عنقه، قال: "لا، لعلّه أن يكون يصلّي"، فقال خالد: وكم من مصلّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، قال رسول اللّه ﷺ:" وإنّي لم أؤمر أن أنقّب قلوب النّاس، ولا أشقّ بطونهم "، قال: ثمّ نظر إليه وهـو مقـفٍّ فقال:" إنّه يخرج من ضئضئي هذا قوم يتلون كتاب اللّه رطبا لا يتجاوز حناجرهم، يمرقون مـن الدّين كما يمرق السّهم من الرميّة، وأظنّه قال:" لئن أدركتهم لأقتلنّهم قتل ثمود"[2]، إذ أنّ معاملة

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة المنافقون، رقم:4622 ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب أنصر أخاك ظالما أو مظلوما، رقم:2584، والترمذي في سننه، كتاب التفسير،سورة المنافقون، رقم:3315.

[2] البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب، رقم:4094 ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم:1064 والنسائي في سننه، كتاب الزكاة،باب المؤلفة قلوبهم، رقم:2578 والبيهقي في سننه، كتاب قسم الصدقات، باب من يعطي من المؤلفة، رقم:13561 وأبو داود في سننه، كتاب السنّة، باب في قتال الخوارج، رقم:4769.

النّاس تكون بحسب ظواهرهم دون التنقيب عن سرائرهم، لأنّ البواطن يتولاها الله عزّ وجـلّ، يقول بن حجر رحمه اللّه :" أي إنّما أمرت أن آخذ بظواهر أمورهم، قال القـرطبي رحمـه اللّه:" إنّما منع قتله وإن كان قد استوجب القتل لئلا يتحدّث النّاس أنّه يقتل أصحابه ولا سـيما من صلّى."[1] كما أنّه يجب على المسلم أن يتعامل مع إخوانه المسلمين بحسن الظنّ مهما كـان حاله، فقد قال النّبيّ ﷺ لخالد بن الوليد في هذا الرّجل الذي وصفه بعدم التقوى: " لعلّه يصلي."

ومن الأحاديث أيضا الّتي تؤيّد هذا المعنى ما رواه مسلم رحمه الله عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سريّة فصبّحنا الحرقات [2] من جهينة، فأدركت رجلا فقال: لا إله إلاّ الله، فطعنته، فوقع في نفسي ذلك فذكرته للنبيّ ﷺ، فقال النّبيّ ﷺ: "أما قـال لا إلـه إلاّ الله وقتلته "، قال: قلت: يا رسول الله، إنّما قالها خوفا من السّلاح، قال:" أفلا شققت على قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟"، فما زال يكرّرها حتى تمنّيت أنّي أسلمت يومئذ.[3]

قال الإمام النّووي رحمه اللّه: وقوله ﷺ:" أفلا شققت على قلبه" فيه دليل للقاعدة المعروفة في الفقه والأصول، أنّ الأحكام يعمل فيها بالظواهر واللّه يتولّى السرائر."[4]

ولمّا كان الأمر كذلك فإنّ من أخطر آفات الحوار أنّ المتحاورين إذا اختلفا و لم يتفقا في مسألة من المسائل، أسرع أحدهما إلى اتّهام نيّة صاحبه، وطعن في مقصده وعدّه من أهل الهوى، وهذا المزلق خطير يمليه في أكثر الأحوال التّعصب المذموم، وتحويل الحوار قبل بدايتـة إلى تهمـة يعوق المحاور عن الدّراسة الواعية والقراءة الفاحصة والناقدة ن وهو ضرب من ضروب الحصـار الفكري على المخالف، وقطع لكلّ أبواب التّفاهم وقنوات الاتّصال، وإنهاء للحوار الذي بدأ بين الطرفين.[5]

فالأصل إذن:حمل كلام المحاور على ظاهره وجريانه على أحسن الأحوال، حتّى يتثبـت

---

[1] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج8، ص87.

[2] الحرقات: جمع حرقة، قبيلة من جهينة، انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج3، ص591.

[3] البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أسامة بن زيد على الحرقات، رقم: 4021 ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلاّ الله، رقم:96 والنسائي في سننه، كتاب السير، باب قول المشرك لا إله إلاّ الله، رقم:8594 وأبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب على ما يقاتل المشركون، رقم:2645.

[4] النووي، شرح النووي على مسلم، ج2، ص 107.

[5] أحمد بن عبد الرحمن الصويان، الحوار ، ص155.

العكس، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" ومن أعظم التخيّر نسبة الغلط إلى متكلّم مع إمكان تصحيح كلامه، وجريانه على أحسن أساليب كلام النّاس، ثمّ يعتبر أحد الموضعين المعارضين بالغلط دون الآخر." [1]

فيحسن في الحوار إذا تناولنا الفكرة بالبحث والتّحليل أو بالنّقد بعيدا عن صاحبها أو قائلها، وذلك حتى لا يتحوّل الحوار إلى مبارزة كلامية طابعها الطّعن والتجريح، والعدول عن مناقشة القضايا والأحكام إلى مناقشة التصرّفات والأشخاص.

قال تعالى ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ﴿١١﴾ ﴾ الحجرات: ١١، أي: لايطعن بعضكم في بعض، فالمحاور إذا رأى صاحبه قد أخطأ وترجّح له ذلك بالدّليل عليه أن يقول له أخطأت، ثمّ يذكر مستنده الشرعي على ذلك ولا يتجاوز هذا إلى غيره، ففي أعقاب غزوة حنين نجد درسا رائعا من الرسول ﷺ محاورا بطريقة علميّة بعيدة عن اتّهام النيّات، فقد وزّع الغنائم وهي كثيرة في قريش وفي قبائل العرب ولم يعط للأنصار منها شيئا، فغضب بعضهم، وقال منهم قائل: لقي رسول الله ﷺ قومه فدخل عليه سعد بن عبادة، فقال: يا رسول الله، إنّ هذا الحيّ من الأنصار وجدوا عليك في أنفسهم لما وصفت في هذا الحيّ الذي أصبت، قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحيّ من الأن صار شيئ، قال:" فأين أنت من ذلك يا سعد"، قال: يا رسول الله ما أنا إلاّ امرؤ من ذلك.

فهذا حوار يطالب فيه سعد بالفهم والتّوضيح بعيدا عن اتّهام النيات، والأمر نفسه بالنّسبة لرسول الله ﷺ، حين بيّن ووضّح ولم يتهّم النيّات، ولم يصدر منه ما يخدش المشاعر، فيأمر سعدا أن يجمع له قومه، فخرج عليهم فقال:" يا معشر الأنصار ما قالةً بلغتني عنكم ووجدة وجدتموها في أنفسكم، ألم تكونوا ضلّالا فهداكم الله بي، وعالة فأغناكم الله، وأعداءً فألّف بين قلوبكم "، قالوا: بلى يا رسول الله أمّن وأفضل، قال: "ألا تجيبوني يا معشر الأنصار ؟" قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله، ولرسول الله المنّ والفضل، قال:" أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدّقتم: أتيتنا مكذّبا فصدّقناك ومخذولا فنصرناك، وطريدا فآويناك، وعائلا فواسيناك، أوجدتم يا معشر الأنصار في لُعاعة[2] من الدّنيا تألّفت قوما ليسلموا ووكّلتم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن

[1] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تـ: عبد الرحمن بن محمد القاسم، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، مج31، ص144.

[2] لعاعة: أول ما يبدو من النبت وهو طري ناعم، انظر: الفائق في غريب الحديث لمحمود الزّمخشري، ج3، ص317 وغريب الحديث، ابن الجوزي،، ج2، ص324 وغريب الحديث، ابن قتيبة، ص306

يذهب النّاس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله ﷺ في رحالكم، فو الذي نفس محمّد بيده أنّـه لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار، ولو سلك النّاس شعبا لسلكت شعب الأنصار، اللّهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار "، قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحـاهم، وقـالوا: رضينا برسول الله ﷺ قسماً وحظاً، ثمّ انصرف رسول الله ﷺ. [1]

ـــ يقول ابن حجر ـــ رحمه الله ـــ: "وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدّم، إقامة الحجّـة على الخصم وإفحامه بالحقّ عند الحاجة إليه وحسن أدب الأنصار في تركهم المماراة والمبالغـة في الحياء، وبيان أنّ الذي نقل عنهم إنّما كان عن شبّانهم لا عن شيوخهم وكهولهم، وفيه مناقـب عظيمة لهم لما اشتمل من ثناء الرسول ﷺ البالغ عليهم، وأنّ الكبير ينبّه الصغير على ما يغفل عنه ويوضّح له وجه الشبهة ليرجع إلى الحقّ، وفيه المعاتبة واستعطاف المعاتب واعتابه عن عتبته بإقامة حجّة من عتب عليه والاعتذار والاعتراف "[2]، فالرّسول ﷺ لم يلم سعدا، و لم يردّ على الأنصـار الذين غضبوا، و لم يناقشه في حجّته التي فيها ما فيها، بل إنّه سأل عن الشّخص الذي قال ما قال، وسأله سؤالا عامّا يجعل الحديث للجميع، وليواجه المشكلة من أساسها، وبدأ بسـؤاله العاتـب عليهم ، وثنّى على ذلك بذكر الفضل الكبير الذي فاز به الأنصار، وذكر فضلهم عليه حتّـى لا يصير منّا منه فقط عليهم، ودون أن يتّهم النيّات، ليبيّن لهم المنّة الكبرى التي فازوا بها، إذ يذهب النّاس بالشّاة والبعير، أمّا الأنصار فإنّهم يعودون بخاتم الأنبياء وأفضل الخلق جميعا ﷺ، وهكذا نرى أنّ المشكلة كبيرة، ولكنّ سيّد المرسلين أحسن الحوار فيها وأنهاها ـــ رضينا برسول الله ﷺ قسماً وحظاً.

وهكذا فليعلم المتحاوران أنّ الحوار الذي يبدأ فيه المحاور مع صاحبه من قوله: إنّك قلـت قولا لم ترد به وجه الله، مكتوب عليه بالفشل، فهذا ممّا يفسد جوّ الحوار، ويفقـده مصـداقيته وفائدته ويخرجه إلى المهاترة والمسابّة، فيجمل بالمرء أن يحسن الظنّ بمن يحاوره وأن لا يـدخل في نيّته وأن يحمل كلامه على أحسن المحامل ما وجد إلى ذلك سبيلا [3]، وممّا لابدّ من التنبيه إليـه في نهاية هذا الباب أنّ إرادة الخير وحسن المقصد لا يفيدان الرجل إذا أخطأ في مقالته أو اعتـدى في فعله ؛ إذ مقصود المباحثة والمناقشة تمييز الخطأ من الصواب وتصويب الأقوال والأفعال، وعرضها

[1] أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، مسند أبي سعيد الخدري، رقم:11547، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

[2] ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج8، ص52

[3] محمّد بن إبراهيم، أخطاء في أدب المحادثة و المجالسة، دار ابن خزيمة، الرياض، ط1، 1422هـ، ص69.

على ميزان الشّرع بالعلم والعدل، بخلاف الكلام في الأعذار والنيّات والمقاصد، فهذه تبحث في باب الأحكام وشروطها وموانعها لا في باب الحوار.[1]

وهذا ما يظهر في حوار عبد الله بن مسعود ﷺ مع بعض العبّاد من الكوفة، فعن عمرو بن يحيى قال: سمعت أبي يحدّث عن أبيه قال: كنّا نجلس على باب أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن ؟ قلنا: لا بَعدُ، فجلس معنا حتى خرج، فلمّا خرج قمنا إليه جميعا، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن، إنّي رأيت في المسجد آنفا أمرا أنكرته، و لم أر والحمد لله إلاّ خيرا، فقال: فما هو ؟ فقال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قوما حلقا جلوسا، ينتظرون الصلاة في كلّ حلقة رجل، وفي أيديهم حصا، فيقول: كبّروا مئة، فيكبرون مئة، فيقول: هلّلوا مئة، فيهلّلون مئة، ويقول سبّحوا مئة، فيسبّحون مئة، قال: فما قلت لهم ؟ قال: ما قلت لهم شيئا انتظار رأيك أو انتظار أمرك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدّوا سيّئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم، ثمّ مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون، قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصاً نعدّ به التكبير والتّهليل والتّسبيح، قال: فعدّوا سيّئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيّع من حسناتكم شيء، ويْحَكم يا أمّة محمّد ﷺ ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابته بينكم متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده، إنّكم لعلى ملّة هي أهدى من ملّة محمّد ﷺ، أو مفتتحوا باب ضلالة، قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلاّ الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إنّ النّبيّ ﷺ حدّثنا أنّ قوما يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وايم الله، ما أدري لعلّ أكثرهم منكم، ثمّ تولّى عنهم، فقال عمرو بن عبسة: رأينا عامّة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النّهروان مع الخوارج.[2]

ومحلّ الشاهد في هذه المحاورة قولهم: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلاّ الخير، فقال عبد الله بن مسعود:" وكم من مريد للخير لن يصيبه "، فإنّ إصابة الخير وقبول العمل متوقفان على الإخلاص والمتابعة معاً.

---

[1] عبد الله الموصلي، فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنّة النّبويّة، ص45.

[2] عبد الله أبو محمّد الدارمي، سنن الدارمي، ج1، ص286، وابن أبي شيبة في مسنده، رقم:39045 قال الألباني: إسناده صحيح، انظر: السلسلة الصحيحة، رقم: 2005.

إلى هنا يمكننا أن نقرّر أنّ الذي يعصم الإنسان من الزيغ والانحراف، هو الالتزام الـــدقيق بمناهج الاستدلال العلمي المبنيّة على كتاب الله عزّوجلّ وسنّة النّبيّ ﷺ ومنهج السّلف الصالح، ثمّ التّورع والتّوقي ومراقبة الله تعالى في القول والفعل، مع الرجوع إلى العلماء الربانيّين الذين أنـــار الله عزّوجلّ قلوبهم بالعلم والإيمان.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني:الآداب العلمية للحوار

بمعنى الآداب التي تتعلّق بمادّة الحوار الأصليّة وموضوعاته الأساسيّة، والضّوابط والأصول العلميّة، من حيث إيراد المعلومات و ترتيبها، وردّها أو قبولها، وما يلحق ذلك من أسس يجب اتّباعها حتّى ينضبط الحوار ويحقّق أهدافه.[1]

المطلب الأوّل:الحذر من الجدال:

إذ أنّ هذا الأسلوب ـــالجدل ـــ يلجأ إليه الّذين همّهم الجدال والاستهزاء وإثـــارة الشـــبه وتضليل النّاس، لأنّه عبارة عن آفة قاتلة، قد تنتج عن الحوار ليصطبغ بصبغة التعنّـــت والعنـــاد، ولايصبح الحقّ هو الهدف الذي يرجى الوصول إليه، وحدّ المراء أو الجدال أن ينكر الحقّ الـــذي ظهرت دلالته ظهورا لا خفاء فيه، ويتعصّب للباطل الذي ظهرت دلالته أيضا ظهـــورا لاخفـــاء فيه[2]، فإن كان المحاور معروفا بالجدل وقلة الاكتراث بما يقوله الطرف الآخر، فهذا ومثله لاينفع معهم اللّين والرّفق، وإنّما ينبغي في حقّهم إفحامهم ومناظرتهم على الملأ الذين قد ضلّوا سبيلهم، وذلك حتّى تدحض حجّتهم وتسقط هيبتهم من النّفوس، وتتبيّن وهن فكرتهم واضطرابهم، لكن ينبغي لمن أراد مناظرتهم أن يكون على مستوى من العلم والذّكاء و الشجاعة ؛ بحيث لايؤتى من قلّة علمه أو سطحيته أو نحو ذلك.[3]

وهذا ما نلمسه في الحديث الذي يرويه البخاري رحمه اللّه.عن أبي هريرة ﷺ أنّ النّبيّ ﷺ أتاه رجل أنكر ولده فقال:"يارسول اللّه، إنّ إمرأتي ولدت غلاما أسود، فقال رسول اللّـــه ﷺ: "هل لك من إبل !"، قال:نعم، قال:"مالونها"، قال: حمر، قال: "هل فيها من أورق"، قال: نعم، قال: "فمن أين ذلك ؟ "، قال: لعلّ عرقا نزعه، فقال رسول اللّه ﷺ: " وهذا الغلام لعلّ عرقـــا نزعه."[4]

---

[1] يحي محمّد زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنّة، ص276 بتصرف يسير.

[2] أحمد بن عبد الرحمن الصويان، الحوار، ص95.

[3] عبد العزيز الجليل، وقفات تربوية، ج1، ص93 ــ 94.

[4] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب إذا عرض بنفي الولد، رقم 4999 ومسلم في صحيحه كتاب اللغات، رقم: 1500و ابن ماجة، في سننه، كتاب النكاح، باب الرجل يشك في ولده، رقم 2002 وأبو داود في سننه، كتاب الطلاق باب إذا شك في الولد، رقم 2262.و البيهقي في سننه، كتاب اللغات،باب لا لعان ولا حد في التعريض، رقم 15139 و النسائي في سننه،كتاب الطلاق، باب إذا عرض بامرأته وشك في ولده وأراد الانتفاء منه،رقم 5674 وأحمد في مسنده، رقم 7264.

إذ نرى أنّ النّبيّ ﷺ أراد أن ينهي الحوار الذي دار بينه وبين هذا الرجل، دون أن يعرّضه للجدال الذي يخرج الاثنين عن الوصول إلى الحقيقة، وذلك في أسلوب هادئ لامراء فيه ولاتعنّت، كيف لا وصاحبه هو صاحب الخلق العظيم ﷺ.

ـــ الذي ينبغي أن يحذره أو ينتبه إليه المحاور أثناء محاورته، أنّه يحاول أن يعرف الذي يسعى إليه الطرف الذي يحاوره، فإن عرف أنّ هدفه المطالبة والمباهاة، وأن يقال فلان علا على قرينة وغلب خصمه، فعليه أن يجتنبه ويحذر مكالمته، فليس يحصل بمناظرته دين ولا دنيا، وربّما أورد خصمه ما يخجله، ولا يستحسن مكافأته عليه. [1]

ـــ الذين نحاورهم على نوعين، نوع نحاورهم لإفحامهم ودحض شبهاتهم وآرائهم، وهم أولئك الذين أصبح لهم أتباع وآذان صاغية من طرف الكثير من الناس، والنّوع الآخر يجتنب ويحذر محاورته، وهذا الأخير هو الذي يريد لنفسه مكانة بين النّاس وليس له تأثير على غيره.

ـــ إذا رأى الإنسان أنّ الحوار قد تحوّل إلى مراء وجدال وقيل وقال وتعنّت وصخب، واستعراض، فينبغي أن يقطع الحوار لأنّه لا فائدة ترجى من ورائه، ومفسدته أعظم من مصلحته، فلا نريد أن يتحوّل الحوار إلى عراكات ومصادمات جسمانية أو محاكمات ولغط، من أجل الظهور والغلبة والطواف حول الذّات، وهذا ما دلّت عليه الآيات القرآنية والتي رسمت مقتضى المنهج القرآني في قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۚ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ الأنعام: ٩١.

فالآيات نهجت أسلوب التعدية لهؤلاء وفضح مواقفهم من خلالها، لتبرز النتيجة الحاسمة من أنّهم لا يرجعون في معارضتهم لما يعارضون إلى شيء من عقيدة وإيمان، بل إلى العنصر المادي الذي تتمثّل فيه نزعة المحافظة على الامتيازات الماديّة والاجتماعية. [2]

ـــ لمّا ظهر من حال هؤلاء القوم أنّهم أهل عناد وتعنّت، أمر اللّه سبحانه وتعالى نبيّه محمد ﷺ أن يجهر له بكلمة الحقّ، ثم يعرض عنهم ويتركهم يخوضون ويجادلون، ولهذا قال تعالى:

---

[1] أبو الوفاء بن عقيل، الواضح في أصول الفقه، ج1، 520

[2] حسين فضل الله، الحوار في القرآن، ج1، ص145.

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ النحل: ١٢٥، وقد حثّ الرّسول ﷺ على ترك المراء في جميع الأحوال، حيث قال: "أنا زعيم بيت في ربض[1] الجنّة لمن ترك المراء ولو كان محقّا"[2]، وقال ﷺ:" ماضلّ قوم من بعد هدى أتاهم إلّا أوتوا الجدل."[3]

فالمحاور الذي ليس له بضاعة في العلم يتّخذ الجدل وسيلة لتغطية ذلك النّقص الذي يشعر به في داخله، أمّا من كان جداله على علم وبصيرة، فله الحقّ أن يجادل حتى يردّ الباطل، يقول القرطبي رحمه اللّه ــ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦ ﴾ آل عمران: ٦٦ مانصّه: " في الآية دليل على المنع من الجدال لمن لا علم له، والخطر من لا يتحقق عنده وقد ورد الأمر بالجدل لمن علم وأيقن، فقال: ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ١٢٥ ﴾ النحل: ١٢٥

إذن فمن كلّ ما تقدّم يمكن القول أنّ" موضوعية الحوار تجري على الكلام وعلى مقدماته وعلى لوازمه وآثاره، "فينظر المحاور في خير الخيرين وشرّ الشرّين، وإلاّ فإذا كان الكلام حقاً ومقدماته ليست صادقة والتحاور يورّث مزيدا من الإشكالات والشبه والفرقة، فالإمساك أولى والترك أحرى "[4]، "أمّا الإصرار على الرفض فمكابرة ممنوعة وأمّا المراوغة فهي تهرب من مجلس المناظرة، ومتى وجد المحاور هذه المراوغة من خصمه، فمن الخير له أن يقطع المحاورة ويلزم خصمه بالهروب والانسحاب، وليحذر من أن يستدرجه إلى موضوع آخر ثمّ آخر، وهكذا فتتحوّل المحاورة إلى ما يشبه المصارعة الحرّة التي ليس لها قيود ولا ضوابط، وهذا جدل محظور. "[5]

---

[1] الربض: ما حولها خارجا عنها، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير،ت:علي الحلبي، ص341.

[2] الترمذي، سنن الترمذي، كتاب البر والصلة،باب المراء،رقم:1993 والنسائي في سننه، كتاب الجهاد، باب لمن أسلم وهاجر وجاهد، رقم:3133، وأبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، رقم:4801، قال الألباني: حسن،انظر: صحيح سنن أبي داود، دار المعارف، الرياض، ط1، 1419هـ، مج 3، ص179.

[3] الترمذي، سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة الزخرف، وابن ماجه في سننه، رقم:48، وأحمد في مسنده، حديث أبي أمامة الباهلي، رقم:22164، قال الألباني: حسن، انظر صحيح سنن الترمذي، مج3، ص326.

[4] ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج7، ص166.

[5] عبد الرحمن حبنّكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص373

المطلب الثاني: البدء بالأهمّ في عرض الموضوعات

إنّ العلوم مرتّبة ضروريّا، وبعضها طريق إلى بعض، والموفّق من راعى ذلـك الترتيـب [1]، فالشيء إذا كان ابتداؤه سهلا حبّب إلى من يدخل فيه وتلقّاه بانبساط، وكانت عاقبته الازديـاد بخلاف ضدّه، فتدرّج المحاور في عرض مسائل الحوار وموضوعاته وفقاً لقاعدة التدرّج الشّـرعيّ مراعيا حال الأطراف الأخرى، إذ مقصود الحوار: تقريب المعاني وليس تعقيدها وتسيير الحـال وليس تعسيرها، والتّرغيب في الحقّ وليس التّنفير عنه، لذلك فإنّ معرفة الأهمّ والبدء به وتحديـده بوضوح يسهّل كثيرا من الأمور المهمّة على المحاور، وأوضح الأمثلة على ذلك بدأ الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام دعوتهم بأهمّ قضية وأعظم غاية، وهي الدّعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له.[2]

فكان كلّ نبي يدعو قومـه بقولـه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴿٥٩﴾﴾ **الأعراف: ٥٩**، قالها نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام، كذلك يوسف عليه السّـلام عندما سأله صاحبا السجن كان جوابه بالأهمّ من ذلك فقـال: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ **يوسف: ٣٩ - ٤٠**، فيوسف عليه السّلام بدأ معه القضيّة الأهمّ، وهي الأمر بتوحيد الله وعبادته والتدرّج معهم فيها خطوة خطوة، ويعرضها بموضوعية، فبدأ بسؤال مجرّد يهزّ به فطرتهم ويوقظهـا: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾، وفي هذا السؤال جوابه: فلاشكّ أنّ الواحد القهّار خير وهو الذي له العبادة وحده، ثمّ يخطو يوسف عليه السلام خطوة أخرى في مواجهة عقائـد الجاهلية وأوهامها الواهيـة، فيقـول: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ ﴿٤٠﴾﴾ **يوسف: ٤٠** فتلك الآلهة والأرباب لا حجّة لها

[1] يحيى زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه، ص303.

[2] علي بادحدح، مقوّمات الدّاعية النّاجح ، ص95.

ولا برهان، فلم يجعل اللّه لها سلطان، و لم يترل بها من سلطان، ثمّ يضرب يوسف ضربته الأخيرة الحاسمة فيبيّن لمن ينبغي أن يكون السلطان والطّاعة أي لمن ينبغي أن تكون العبادة فيقـــول: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ يوسف: ٤٠، فقرّر أخيرا أنّ الدّين الصّحيح القيّم هو الذي لا يعبد متّبعه إلاّ اللّه وحده لاشريك له، وبذلك يصل إلى مراده من تقرير توحيد اللّه سبحانه وتعالى، قال السّعدي ـــ رحمه اللّه ـــ في ذكر الفوائد من قصّة يوسف ـــ عليه السلام ـــ:" ومنها البدء بالأهمّ وأنّه إذا شـــكّ المفتي وكان السائل في حاجة أشدّ بغير ما سأل عنه، أنّه يعلّمه ما يحتاج إليه قبل أن يجيب سؤاله، فإنّ هذا علامة على نصح المعلم وفطنته وحسن إرشاده وتعليمه، فإنّ يوسف عليه السلام لّما سأل الفتيان عن الرؤيا قدّم لهما قبل تعبيرهما.. ودعاهما إلى اللّه وحده لاشريك له."[1]

ومن النّصوص الشّرعية أيضا التي تأكّد أهميّة هذا المبدأ ـــ التدرج في الدّعوة على حســـب الأحوال والأزمات ـــ ما ورد عن عائشة رضي اللّه عنها في التدرّج في نزول القرآن:"إنّما نزل أوّل ما نزل منه سورة من المفصَّل، فيها ذكر الجنة والنّار حتّى إذا ثاب النّاس إلى الإسلام نـــزل الحلال والحرام، ولو نزل أوّل شيئ: لاتشربوا الخمر، لقالوا: لاندع الخمر أبدا، ولو نزل: لاتزنوا، لقالوا:لاندع الزنا أبدا."[2]، قال الحافظ ابن حجرـــ رحمه اللّه: "الـــبدأ بالأهمّ فالأهمّ، وذلك من التلطف في الخطاب، لأنّه لو طالبهم بالجميع في أولّ مرّة لم يأمن النّفرة."[3]

فالتّدرّج في عرض محاور الحوار وملاحظة ترتيب الأولويات، ومراعاة أحـــوال المحـــاورين شرط مهّم لإنجاح الحوار، ومن هنا يتعيّن التذكير ببعض العناصر المهمّة لهذا الأساس وهي:

- **وجود خلفية عن الطّرف الآخر**: إذ أنّ عقول النّاس وأفهامهم ومســـتويات ثقافتـــهم تتفاوت، والمحاور الفطن يعرف من يحاور، وبالتّالي يعرف الطّريقة التي ينبغي له أن يناقشـــه بهـــا ويحاوره، فيخاطبهم بما يحقّق الغرض ويصل به إلى المطلوب من أيسر الطرق، ولذلك فإنّ النّبيّ ﷺ كان يهتمّ بأحوال المدعوّين ويتعرّف عليهم ويسأل عن أصلهم، فقد لقي الـــنّبيّ ﷺ نفـــرا مـــن الخزرج عند عقبة المنى في موسم الحج، فسأله عن أصلهم قبل دعوتهم إلى اللّه عزّوجل، فقد روى

[1] عبد النّاصر السعدي، تفسير السعدي، ج2، ص448.

[2] البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، رقم:4707.

[3] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج4، ص576.

ابن إسحاق ـــ رحمه الله ـــ أنّه لمّا لقيهم رسول اللّه ﷺ قال لهم:"من أنتم ؟"، قالوا: نفـر مـن الخزرج، قال: "أمن موالي اليهود؟"، قالوا: نعم، قال:"أفلا تجلسون أكلّمكـم"، قـالوا: بلـى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عزّ وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن.[1]

- **الدخول إلى المحاورة من مداخل نفسية** ومحاولة إثارة العاطفة وإظهار الخـوف عليـه والنّصيحة له[2]، إذ العواطف الإنسانية مدخل هامّ إلى العقل، فقد لا يسمح لنا بالـدّخول علـى عقول الآخرين تطبيقا لقواعد الإقناع والمنطق، ولكن قد يسمح باقتحام هذه البوابّة العقليّة عـن طريق العواطف، هذه المشاعر الوجدانية تؤثّر بدرجات متفاوتة في عملية اتّخاذ القرار[3]، وهذا ما نجده أيضا مع نوح عليه السلام، فقد قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ الأعـراف: ٥٩، وقال الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السّلام: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾ مريم: ٤٥، فانظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورّطا فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه أمر العقل، وانسـلخ عـن قضيّة التّمييز، كيف رتّب الكلام معه في أحسن اتّساق، وساقه أرشق مساق مع استعماله المجاملة واللّطف والرّفق والليّن والأدب الجميل والخلق الحسن.[4]

وفي الحديث أنّ رجلا جاء فجلس بين يدي النّبيّ ﷺ فقال: إنّ لي مملـوكين يكـذّبونني ويخونونني ويعصونني فأشتمهم وأضربهم، فكيف أنا معهم ؟، فقال رسول الله ﷺ: "إذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وعصوك وكذّبوك، وعقابك إيّاهم، فإن كان عقابك إيّاهم فوق ذنوبهم اقتصّ لهم منك الفضل"، فتنحّى الرجل وجعل يهتف ويبكي، فقال رسول الله ﷺ:" أما تقرأ قول الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ

---

[1] البيهقي، دلائل النبوة، تـ: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، 1408هـ/1988م ج2،ص434،و عبد الملك ابـن هشام، السيرة النبوية، ج2،ص276، حسّنه الألباني في تعليقه على فقه السيرة، ، ص154.

[2] علي جريشة، أدب الحوار والمناظرة، دار الوفاء، مصر، ط1، 1410هـ، ص81.

[3] مصطفى الطحّان، التربية ودورها في تشكيل السلوك، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1427هـ /2006م، ص188.

[4] أبو حيان الأندلسي، تفسيرالبحر المحيط، دار الفكر، ج6، ص143.

حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٤٧" فقال الرجل: يا رسول الله ما أجد لي ولهؤلاء بدّاً من مفارقتهم أشهدهم أنّهم كلّهم أحرار. [1]، يقول المباركفوري رحمه الله:" من مفارقتهم: أي من مفارقتي إيّاهم لأنّ المحافظة على مراعاة المحاسبة والمطالبة عسر جداً "[2]، فالنبيّ ﷺ استخدم عاطفة الرّجل تجاه الجنّة وخوضه في النّار، وترك له القرار والاختيار، فكان من ثمرة هذا الأسلوب القرآني في الحوار أن أذعن الرجل إلى ما فيه راحته في الدّنيا والآخرة.

ومن الحوارات التي تبيّن هذا المعنى وتجسّده بوضوح ما دار بين النّبيّ ﷺ وبين الشّاب الذي استأذنه في الزنا، حيث نقل رسول الله ﷺ عواطف الرّجل الشاب من دائرة عامّة إلى دائرة عاطفته الذّاتية التّي تهمّه، فاستثمر شعوره وعواطفه نحو أمّه وأخته وخالته، ثمّ عندما وضع يده الشريفة عليه ودعا له.[3]

قال الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد[4]: "إنّ شيئا من سعة الصدر والإحاطة بطبائع النّفوس كفيل بتحقيق الخير في النّاس بنتيجة لا يظنّها الكثيرون، ينبؤ على ملاحظة استيعاب المدعوّ وسعة مداركه، فلا يلقى إليه ما لا يبلغه عقله فيوقعه إمّا في النّفرة والشّرود، وإمّا في التخبّط الفكريّ والدّخول في غياهب الفتن."[5]

---

[1] الترمذي، سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة الأنبياء، رقم:3165 والبيهقي في شعب الإيمان،تـ:محمّد السعيد زغلول، رقم:8586 وأحمد في مسنده،، حديث عائشة، رقم:6401، قال الألباني: صحيح الإسناد، انظر: صحيح سنن الترمذي، مج3، ص 283.

[2] المباركفوري، تحفة الأحوذي شرح سنن التّرمذي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ج9، ص4.

[3] مصطفى الطحّان، التربية ودورها في تشكيل السلوك، ص187.

[4] صالح بن عبد الله بن حميد، من آل حميد من قبيلة بني خالد من مواليد بريدة سنة 1369 هـ، شغل منصب رئيس مجلس الشورى سنة 2002، حتى تعيينه رئيس المجلس الأعلى للقضاء في السعودية سنة 2009 وحتى 2012 ح وعين في الديوان الملكي، من مؤلفاته: مفهوم الحكمة والدعوة، التوجيه غير المباشر في التربية وتغيير السلوك، نظرة تأصيلية في الخلاف بين أهل العلم، البيت السعيد وخلاف الزوجين.... إلخ. ويكيبيديا – الموسوعة الحرة –

[5] صالح بن عبد الله بن حميد، مفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنّة، دار الوطن، الرياض، ط1، 1414هـ، ص22.

المطلب الثالث: الالتزام بالموضوعيّة أثناء الحوار

تحديد الموضوع والتزام الأطراف بالمحاورة وعدم الخروج عن مضمونها أصل مهمّ للوصول إلى الغاية من المحاورة، وهذا الأصل يمنع من الشغب في الحوار، ويجعل كلام المتحاورين ملائمـا للموضوع، ليس فيه خروج عمّا هو بصدده [1] ؛ بحيث لا يعتمد أحد المتحاورين على الانطباعات الذّاتية أو المعلومات الشائعة، أو المشهورات التي يتداولها العامّة باعتبارها حقائق، فضلا عن نبـذ النّزاعات والأهواء والعواطف[2]، ذلك أنّ الموضوعيّة في الحوار تعني التّجرّد عن كلّ الآراء المسبقة والتقيّد بالموضوع والاحتراس من تعميم الأحكام، وتجاهل الضّعف والخلل في الرّأي المأخوذ به، والخلط بين الرّأي والذّات الآخذة به.[3]

وهذا ما نلمسه في حديث عائشة رضي الله عنها أنّها قالت: أتتها بريرة تسألها في كتابتها، فقالت: إن شئت أعطيت أهلك ويكون الولاء لي، فلمّا جاء رسول الله ﷺ ذكّرته بذلك، قـال النّبي ﷺ:" ابتاعي، فأعتقيها فإنّما الولاء لمن أعتق "، ثمّ قام رسول الله ﷺ على المنبر فقال:"ما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله، من اشترط شرطا ليس في كتاب الله ما ليس لـه، وإن اشترط مائة شرط."[4]

يقول النّووي رحمه الله: "هو موافق للمعروف من خطبه ﷺ في مثل هذا أنّه إذا كره شـيئاً فخطب له ذكر كراهيته، ولا يعيّن فاعله، وهذا من عظم خلقه ﷺ، فإنّ المقصـود مـن ذلـك الشّخص وجميع الحاضرين وغيرهم ممّن يبلغه ذلك، ولا يحصل توبيخ صاحبه في الملأ "[5]، ويقـول الشيخ بكر أبو زيد[6]: "الأصل هو السّتر والعمل على دفع دواعي الفرقة والوحشة وعدم الموافقة،

---

[1] محمّد الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ج2، ص76.

[2] محمّد الكتاني، ثقافة الحوار في الإسلام، ص211.

[3] فيصل الحاشري، فن الحوار، دار الإيمان، مصر، ط1، ص78.

[4] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب المكاتب وما لا يحلّ من الشروط، رقم:2584 وأبواب المساجد، بـاب ذكر البيع والشراء على المنبر في المسجد، رقم:444 والترمذي في سننه، كتاب الوصايا، باب الرجل يتصدق أو يعتـق عنـد الموت، رقم:2124.

[5] النّووي، مسلم بشرح النّووي، ج5، ص72.

[6] بكر أبو زيد: بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر، ولد في قرية بني زيد القضاعية عام 1365 هـ، تخـرّج من كلية الشريعة بالرياض عام 1387 هـ/1388هـ، وكان ترتيبه الأوّل، له عدّة مؤلفات منها:آداب طالب الحديث مـن

فالردّ ينصبّ على المقالة المخالفة المذمومة لا على قائلها..." [1]

فالنّبيّ ﷺ لم يكن يفضح الشّخص الذي يريد أن ينصحه ويبيّن له خطأه، بل كان يتناول المسألة في إطار العموم، فكان يوجّه اهتمامه إلى الخطأ دون التعرّض إلى صاحبه، لأنّ هدفه ﷺ الإصلاح ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وليس التّشهير بالأشخاص على رؤوس الأشهاد، كما يقع من بعض النّاس في يومنا والله المستعان.

وحتّى تتحقّق الموضوعية في أيّ حوار يقوم بين أطرافه، فلابدّ أن يستند إلى عناصر مهمّة، وهي كما يلي:

أولا: تحديد عناصر الموضوع

أي تحديد النّقاط التي يتضمّنها قبل الدّخول في الحوار، إضافة إلى مراعاة الغاية من الحوار أثناءه، إذ إنّه لا يصحّ أن يكون الحوار في مسألتين مختلفتين، كلّ منهما يقصد بحواره أحدهما في آن واحد، بل الصواب في ذلك أن يكون الحوار حول نقطة معيّنة ؛ بحيث يتمّ التركيز عليها ولا يتعدّاها المحاور حتّى ينتهي منها، و مثال ذلك مارواه النّسائي رحمه الله تعالى ـــ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لمّا خرجت الحرورية اجتمعوا في دار – على حدتهم – وهم ستّة آلاف وأجمعوا أن يخرجوا على عليّ بن أبي طالب وأصحاب النّبيّ ﷺ معه، قال: جعل يأتيه الرّجل فيقول: يا أمير المؤمنين إنّ القوم خارجون عليك، قال: دعهم حتّى يخرجوا فإنّي لا أقاتلهم حتّى يقاتلوني وسوف يفعلون، فلمّا كان ذات يوم قلت لعليّ: يا أمير المؤمنين: أبرد عن الصلاة فلا تفتنّي حتّى آتي القوم فأكلّمهم، قال: إنّي أتخوّفهم عليك، قلت: كلّا إن شاء الله تعالى، وكنت حسن الخلق لا أوذي أحدًا، قال: فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية، قال أبو زميل: كان ابن عباس جميلاً جهيرًا، قال: ثمّ دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة، قال: فدخلت على قوم لم أر قط أشدّ اجتهادًا منهم، أيديهم كأنّها ثفن الإبل، وجوههم معلّمة من آثار السّجود، عليهم قمّص مرخّصة، وجوههم مسهمة من السهر، قال: فدخلت. فقالوا: مرحبًا بك يا ابن عباس! ما جاء بك؟ وما هذه الحلّة، قال: قلت ما تعيبون عليّ؟ لقد رأيت على

الجامع للخطيب، تسمية المولود، حلية طالب العلم، الحدود والتعزيزات، تقريب الألفاظ العلمية... وغيرها، انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

[1] بكر أبو زيد، الردّ على المخالف من أصول الإسلام، دار العاصمة،المملكة العربية السعودية،ط1،1414هـ، ص63.

رسول الله أحسن ما يكون من هذه الحلـــل، ونزلـــت ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: 32] قالوا: فما جاء بك؟ قال: جئت أحدّثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ ومن عند صهر رسول الله ﷺ عليهم نزل الوحي، وهم أعلم بتأويله وليس فـــيكم منهم أحد، فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشاً فإنّ الله تعـــالى يقـــول: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: 58]، وقال رجلان أو ثلاثة لو كلّمتهم، قال: قلت أخبروني ما تنقمون على ابن عمّ رسول الله ﷺ وختنه، وأوّل من آمن به، وأصحاب رسول الله معه ؟ قالوا: ننقم عليه ثلاثاً، قال: وما هنّ؟ قالوا: أوّلهن أنّه حكّم الرجال في دين الله، وقد قال الله: "إِنِ الحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ"، فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عز وجل، قال: قلت وماذا؟ قالوا: وقاتل و لم يَسْبِ و لم يغنم، لئن كانوا كفّارًا لقد حلّت له أموالهم ولئن كانوا مؤمنين لقد حرّمت عليه دماؤهم، قال: قلـــت: وماذا؟ قالوا: محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين، قال: قلت أعندكم سوى هذا؟ قالوا: حسبنا هذا، قال: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتـــاب الله المحكـــم وحدّثتكم من سنّة نبيّه ﷺ ما لا تنكرون ـــ ينقض قولكم ـــ أترجعون؟ قالوا: نعم، قال: قلت أمّا قولكم: حكّم الرّجال في دين الله، فإنّ الله تعالى يقول:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ ، إلى قوله: ﴿ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ [المائدة: 95]. وقال في المرأة وزوجها: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ [النساء: 35]. أنشدكم الله أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم، وإصلاح ذات بينهم أحقّ أم في أرنب ثمنها ربع درهم، وفي بضع امرأة، وأن تعلموا أنّ الله لو شاء لحكم و لم يصيّر ذلك إلى الرجال، قالوا: اللّهم في حقن دمائهم وإصلاح ذات بينهم، قال: أخرجت من هذه ؟ قالوا: اللّهم نعم، قال: وأمّا قولكم قاتـــل و لم يسب و لم يغنم، أتسبون أمّكم عائشة أم تستحلّون منها ما تستحلّون من غيرها، فقد كفرتم، وإن زعمتم أنّها ليست أمّ المؤمنين فقد كفرتم، وخرجتم من الإسلام، إنّ الله يقول: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ [الأحزاب: 6]، فأنتم متـــردّدون بـــين ضـــلالتين، فاختاروا أيّهما شئتم، أخرجت من هذه ؛ فنظر بعضهم إلى بعض، قالوا: اللّهم نعم، قال: وأمّـــا قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بما ترضون، فإنّ رسول الله ﷺ دعا قريشًـــا يـــوم الحديبية أن يكتب بينه وبينهم كتابًا فكاتب سهيل بن عمرو و أبا سفيان، فقال: اكتب يا علـــي

هذا ما قاضى عليه محمّد رسول الله، فقالوا: والله لو كنّا نعلم أنّك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك ولكن اكتب محمّد بن عبد الله ، فقال: والله إنّي لرسول الله حقًا وإن كذّبتموني، اكتب يا علي: محمّد بن عبد الله، فرسول الله ﷺ كان أفضل من علي ﷺ وما أخرجه من النبوّة حين محا نفسه، أخرجت من هذه ؛ قالوا: اللّهم نعم، فرجع منهم ألفان وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا على ضلالة.[1]

يتبيّن لنا من خلال ما جرى بين ابن عبّاس وهؤلاء الحرورية أنّ ابن عبّاس سألهم عن مأخذهم على الإمام علي ﷺ وأصحابه، فحدّد بذلك منازع الاختلاف ومدار النّزاع بدقّة، ثمّ بدأ يستعرض المسائل الواحدة تلو الأخرى، ولا ينتقل من واحدة إلاّ بعد أن ينتهي الحوار منها، ويقول لهم بعد كلّ مسألة بيّن وجه الحقّ منها: أخرجت من هذه؟، فإذا قالوا: اللهمّ، نعم، انتقل إلى المسألة التي تليها، حتّى مرّ على جميع المسائل التي استشكلت عليهم.

إذن فلا بد من معرفة الموضوع الذي يجري الحوار حوله والموقف المسبق بشأنه تصديقا أو تكذيبا، قبولا أو رفضاً، صحّة أو خطأً، لأنّه حوار مع جاهل، كما لا جدوى من حوار بين متوافقين من جميع الوجوه، ولا أساس مطلق للحوار فيما نجهله.

والمقصود بالمعرفة هنا معرفة جوانب الموضوع وما يعرض للنّاظرين فيه من دواعي الاختلاف، وما يعتمده المختلفون من دلائل واستشهادات تعزّز موقف كلّ منهم، إذ لا يتصور الدخول في حوار حول موضوع مسألة بدون أن يكون للمتحاور في شأنها موقف منها قبولا أو رفضا، مدعومين بالحجّة والدليل، وهذه المعرفة أو الخبرة الوافية هي التي يمكن إجمالها في مبدأ واضح، وهي ضرورة انطلاق الحوار من علم مسبق بموضوعه[2]، وقد دلّنا القرآن الكريم على هذا المبدأ في مثل قوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦ ﴾ آل عمران: ٦٦، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨ ﴾ الحج: ٨، وقوله تعالى

[1] أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن عباس، رقم: 342، وقال أحمد شاكر في تعليقه على المسند: إسناده صحيح، انظر: شرح المسند للإمام أحمد، أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، الطبعة 1، 1995م، رقم: 3187، ج3، ص370.

[2] عبد الله الموصلي، فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنّة النّبويّة، ص27.

على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطًا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ ﴾ مريم: ٤٣.

ثانيا: الالتزام بالنّقد الموضعي في المحاورة:

بحيث يكون النّقد منصبّا على المقالة لا على قائلها، "بأن يكون موضوعيا حياديا يناقش الخطأ في ذاته دون ربطه بالمخطئ، حتى يتاح للمخطئ أن يدلي برأيه في الخطأ، والمخطئ في هذا الحوار الهادئ يحاور حتى يتبيّن له الحقّ من الصّواب"[1]، وهذا ما يظهر في تعامل النّبيّ ﷺ؛ حيث كان من عادته وهديه ﷺ وحسن خلقه أنّه إذا وقعت مخالفة من بعض النّاس تحتاج إلى تنبيه، فإنّه يأتي بكلام عامّ دون أن يسمّيهم، ليستفيد من كلامه الذين حصل منهم الخطأ والذين لم يحصل منهم، فكان يبيّن الخطأ دون التّعرض للأشخاص ما أمكن إلى ذلك فكان، يقول: "ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا"، إذ أنّ غايته هي الإصلاح لا التّشهير.

ثالثا: الالتزام بإيراد ما يحتاج إليه في المحاورة فقط

بحيث لا يستطرد في الموضوع حتّى يخرج عن الهدف المرجوّ من المحاورة " ولا يتوسّع إلاّ بقدر الحاجة، مع الحذر من الوقوع في الأغاليط والشبهات التي لا فائدة منها سوى العملية الجدلية والانحراف بها عن مسارها."[2]

---

[1] عبد الحليم محمود، التربية الاجتماعية الإسلامية، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 1422هـ / 2001م، ص 276.

[2] مسعود فلوسي، الجدل عند الأصوليين، مكتبة الرشد، ط1، 1424هـ، ص313 بتصرّف يسير.

المبحث الثالث:آداب متعلّقةّ بجوّ الحوار

إضافة إلى الآداب التي ينبغي أن ينضبط بها الحوار، وحتى يتّسم هذا الأخير بالنجاح، هو أن يقوم المتحاوران بتوفير الجوّ المناسب له، ويكون بالنّظر إلى الظروف المحيطة به من حيث المكـــان والزّمان ومن حيث الموضوع، فقد يكون المكان ناديا أو بيت صديق أو مكتب عمل، وقد يكون مسجدا أو سيارة [1]، وكذا مراعاة الزّمان والموضوع محلّ الحوار، إذ إنّ لكلّ من ذلك حكمـــا في التّحاور.

المطلب الأوّل: ملاءمة المكان:

وهنا نجد الحوار الذي جرى بين موسى والسحرة بالسّدرة، فراعى سيّدنا موسى عليـــه السلام الزمان والمكان، حيث قـــال تعـــالى:﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ ﴾ طه: ٥٩، يقول محمّد الأمين الشنقيطي [2] ـــ رحمه اللّه ـــ:"قال الزمخشـــري: "وإنّمـــا واعدهم موسى ذلك اليوم ليكون علوّ كلمة اللّه وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤوس الأشهاد في المجمع، لتقوى رغبة من رغب في اتّباع الحقّ... ويكثر المحدث بذلك الأمـــر ليعلم في كلّ بدو وحضر ويشيع في جميع أهل الوبر والحضر، وما ذكره اللّه جلّ وعلا في هـــذه الآية الكريمة من كون المناظرة بين موسى والسحرة عيّن لوقتها يوما معلوما يجتمع النـــاس فيـــه، ليعرفوا الغالب من المغلوب."[3]

ويوم الزّينة هو يوم عيدهم وتفرّغهم من أعمالهم على حدّ أقوال المفسّرين وأن يجمـــع النّاس لمشاهدة المعارضة بين السّحرة وموسى في ضحوة النهار، ليكون الوقت أظهر وأجلى وأبين وأوضح للحقّ، وهكذا شأن الأنبياء عليهم السلام، وكلّ أمرهم بيّن واضح ليس فيـــه خفـــاء،

---

[1] السيّد علي الخضر، الحوار في السيرة النّبويّة، ص215 بتصرّف يسير.

[2] محمد الأمين الشنقيطي: بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي، مفسر، باحث، من علماء شنقيط بموريتانيا، مـــن كتبـــه: أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، توفي بمكة، انظر معجم المفسرين، ج2، ص496.

[3] محمّد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، لبنـــان، ط1، 1415هـــ/1995م، ج4، ص29.

ولذلك لم يقل ليلا ولكنه قال نهارا ضحى في مكان سوى أي حالنا فيه التسوية[1]، فكأنّه قـال: مكانا قريبا منّا قربه منكم، وهذه التّهيئة من موسى لجوّ الحوار هو الذي أنجحه، وكانت تلـك النّتيجة الجليلة في إيمان السحرة وتحدّيهم لفرعون، وأنّهم أثاروا اللّه والإيمان به على كل شيء أمام طاغوت فرعون ووعده ووعيده وعقابه الشديد يقول تعالى:﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾ طه: ٧٢ - ٧٣

إذن فلابدّ من مراعاة المكان من حيث ضيقه واتّساعه، إذ الأماكن العامّة لا تصلح للحوار في قضيّة خاصّة أو حوار طويل، حيث تكثر فيها الشّواغل والمقاطعات، فـلا تصـلح أمـاكن الضّجيج مثل الأسواق ونحوها، فلابدّ من الابتعاد عن مثل هذه الأماكن، لأنّ الحقّ قد يضـيع في مثل هذه الأجواء، حيث التّقليد الأعمى والتبعيّة للأكثر، وبقدر ما يقلّل المتحاورون أو السامعون في الحوار بقدر ما ينقادون إلى الحقّ عند ظهوره.[2]

المطلب الثاني:ملاءمة الزمان

والمقصود بمراعاة الوقت تخيّر الوقت الملائم للحوار ومناسبة طوله لأحوال النّاس، وهذا ما يبيّنه الحديث الذي يرويه البخاري ـــ رحمه اللّه ـــ عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنّه قال: جـاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، ذهب الرّجال بحديثك، فاجعل لنا مـن نفسـك يوما، نأتيك فيه تعلّمنا ممّا علّمك الله، قال: اجتمعن يوم كذا وكذا، فاجتمعن، فأتاهنّ النّبيّ ﷺ، فعلّمهنّ ممّا علّمه الله، ثمّ قال: "ما منكم من امرأة تقدّم ثلاثة من الولد إلاّ كانوا لها حجابا مـن النّار، فقالت امرأة: واثنين، فقال رسول الله ﷺ: "واثنين." [3] حيث قام النّبيّ ﷺ باختيار المكـان والزّمان لتتعلّم هذه النّساء أمور دينهنّ: "اجتمعن يوم كذا وكذا "، يقول المباركفوري ـــ رحمه

---

[1] انظر: المصباح المنير في تهذيب تفسير بن كثير لجماعة من العلماء، بإشراف صفيّ الرّحمن المباركفوري، دار السّـلام للنّشـر والتّوزيع، الرّياض، ط2، 1421هـ، ص845.

[2] عبد الله الموصلي، فقه الحوار مع المخالف، ص74.

[3] البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوما على حدة، رقم:101 وكتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب، رقم:1192 وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب تعليم النبي صلى الله عليه وسلّم أمتـه الرجـال والنساء، رقم:6880 ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، رقم:2633.

الله ـــ:" يعني اجعل لنا وقتا من الأوقات المختصّة بذاتك الأشرف في أيّ وقت وفي أيّ مكـــان من المسجد أو البيت "[1]، وفي تعيين النّبيّ ﷺ المكان والزّمان فائدة وهي حتّى يجعل لهذه النّســـوة الاستعداد والشّوق لما سيلقيه عليهنّ، فتكون الموعظة أوقع، لأنّ ما حصل بالطلب ليس كالحاصل بلا تعب."[2]

فمراعاة الزّمان من حيث اتّساعه للموضوع الذي يطرح للحوار من الأمور المهمّة الـــتي لابدّ أن تراعى أثناءه، فلا يحدّد الوقت في نهاية الدّوام لانشغال النّاس بالانصراف إلى منازلهم، ولا يكون الوقت متأخرا من الليل ؛ حيث الرّغبة في النّوم أو قبل طعام، أو استعداد لسفر، بل يختـــار وقتا يتّسع للحوار حتّى لا يؤدّي إلى بتره أو عدم الفائدة منه.[3]

المطلب الثالث: ملاءمة الموضوع وطريقة طرحه:

ومعنى ذلك أن يقوم المحاور باختيار الموضوع الذي يناسب حال الحضور، وهل هـــم في مستوى المناقشة أثناء الحوار أم لا ؟، وهل فيهم من يتدخّل فيفسد النّقاش ويضيع إمكانية الانتفاع منه [4]، وهنا يستوقفنا ما رواه جرير بن عبد الله أنّ أعرابيا قدم على مجلس رسول الله ﷺ وهو بين أصحابه، فجلس إليه وهو يرتجف خائفاً لأنّه استحضر صورة الملوك والأمراء مـــع أقـــوامهم في شدّتهم وبأسهم وبطشهم، فنظر إليه النّبيّ ﷺ وقال:" هوّن عليك، إنّما أنا ابن امرأة كانت تأكل القدّيد." [5]

فهذا من النّبيّ ﷺ من أجل توفير جوّ يجعل الأعرابيّ الذي جاء ليتعرّف على الإسلام يهـــدأ ويطمئن، ويستمع جيّداً، وفي النّهاية يسلم ويتغيّر، وهذا ما يدلّ على أهميّة توفير الجوّ المناســـب للحوار، قال الله تعـــالى: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾ **الحج: ٢٤**

---

[1] أبو الحسن المباركفوري، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، إدارة البحوث العلمية والـــدعوة والإفتـــاء، الهنـــد، ط3، 1404هـــ / 1984م، ج5، ص503.

[2] عبد الله الموصلي، فقه الحوار مع المخالف، ص74.

[3] علي بادحدح، مقومات الداعية الناجح، ص99.

[4] يحي محمّد زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ص117 بتصرّف يسير.

[5] ابن ماجه في سننه، كتاب الأطعمة، باب القديد، رقم:2693، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح ابن ماجه، مـــج 3،ص 128.

كما ورد أيضا عن أبي هريرة ﷺ أنّه قال: قال رسول الله ﷺ لرجل: "ما تقول في الصلاة؟ "قال: أتشهد، ثمّ أسأل الله الجنّة وأعوذ بالله من النّار، أما والله ما أحسن دنـــدنتك ولا دندنـــة[1] معاذ، فقال النبي ﷺ: "حولها ندندن"[2]، فقد استخدم النّبيّ ﷺ الأسلوب الذاتي الذي اســـتخدمه الأعرابيّ في التّعبير عمّا في نفسه، فقال له ﷺ:" حولها ندندن"، وهكذا كلّما أوحينا للإنسان الذي نحاوره أنّ الكلام الموجّه إليه من واقع تفكيره وكلماته الخاصّة كلّما كنّا مقبولين لدى عقله.

فعلى المحاور إذن أن يحسن انتقاء المواضيع التي يحاور حولها وأنّهـــا في مســـتوى عقـــول الحاضرين والمستمعين وأنّها من اهتماماتهم، وفي حالات أخرى قد لا يملك المحاور أن يتحكّم في تحديد موعد معيّن، كأن يفاجأ في جمع من النّاس من يلبس عليهم في أمر دينهم مثلا، أو يثير شبها ويشكّك في أصول وقواعد ومسلّمات يبني عليها دين المسلم عندها، قد لا يسع المحـــاور إلاّ أن يتحيّن الفرصة ويعرض نفسه لتصحيح الأخطاء التي ربّما علقت بأذهان المستمعين وردّ الشبهات، ومن ثمّ إسكات المتكلّم، فإذا أحسن اختيار ذلك يبقى له العنصر الأخير والأهمّ في جوّ الحـــوار وهو اختيار المنهج بانتقاء أفضل الكلمات والمعلومات التي يتحاور بها على أساس منهج الأنبياء في الحوار ؛ حيث يعتمدون الفكر والحكمة والمحبّة والمودّة واللّين والرّفق.

وممّا يمكن أن نستفيده من الأحاديث تحت هذا العنوان، أنّ هناك أمورا تساعد على توفير الجوّ المناسب للحوار وهي:

أوّلا: خلق الأجواء الهادئة للتفكير السليم: إذ إنّه من المتّفق عليه حتّى نصل بالحوار إلى هدفه المنشود هو خلق تلك الأجواء التي تتّسم بنوع من الهـــدوء والابتعـــاد عـــن الفوضـــى والضوضاء، هذه الأخيره التي تشوّش على الطرف المحاور فكره، فلا يكاد إلّا أن يجد نفسه أمـــام جملة من الأفكار لا يعرف أوّلها من آخرها، بيد أنّ الجوّ الذي يعمّه الهدوء يتيح المحاور الفرصـــه ليحاور ويعبّر بكلّ حريّة دون الخضوع لأيّ نوع من الضغط النفسي الذي تسبّبه الفوضى.

إذن فالمحاور النّاجح يحرص على توفير جوّ الهدوء والتركيز، وذلك عن طريق تجنّب خلـــق الأجواء الانفعالية التي تربك ذهن الإنسان وتقفز بالعاطفة إلى المقدمة، فيسيطر على العقل فتحدث

---

[1] دندنة: أن يتكلّم الإنسان بكلام تسمع نغمته ولا يفهم كلامه، انظر: غريب الحديث لابن الجوزي، مج1، ص350.

[2] ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة...، باب ما يقال في التشهد الأخير والصلاة...، رقم:910 وكتاب الدعاء، باب الجوامع من الدعاء، رقم:3847 وأبو داود في سننه،كتاب الصلاة، بـــاب في تخفيـــف الصـــلاة، رقـــم:792، قـــال الألباني:صحيح، انظر: صحيح أبي داود، مج 1، ص 225.

بذلك كلّ أنواع الخلل المعروفة في الإدراك والتفكير من عدم استيعاب الرّأي الآخـر، وربّمـا استيعابه بصورة عكسية والتحيّز والتنوّع في الأحكام[1]، وبقدر ما يكون جوّ الحوار خـالٍ مـن الانفعالات والتّبعيّة بقدر ما يكون التركيز والهدوء والمتابعة الحسنة، ولقد كـان المشـركون إذا أكثروا من التّشكيك في الرّسول ﷺ وفي رسالته وأنّه ساحر ومجنون وكاهن...إلخ، لم يكن القرآن الكريم يراجعهم بالمواقف الانفعالية، بل كان يدعوهم إلى التّفكير بعد التجرّد مـن عـواطفهم وانفعالاتهم وعصبيّتهم، ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم أَنتَ .. ﴾سبأ: ٤٦ مثنى وفرادى ثمّ تتفكّروا ما...

فالتّشنّج والانفعال ليس هو الأسلوب الأمثل لنصرة الحقّ لأنّ القلب المشحون يؤثّر تأثيرا بالغا على انفعالات الإنسان التي تطغى على العقل والمنطق.[2]

ثانيا: مراعاة الظرف النّفسي والاجتماعي للطرف الآخر: فقبل أن نشرع في عمليّة الحوار أن نتأكّد من أنّ الشّخص الذي نحاوره لا يخضع لأيّ ضغوطات نفسيّة، قد تشغل تفكيره أثناء الحوار معه، كمرض أو حزن أو مشاكل شخصية أو غير ذلك من الأمور التّي " تؤثّر حتميا على الحوار إمّا ببتره قبل تمامه أو حدوث انفعالات غضب أو توتر يؤدي بالحوار إلى الفشل [3]، فعلى المحاور أن يحترم الطرف الآخر ويمنحه حقّه من التقدير والاحترام، ونحن مأمورون أن نترل النّاس منازلهم، فإذا كان الحوار مع شخص مهمّ أو كبير في السنّ أو يحتّل منصبا مهمّاً سياسياً أو اجتماعياً أو اقتصاديا، ينبغي أن نحفظ له حرمة المترلة التي يحتلّها حتى ولو كان مسيحياً أو يهودياً أو وثنياً، ونختار الألفاظ المناسبة لمكانته وتجامله بالحق، ونثني على ما فيه من جوانب إيجابية، وإنّ تعاملنا مع الآخر بهذه الروح الواثقة المؤدبة يضفي على الحوار الإيجابية والتّواصل نحو إنجاحه، فهذا رسول الله ﷺ وهو يكلّم عتبة بن ربيعة يخاطبه وينادي بكنيته فيقول له:" قل يا أبا الوليد أسمع" لأنّ الرّجل صاحب مكانة اجتماعية في قريش المشركة، والأمر نفسه كان مع النّبيّ ﷺ مع أبي سفيان حين أسلم في الفتح العظيم ــ فتح مكّة المكرّمة ــ حيث إنّ رسول الله ﷺ كان يعرف مكانته في قومه، فقال:" من دخل دار أبي سفيان فهو آمن."[4]

---

[1] عبد العزيز الجليل، وقفات تربوية، ج1، ص91.

[2] سعد الدين العثماني، في فقه الحوار، ص22.

[3] عبد الرحمن الصويان، الحوار، ص104.

[4] مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، رقم:1780 وأبو داود في سننه، كتاب الخراج، باب ما جـاء في خبر مكة، رقم:3023.

ثالثا: عدم الإكراه والإقرار بالخلاف: إنّ الحوار الهادف والمفيد هو مـا كـان موضـوعيا، والموضوعية تقتضي النّظر في ذات الموضوع في أسسه ومبادئه ومقوّماته، حتّى يكون الموضـوع جديرا بالإقبال عليه، هذه الموضوعية لا تتوفّر إلاّ بانعدام وسائل الضّغط وعوامل الإكراه، حتّـى يتمكّن العقل المجرّد بما تحقّقت له من حريّة، أن يفحص ويشرح ويحلّل [1]، فهذا سيّدنا نوح عليـه السلام قد دعا قومه في كلّ الأوقات وبشتى الطرق وبمختلف الأساليب حكيماً لطيفاً محبّاً، لكن لّما رفض قومه دعوته لم يعنّفهم أو يكرهم عليها، قال الله تعـالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ **هود: ٢٨**، ومعنى ذلك: أرأيتم إن كنت على يقين وحجة ظاهرة من ربي فيما جئـتكم بـه، وخفيت عليكم فلم تهتدوا إليها ولا عرفتم قدرها وبادرتم إلى تكذيبها فهل نلزمكم إيّاها بـالخير والإكراه، أي: فهل أقدر على أن أجعلكم بحيث تصلون إلى معرفتها والإيمان بما شئتم أو أبيـتم والحال أنّكم كارهون لها إنكارا وجحوداً واستنكاراً ؟ أي لا أقدر على ذلك ولا أحاول فعلـه بالإكراه، لأنّ الإيمان يكون عن رضاً واختيار لا عن جبر وإكراه [2]، فالحوار يـبنى علـى عـدم الإكراه، ونوح عليه السلام أتاه الله تعالى الرّسالة رحمة منه وزوّده بالأدلّة عليها، يقول حسـين فضل الله: "... فالمحاور إذا أخضع محاوره إلى الإكراه والجبرية فإنّه يتركه ويتبرّأ منه مع أوّل وهلة، قال الله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ البقرة: ٢٥٦، فاتّباع الحقّ والسعي في التوصّـل إليـه والحرص على الالتزام به هو الذي يقود الحوار في طريقه المستقيم ويحـول دون الانسـياق وراء الهوى، سواءاً كان هوىً شخصياً أو كان هوى المستمعين له أو المحيطين به، ويمنـع التعصّـب للرأيّ بغير علم ولا هدىً ولا كتابٍ منير، فلا بدّ أن يضع المحاور في ذهنه أنّه ربّما كان لدى غيره شيئ، ليتعلّمه منه، فيحرص على أن يظل المجال مفتوحا لتقليب وجوه الرّأي وإثراء الفكر والأخذ بالأمثل والأصوب، دون أن تختلف القلوب وتتفرّق الصفوف."[3]

وهذا المعنى هو الذي نلمسه في الحديث الذي يرويه البخاري عن عائشة رضي الله عنـها قالت: "دخلت عليّ عجوزان من عجز يهود المدينة، فقالتا: إنّ أهل القبور يعذّبون في قبـورهم،

---

[1] محمّد التومي، الجدل في القرآن، ص68.

[2] ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج3، ص548.

[3] حسين فضل الله، الحوار في القرآن الكريم، ج2، ص24.

قالت: فكذّبتهما و لم أنعم أن أصدّقهما فخرجتا، ودخل رسول الله ﷺ فقلت له: يا رسول الله، إنّ عجوزين من عجز يهود المدينة، دخلتا عليّ، فزعمتا أنّ أهل القبور يعذّبون في قبورهم، فقال: "صدقتا، إنّهم يعذّبون عذابا تسمعه البهائم "، قالت: فما رأيته بعد في صلاة إلّا يتعوّذ من عذاب القبر [1]، فالنّبيّ ﷺ صدّق قول هذين العجوزين رغم أنّهما يهوديتين، وذلك بقوله: "صدقتا إنّهم يعذّبون في قبورهم عذابا تسمعه البهائم"، وفي ذلك إشارة إلى أنّه لابدّ من قبول الحقّ أيّا كـــان مصدره.

رابعا: تبادل الاحترام بين الطّرفين

فمن الأسباب التّي توفّر الجوّ المناسب للحوار الالتزام بالاحترام من كلا الطّرفين، وذلـــك بأن يتقيّدا بالقول المهذّب البعيد عن كلّ طعن أو تجريح، أو هزء أو سخرية أو احتقار لوجهـــة النّظر التي يدّعيها أو يدافع عنها من يجادله [2]، وقد أمرنا القرآن الكريم بذلك في قولـــه تعـــالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ العنكبوت: ٤٦، فالسـبّ والشّـتم والاستهزاء والإكراه بالوسائل الماديّة أسلوب بدائي لا يقـرّه ولا يقبلـه منطـق ولا ترتضـيه موضوعية[3]، وبالتّالي لا ينبغي أن يتكلّم في حضرة من دأبه التلهّي والتشـفّي لعـداوة أو كـبر أو...إلخ، فقد كان النّبيّ ﷺ يأتيه الأعرابيّ ويجذبه من ردائه ويغلظ له في القول، فيبتسم في وجهه ويعطيه ما يرضيه، ويمرّ عليه اليّهود ويسبّونه بقولهم: السّام عليكم، بلا يزيد علـى أن يقـول: "وعليكم." [4]

فلابدّ إذن من إبداء الاحترام للطّرف الآخر، "وحتّى في حالة الانتصار والظّهور فإنّه ينبغي للمحاور أن يدع الطّرف الآخر يحتفظ بماء وجهه، لأنّ المقصود بيان الحقّ وإزهاق الباطل، دون تعيير أو سبّ أو شتم أو إذلال. "[5]

إلى هنا يمكن القول بأنّ الحوار لا يمكن أن يوصف بالنّجاح أو أنّه يؤدي وظيفتـه الـتي

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الدّعوات، باب التّعوّذ من عذاب القبر، رقم:6366، ومسـلم في صـحيحه ، كتـاب المساجد، باب استحباب التّعوّذ من عذاب القبر، رقم: 584.

[2] حبنّكة الميداني، فقه الدعوة إلى الله، دار القلم للطباعة والنّشر والتوزيع، ط1، 1996، ج1، ص640.

[3] محمّد التومي، الجدل في القرآن، ص89.

[4] يحي زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنّة، ص266 بتصرف يسير.

[5] المرجع نفسه، ص268 بتصرف يسير.

استعمل لأجلها، أو الوصول بهذا الأخير إلى نتائج يحمد عقباها، إلاّ إذا اقترن وقيّد بهـــذه الآداب والضوابط التي كنّا بصدد طرحها في هذا الفصل، والذي نلاحظه في الأمثلة التي مرّت معنـــا أنّ كلّ حوار كان من طرفه ﷺ قد اشتمل على تلك الآداب والضّوابط، التي إن دلّت على شـــيء فإنّما تدلّ على حلم ورحمة النّبيّ ﷺ بمن كان يتعامل معه أيّا كان دينه أو انتماؤه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث:

الأثر التّربويّ للحوار في ضوء السنّة النّبويّة

المبحث الأول: الآثار الوجدانيّة والعاطفيّة

المطلب الأول: محبّة الرّسول ﷺ

المطلب الثاني: كسب القلوب وتغليب الرّوح الإنسانية على الماديّة

المطلب الثالث: نشر المحبّة بين النّاس

المطلب الرابع: إشاعة الأمن والرّاحة والطمأنينة

المبحث الثاني: الحوار والإقناع وتصويب الخطأ

المطلب الأول: الدّخول في الإسلام

المطلب الثاني: التّقليل من شأن الدّنيا في النّفوس

المطلب الثالث: تهذيب الأخلاق والرّجوع عن المعصية

المطلب الرابع: التّجاوب والعطاء

المطلب الخامس: تصويب الخطأ

المبحث الثالث: الآثار المعرفيّة والتّوضيحيّة

المطلب الأول: ترسيخ العلم والإيمان

المطلب الثاني: كشف الحقائق عن كثير من المسائل

المطلب الثالث: ترسيخ المعاني الرّبانيّة في النّفوس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

تبيّن من خلال ما سبق معنا في هذا البحث أنّ النّبي ﷺ قد استخدم أسلوب الحوار والمناقشة في العديد من المواقف التّربويّة والتّعليميّة مع أصحابه الكرام رضوان الله عليهم ؛ حيث كان النّبيّ ﷺ يستعمل الأسلوب الحواري الذي يناسب المقام التّربويّ، هذا وقد نهج الصحابة بدورهم الأسلوب نفسه من بعده ﷺ، لم لا وقد كان النّبيّ ﷺ قدوتهم في كلّ شيء، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾، هذا وقد تنوّعت حواراته صلّى ﷺ تنوّعاً يتلاءم مع حال المخاطب والظروف المحيطة به، حتّى يصل بهذا الأخير إلى نتائج طيّبة تعود على الفرد والأمّة بكلّ خير، ولهذا نرى أنّه ﷺ قد استهدف كلّ فئات المجتمع في حواراته، وهذا ما قد بيّناه في الفصل الأول من هذا البحث، لنصل إلى الفصل الأخير منه، حتّى نبيّن ما للحوار من آثار تربويّة جليلة، وذلك من خلال استحضار بعض الأمثلة من السنّة النّبويّة التي نلمس من خلالها تلك المعاني بوضوح وجلاء لا تخفى على ذي عقل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: الآثار الوجدانية والعاطفية

فالحاسيّة الوجدانيّة حاسّة أخلاقيّة أو حدسيّة والعاطفة مكتسبة، والحاسّيتان مترابطتان، لأنّ الوسائل العاطفيّة وسيلة للتّنميّة الوجدانيّة إلى جانب طاقة أخلاقية، حيث تدور المعاني الوجدانيّة في نظر الإسلام حول القلب، إذ هو معدن التّقوى والسّكينة والوجل والإخبات واللّين والطمأنينة والخشوع والتّمحيص والطّهارة [1]، أمّا العاطفة فهي استعداد عقلي مكتسب يرتبط بموضوع ويؤدي إلى دفع الكائن الحيّ للقيام بأنواع من السّلوك ترتبط بهذا الموضوع، وعرّفها بعضهم بأنّها عبارة عن اتّجاه وجداني نحو موضوع بعينه مكتسبة بالخبرة والتعلّم.[2]

فلكلّ تصرّف أوسلوك يقوم به الإنسان له بطانة وجدانية ترافقه، قد تكون انفعالاً كامناً لا نشعر به،كالارتياح والرّضا، وقد تكون انفعالاً عنيفا كالدّهشة والغضب والخوف، وقد تكون انفعالاً هادئاً كالخشوع أو الحزن، وأنّ تكرار هذا الانفعال يعمل على ترسيخ أثر السلوك المرافق في النّفس، إذا استوفى شروطه، فإن كان سلوكاً فكرياً رسّخ أثره في الذّاكرة، وإن كان سلوكًا اجتماعيّاً تحوّل إلى عاطفة اجتماعيّة كالصّداقة والأخوّة في الله، وإن كان نشاطاً روحيّاً تحوّل إلى عاطفة ربّانيّة كالعبودية لله والشّكر له، وكمراقبة الله والرجوع الدّائم إلى طريقه المستقيم في جميع أمور الحياة[3]، وعليه فسنبيّن تحت هذا العنوان بإذن الله تعالى بعض هذه الآثار أو المعاني الطيّبة التي نلمسها في الحوار النّبويّ الذي قد استوفى جميع الشّروط والآداب الواجب توفرها في كلّ حوار، وذلك من خلال عرض بعض الأمثلة من السنّة النّبويّة التي تكون نبراسا لكلّ من يريد أن يسلك الطريق الذي سلكه النّبيّ ﷺ في حياته.

المطلب الأول: محبّة الرسول ﷺ:

فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه قال: بعث رسول الله ﷺ خيلا قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال سيّد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال:"ما عندك يا ثمامة؟"، فقال: عندي خير يا محمّد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال، فسل منه ماشئت، فترك حتّى كان الغدّ، ثمّ

---

[1] سعدون محمود الساموك، هدى علي جواد الشمري، التربية الإسلامية، مؤسسة الورّاق، عمّان، ط1، 2003م، ص176.

[2] المرجع نفسه، ص178.

[3] عبد الرحمن النّحلاوي، التربية بالحوار، ص200 بتصرف يسير.

قال له:"ما عندك يا ثمامة؟ " فقال: عندي ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، فتركه حتّى كان بعد الغد، فقال:" ما عندك يا ثمامة؟ "، فقال: عندي ما قلت لك، فقال:" أطلقوا ثمامة"، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثمّ دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمّدا رسول الله، يا محمّد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحبّ الوجوه إليّ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك، فأصبح دينك أحبّ الدين إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك فأصبح بلدك أحبّ البلاد إليّ، وإنّ خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى ؟ فبشّره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلمّا قدم مكّة قال له قائل: صبوت، قال: لا ولكن أسلمت مع محمّد رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبّة حنطة حتى يأذن فيها النّبيّ ﷺ.[1]

كلّ هذا التغير والتحوّل في شخصية الرجل هو أثر من آثار الحوار الذي أجراه النّبيّ ﷺ، ومعاملته الرفيقة به، وصبره على دعوته إلى دين الله وعدم إكراهه على ذلك، فمن خلال هذا الحوار استطاع النّبيّ ﷺ أن يحرّك قلب ثمامة نحو حبّه وحبّ هذا الدّين الذي أصبح في قلبه، ووجه النّبيّ ﷺ أحبّ الوجوه بعد أن كان أبغض الوجوه إليه، وأصبح الإسلام أحبّ الأديان إلى قلبه.

المطلب الثاني :كسب القلوب وتغليب الروح الإنسانية على المادية

وهذا ما نلمسه في الحوار الذي دار بين النّبيّ ﷺ والأنصار عقب غزوة بدر فعن أبي سعيد الخدري قال:لّما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب و لم يكن في الأنصار منها شيء، وجد هذا الحيّ من الأنصار في أنفسهم حتّى كثرت فيهم القالة حتى قال قائلهم: لقي رسول الله ﷺ قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله إنّ هذا الحيّ من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، و لم يكن في هذا الحيّ من الأنصار شيء، قال: "فأين أنت من ذلك يا سعد "، قال: يا رسول الله ما أنا إلّا امرؤ من قومي، قال:" فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة"، قال: فخرج سعد فجمع النّاس في تلك الحظيرة، قال: فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا وجاء آخرون فرّدهم، فلمّا اجتمعوا له أتاه، فقال: قد اجتمع لك هذا الحيّ من

[1] البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، رقم: 4372، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المنّ عليه، رقم:1764.

الأنصار، قال: فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو له أهل، ثمّ قال:" يا معشر الأنصار ما قالة بلغتني عنكم ووجدة وجدتموها في أنفسكم، ألم آتكم ضلّالا فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداءً فألّف بين قلوبكم " قالوا: بلى يا رسول الله أمنّ وأفضل، قال:"ألا تجيبوني، يا معشر الأنصار " قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله، ولله ولرسوله المنّ والفضل، قال:"أما والله لو شئتم فلصدّقتم وصدّقتم، أتيتنا مكذّبا فصدّقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فآويناك، وعائلا فأغنيناك، أوجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألّفت بها قوما ليسلموا ووكّلتكم إلى إسلامكم، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب النّاس بالشّاة والبعير، وترجعون برسول الله ﷺ في رحالكم، فو الذي نفس محمّد بيده، لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار، ولو سلك النّاس شعبا وسلك الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار، اللهمّ ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار "، قال: فبكى القوم حتّى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسما وحظّا، ثمّ انصرف رسول الله ﷺ وتفرّقنا.[1]

من الواضح في هذه المحاورة أنّها احتوت على جملة من الفوائد نجملها فيما يلي:

ـــ افتتح النّبيّ ﷺ خطبته التي اشتملت على إثارة الانتباه بالسؤال: "ما قالة بلغتكم عنّي "، ثمّ استفهام تقريري:"ألم آتكم ضلّالا فهداكم الله بي"، ثمّ مضمون بليغ يلامس القلوب:"وجدتكم...إسلامكم "، ثمّ خاتمته بدعاء صادق يأسر النفوس:"اللهم ارحم الأنصار وأبناء أبناء الأنصار.." بهذه الكلمات اليسيرة هيّج النّبيّ ﷺ مشاعر الأنصار ومحا كلّ ما في قلوبهم من الوجد والانكسار، إنّها كلمات تخرج من فيه الشريفة ﷺ لتقلب الموازين وتسحر المخاطبين..فماذا كانت النتيجة ؟ لقد ملأت تلك الكلمات الجليلة من النّبيّ ﷺ أفئدة هؤلاء سلاما وأرواحهم وأنفسهم إيمانا وعافية، يقول ابن حجر رحمه الله :"الأنصار شعار والنّاس دثار، وهي استعارة لطيفة لفرط قلوبهم منه، وأراد أيضا أنّهم بطانته وخاصّته، وأنّهم ألصق به وأقرب إليه من غيرهم."[2]

ـــ استخدم النّبي ﷺ الأسلوب الاستفهامي لإثارة العواطف ثمّ السيطرة عليها وتوجيهها التّوجيه الصّحيح، حتّى يتمّ الاعتماد عليها في المواقف الحرجة كما حصل مع الأنصار.

---

[1] أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، مسند أبي سعيد الخدري، رقم:11547، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

[2] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج8، ص58.

ـــ أراد الرسول ﷺ بأسئلته واستفهاماته أن يقرّوا بفضله عليهم بهدايتهم بعد أن كانوا ضالّين والتأليف بينهم بعد أن كانوا أعداءا، ثمّ لم ينس رسول الله ﷺ أنّهم بشر، فربما أرادوا أن يدافعوا عن أنفسهم بشيء من القول فلمّا استحيوا منه، دافع عنهم بالنّيابة عن أنفسهم لئلا يترك في قلوبهم شيئا من الوجد، فقال:" أما والله لو شئتم لقلتم فلصدّقتم ولصدقتم، أتيناك مكذبا فصدّقناك... [1] وبعد هذا حرّك النّبيّ ﷺ فيهم العاطفة، حيث أدركوا بعدها أنّه لا قيمة للشّاة والبعير بدون رسول الله ﷺ، فليرجع إذن النّاس بالشّاة والبعير ويرجعوا برسول الله ﷺ.

– المتأمّل في هذه المحاورة يلمس وبكلّ وضوح كيف أنّ النبي ﷺ قد كسب قلوب الأنصار، فأنهوا الحوار بفرحهم بفوزهم برسول الله ﷺ، إضافة إلى أنّ بكاءهم وقولهم بقلوبهم قبل ألسنته:" رضينا برسول الله قسما وحظّا "، والدّموع تنهمر من شدّة حبّهم لرسول الله ﷺ، حيث قام النّبيّ ﷺ بقلب وصرف أفكار الأنصار من رغبتهم في الدّنيا إلى رغبتهم في بقاء النّبيّ ﷺ معهم، فغرس في قلوبهم إيثار النّبيّ ﷺ على متاع الدّنيا من الغنائم.

– خلق النّبيّ ﷺ من خلال حواره مع الأنصار الجوّ المساعد على إيجاد تلك العاطفة الأخلاقيّة التي هي عبارة عن تكوين قوّة دافعة وزاجرة في آن واحد، تدفع الإنسان إلى المشاركة القلبية والنفسية مع المبادئ الأخلاقية الحميدة، ثمّ تدفعه إلى السلوك الإيجابي بموجبها وتزجره من جهة أخرى من التعاطف مع الأخلاق الرذيلة، ثمّ تدفعه إلى الوقوف منها موقفا سلبيا دائما، وهذا ما حدث حقيقة في نفوس الأنصار من المعاني الجليلة.

– الاعتماد على العواطف والانفعالات في المواقف الخطيرة يجب أن يسبقه تربية صحيحة وعميقة لهذه المواقف، فقد ربّى الرسول ﷺ هذه العواطف في نفوس الأنصار حتى أصبح الله ورسوله أحبّ إليهم من المال والولد والنّاس أجمعين.

ـــ ممّا يمكن أن يستفاد من هذا الحوار النّبويّ التربوي أنّ الحوار وما يصحبه من عبارات الثناء والشكر للطرف الآخر واحترامه وتقدير فضائله والدعاء له وغيره، كلّ هذا يعتبر وسيلة من وسائل تكوين عاطفة الرغبة في التحلّي بالفضائل واجتناب الرذائل والإرادة في الخير وحبّ الأخلاق الحميدة، يقول ابن حجر رحمه الله:" فنبّههم عمّا غفلوا عنه من عظيم ما اختصوا به بالنّسبة إلى ما حصل عليه غيرهم من عرض الدنيا الفانية...قال الخطّابي:" أراد بهذا الكلام تألّف

[1] زيّاد محمود العاني، أساليب الدعوة والتربية في السنّة النبوية، دار الكتب والوثائق، بغداد 2001، ص358.

الأنصار واستطابة نفوسهم والثناء عليهم في دينهم حتى رضي أن يكون واحدا منهم، لولا ما يمنعه من الهجرة التي لا يجوز تبديلها. "[1]

المطلب الثالث: نشر المحبّة بين النّاس

إذ أنّ الحوار برفق ولين يفتح مغاليق القلوب ن ويحملها على الحبّ والطّاعة، وهذا ما لمسناه في قول الصّحابة، وهم يصفون النّبيّ ﷺ، حيث جاء في الحديث:" ما رأيت معلّما قبله ولا بعده أحسن معلّما منه، فو الله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني " وذلك حينما تكلّم في الصّلاة أحدهم، فنهره الصّحابة رضوان الله عليهم، لكنّ الحبيب ﷺ كلّمه بلطف ولين ليعلّمه الخطأ من الصواب، فقال له:" إنّ هذه الصّلاة لا يصلح فيها شيء من كلام النّاس " [2]، فأثمرت هذه المحاورة الهادئة وهذه المعاملة اللّيّنة كما وصفها الصّحابي – معاوية بن الحكم السلّمي راوي الحديث – حبّا وانصياعا، حيث قال الصحابي إظهارا لهذا الحبّ:" فبأبي وأمي ما رأيت معلّما..."، وهذا المنهج القويم فتح قلوب العباد لتلقّي هدي الله سبحانه وتعالى، وأنّ ترغيب النّاس في دين الله وتشجيعهم وربط قلوبهم به لا يأتي إلاّ بالتيسير واللّين والرّفق في الخطاب، فإذا أحبّ النّاس دعوته تفاعلوا معها وتمسّكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ. [3]

ومن ذلك قصّة الأعرابي الذي بال في المسجد، فانتهره الصّحابة فمنعهم النّبيّ ﷺ عن زجره وكلّمه بلطف ولين، أثمر ذلك حبّا في قلب الأعرابي للنبيّ ﷺ ونفورا من تصرّف الصّحابة حينما زجروه، حتّى أنّه عبّر عن ذلك الحبّ وعن ذلك النّفور بقوله:" اللهمّ ارحمني ومحمّدا ولا ترحم معنا أحدا "، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه قال: أنّ أعرابيا دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس فصلّى ركعتين، ثمّ قال: اللهمّ ارحمني ومحمّدا ولا ترحم معنا أحدا، فقال النّبيّ ﷺ:" لقد تحجّرت واسعا، ثمّ لم يلبث أن بال في ناحية المسجد، فأسرع النّاس إليه، فنهاهم النّبيّ ﷺ وقال: "إنّما بعثتم ميسّرين و لم تبعثوا معسّرين، صبّوا عليه سجّلا من ماء، أو قال: ذنوبا من ماء. "[4]

---

[1] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج8، ص51.

[2] مسلم،صحيح مسلم،كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة...، رقم: 537.

[3] جمال عبد الستار، التيسير ورفع الحرج وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، مجلة قولية،كلية الدعوة الإسلامية القاهرة، العدد16، 2001 /2002.

[4] أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب الأرض يصيبها البول، رقم: 380، وقال الألباني: صحيح، انظر: صحيح أبي داود، مج1، ص112.

المطلب الرابع: إشاعة الأمن والراحة والطّمأنينة

عن عروة عن عائشة أنّ رجلا من أصحاب النّبيّ ﷺ جلس بين يديه فقال: يا رسول الله إنّ لي مملوكين يكذّبوني ويخونوني ويعصونني وأضربهم وأسبّهم فكيف أنا منهم، فقال له رسول الله ﷺ: "بحسب ما خانوك وعصوك ويكذّبونك وعقابك إيّاهم، إن كان دون ذنوبهم كان فضلا لك عليهم، وإن كان عقابك إيّاهم بقدر ذنوبهم كان كفافا، لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إيّاهم فوق لهم منك الفضل الذي بقي قِبلك، فجعل الرجل يبكي بين يدي رسول الله ﷺ ويهتف، فقال رسول الله ﷺ:" ما له لا يقرأ: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٤٧، فقال الرجل: يا رسول الله ما أجد شيئا خيرا من فراق هؤلاء، يعني عبيده، إنّي أشهدك أنّهم أحرار كلّهم. [1]

فقد استخدم النّبيّ ﷺ في حواره هذا عاطفة الرجل تجاه الجنّة وخوضه في النار، وترك له القرار والاختيار[2]، فكان من ثمرة هذا الأسلوب الحواري أن أذعن الرجل لما فيه راحته في الدنيا والآخرة.

ـــ تعتبر العواطف الإنسانية مدخلاً هامّاً إلى العقل، فقد لا يسمح لنا بالدخول إلى عقول الآخرين، ولكن قد يسمح باقتحام هذه البوابة العقلية عن طريق العواطف، هذه المشاعر التي تؤثر بدرجات متفاوتة في عملية اتّخاذ القرار، وهذا ما شاهدناه في حوار النّبيّ ﷺ مع هذا الرجل، حيث جعله يتنحى ويهتف ويبكي بعد أن سمع جواب النّبيّ ﷺ هذا الجواب الذي كان فيه التفاتة لقلب هذا الرجل إلى الجنّة والنّار والعقاب، ثمّ أضاف إلى إجابته ﷺ الدّليل الآخر من القرآن الكريم بقوله: " أما تقرأ قول الله تعالى:﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٤٧

وهكذا ليكون موقف الرجل من كلّ ما ذكّره النّبيّ ﷺ في حواره بأن قال: يا رسول الله ما

---

[1] الترمذي، سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة الأنبياء، رقم:3165 والبيهقي في شعب الإيمان،تـ:محمّد السعيد زغلول، رقم:8586 وأحمد في مسنده،، حديث عائشة، رقم:6401، قال الألباني: صحيح الإسناد، انظر: صحيح سنن الترمذي، مج3، ص 283.

[2] مصطفى محمّد الطحّان، التربية ودورها في تشكيل السلوك، ص188.

أجد لي ولهؤلاء بدا من مفارقتهم أشهدكم أنّهم كلّهم أحرار.

وهذا الذي نلمسه أيضا في حوار النّبيّ ﷺ مع معاذ رضي الله عنه حينما سأله بقوله:" هل تدري ما حقّ الله على عباده "، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: بينا أنا رديف النّبيّ ﷺ ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل فقال:" يا معاذ "، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثمّ سار ساعة، ثمّ قال:"يا معاذ"، قلت:لبيك رسول الله وسعديك، ثمّ سار ساعة، ثمّ قال: " يا معاذ"، قلت: لبّيك رسول الله وسعديك، قال:" هل تدري ما حقّ الله على عباده "، قلت:الله ورسوله أعلم، قال:"حقّ الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا " ثمّ سار ساعة، ثمّ قال: " يا معاذ بن جبل "، قلت: لبّيك رسول الله وسعديك، فقال:" هل تدري ما حقّ العباد على الله إذا فعلوه"، قلت:الله ورسوله أعلم، قال:"حقّ العباد على الله أن لا يعذّبهم. "[1]

إذ النّاظر في هذا الحديث يدرك أنّ النّبيّ ﷺ لم يستخدم مع معاذ الخطاب الإخباري، إنّما استخدم معه الحوار الخطابي التنبيهي الذي يترك أثرا على الوجدان ويهذّب السلوك وينبّه إلى أمر عظيم [2]، يقول ابن حجر رحمه الله:" ومن الفوائد المستفادة من هذا الحديث تكرار الحديث وتأكيده وتفهيمه واستفسار الشيخ تلميذه عن الحكم، ليختبر ما عنده ويبيّن له ما يشكل عليه "[3]، كما أنّه ﷺ استخدم معه أسلوب الاستفهام والمناقشة في توضيح قضايا تربوية تتعلق بالعقيدة الصّحيحة، فقام بعرض هذه الأخيرة بأسلوب بسيط وسهل خالي من التّعقيد والتّكليف، حيث أماط اللثام عن المعنى السامي للعبادة.

ـــ في الحديث يقول معاذ:" ليس بيني وبينه إلاّ آخرة الرحل " دليل على شدّة قربه منه ليكون ما يلقيه عليه من كلام أوقع في نفسه، لكونه أضبط، وأمّا تكريره عليه ثلاثا فلتأكيد الاهتمام بما يخبره به ولتكميل تنبيه معاذ فيما يسمعه.[4]

وعليه فإنّ الآثار الوجدانية والعاطفية تعتبر من أهمّ الآثار التّربوية للحوار في السنّة النبوية، "وذلك بإثارة عواطف المتعلّمين وانفعالاهم الوجدانية لما يترتّب عليها من نتائج طيّبة، تتمثّل في انقياد المتعلّم للسلوك الحسن والعمل الصالح، ولهذا كان دأب النّبيّ ﷺ في العديد من المواقف

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب إرداف الرجل خلف الرجل، رقم: 5967

[2] محمود العاني، أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، ص357 .

[3] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج11، 412.

[4] بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج43، ص154.

التعليميّة استخدام الحوار بهدف إثارة عواطف المتعلّمين، وتوجيه انفعالاتهم نحو الصّالح من الأعمال، ولعلّ هذا ما لمسناه في المواقف النّبويّة التي مرّت معنا تحت هذا المبحث، حيث رأينا كيف أنّ النّبيّ ﷺ قد قام بصرف نفوس الأنصار إلى ما هو أغلى من الغنم والشاة ألا وهو الفوز برسول الله ﷺ ويا له من فوز بل فلاح في الدنيا والآخرة، وكيف أنّه ﷺ يعمل على نشر المحبّة والأخوّة بين النّاس وإشاعة الأمن وبثّ الراحة والاطمئنان في نفوسهم، كلّ ذلك كان عن طريق إجراء الحوار فيما بينه وبين من يخاطبهم."[1]

[1] أحمد محمّد عقلة الزّبون، الحوار التربوي في السنّة النّبويّة ودلالاته التربويّة جامعة البلقاء التطبيقيّة، كليّة عجلون الجامعيّة ، ص5 بتصرف يسير.

المبحث الثاني: الحوار في الإقناع وتصويب الخطأ

إذ يمكن أن نعرّف الإقناع بما عرّفه أحد الكتّاب بقوله: أنّه عبارة عن فعل مؤثّر في الرّأي أو في وجهة النّظر، إذ يتمّ عن طريق المناقشات أو التفسيرات [1]، ويعتبر الإيحاء أحد الأساليب التي تستعمل في الإقناع، وهذا الأسلوب تستعمل فيه الإثارة باللفظ إلى الموضوع الذي يدور حوله الحديث من دون التصريح به علانية، أي أنّ ثمّة ألفاظا معيّنة يستعين بها الفرد الذي يروم تغيير اتجاهات الآخر دون أن يشير إلى الموضوع نفسه، كما لا يشعره أنّ القصد من الحديث أو المناقشة التي تجري الآن يراد منها تصحيح فكرة معيّنة أو تعديل اتّجاه معيّن لديه، إنّما يحاول أن يجعل الحديث الدائر عبارة عن حديث عام، وأحيانا يراعي أنّ الحديث كان بقصد المتعة أو التّسلية لكي لا يشعره بنواياه الحقيقية الكامنة وراء المناقشة أو الحوار.[2]

وعليه يمكن القول أنّ الإقناع عبارة عن عملية تتقاسمها عدّة مراحل حتى تصل إلى النتيجة المرجوّة، وهي التأثير في سلوك الفرد، إمّا بتغييره أو تعديله أو بناء رأي أو اتّجاه جديدين.[3]

ونحن إذا تأمّلنا هذه التعاريف وجدنا أنّها تركّز على التّأثير في الآخر، وذلك عن طريق تغيير رأي أو وجهة نظره، ولكي يحدث التأثير فعله في الآخر، فإنّ الاعتماد على المناقشة أو التفسير يعدّ أسلوبا فاعلا في الإقناع، وبذلك فإنّ التعريف يركّز على الحوار والمناقشات التي تقدّم للآخر بهدف تغيير آرائه أو وجهات نظره إزّاء قضية معيّنة، وذلك حتّى يقوم بتصحيح الخطأ الذي كان يعتقده أنّه صواب، وتحت هذا العنوان أحاول أن أبيّن من خلال بعض الأمثلة من السنّة النّبويّة أنّ الحوار الناجح هو الذي يصل صاحبه في آخر المطاف إلى إقناع الطرف الآخر الذي يحاوره وتصحيح ما علق في ذهنه من أخطاء.

---

[1] محمود شمال حسن، الصورة والإقناع، دراسة تحليلية لأثر خطاب الصورة في الإقناع، دار الآفاق العربية، ط1، 2006، ص30.

[2] المرجع نفسه، ص45-46.

[3] عامر مصباح، الإقناع الاجتماعي، خلفيته النظرية وآلياته العملية، ديوان المطبوعات الجامعية، بني عكنون، الجامعة، 2005، ص50.

المطلب الأول: الدخول في الإسلام

قال تعالى مخاطباً معلّم البشرية الأوّل سيّدنا محمّد ﷺ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ النحل: ١٢٥، فامتثل الرسول الكريم لهذا الأمر الإلهي، وذلك من خلال محاورة غير المسلمين بالتّي هي أحسن بهدف إقناعهم بالإسلام، وتأليف قلوبهم بنعمة الإيمان، فقد استخدم الرّسول ﷺ أسلوب الحوار التّربوي القائم على الإقناع وإقامة الحجج والبراهين العقليّة مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فقد أورد الإمام الترمذي عن عدي بن حاتم – رضي الله عنه – أنّه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ فرّ إلى الشام وكان قد تنصّر في الجاهلية فأسرت أخته وجماعة من، ثم منّ رسول الله ﷺ على أخته وأعطاها فرجعت إلى أخيها فرغبته في الإسلام، وفي القدوم على رسول الله ﷺ، فقدم عدي إلى المدينة، وكان رئيساً في قومه طيئ وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم، فتحدّث النّاس بقدومه، فدخل على رسول الله ﷺ وفي عنق عدي صليب من فضّة، وهو يقرأ هذه الآية " اتخذوا أحبارهم ورهباهم أرباباً من دون الله " قال: فقلت: إنّهم لم يعبدوهم، فقال: " بلى إنّهم حرّموا عليهم الحلال وأحلّوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إيّاهم ". وقال رسول الله صلّى عليه وسلم: " يا عدي أيضرك أن يقال الله أكبر؟ فهل تعلم شيئاً أكبر من الله؟، أيضرك أن يقال: لا إله إلى الله، فهل تعلم إلهاً غير الله؟"، ثمّ دعاه إلى الإسلام، فأسلم وشهد شهادة الحقّ، قال: فلقد رأيت وجهه مستبشراً، ثمّ قال: " إنّ اليهود مغضوب عليهم والنّصارى ضالون." [1]

– استخدم النّبيّ ﷺ مع عدي رضي الله عنه أسلوب الحوار في شكل سؤال، حيث قام بطرح بعض الأسئلة عليه، وترك له المجال ليجيبه عنها، وذلك بعد أن هيّأ له الأجواء النّفسيّة للحوار، فلقد عفا عن أخته وأطلقها من الأسر، وحمّلها الهدايا، فكانت هذه التّهيئة الوسيلة المناسبة لعديّ، ليعيد حساباته ويتّخذ القرار بعدها بالدخول في الإسلام.

[1] الترمذي، سنن الترمذي، كتاب التفسير، رقم: 3095، قال الألباني: حسن، انظر: صحيح سنن الترمذي، مج 3، ص 247.

المطلب الثاني: التّقليل من شأن الدنيا في النفوس

فقد حاور الرسول ﷺ أصحابه بهدف إقناعهم بهوان الدنيا وقلّة شأنها عند الله يوم القيامة، وذلك عندما أقسم بأنّ مكانة الدنيا وقلّة شأنها عند الله عزّ وجل كحال الجدي الميّت قليل الشأن عند أهل الدّنيا، فعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما –: " أنّ رسول الله ﷺ مرّ بالسّوق داخلاً من بعض العالية، والنّاس على كنفته، فمرّ بجدي أسكّ ميّت فتناوله فأخذ بأذنه، ثمّ قال: "أيّكم يحبّ أنّ هذا له بدرهم؟ " فقالوا: ما نحبّ أنّه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: " أتحبّون أنه لكم"، قالوا: والله لو كان حيّاً كان عيباً فيه، لأنّه أسكّ، فكيف وهو ميّت؟ فقال: " فو الله للدّنيا أهون على الله من هذا عليكم."[1]

المطلب الثالث: تهذيب الأخلاق والرجوع عن المعصية:

ممّا لا مراء فيه أنّ الإنسان إذا أقرّ بصلاح عمل أو فساده بنفسه، سيكون ذلك ذا أثر كبير في سلوكه وتوجيهه، وبذلك كان يحاور رسول الله ﷺ في سبيل الإقناع وإقامة الحجّة عن طريق سؤال المتعلّم أو المخاطب عمّا يعرفه بالحسّ والبداهة، ثمّ يبني على الجواب ما يريد بناءه من استجواب آخر، حتّى يصل إلى الإقناع بكلّ ما يريد تعليمه إيّاه أو إقناعه به، وهذا ما حدث مع ذلك الشابّ الذي استأذن النّبيّ ﷺ في الزنا، حيث استعمل النّبيّ ﷺ معه نفس الأسلوب، وكان له الأثر نفسه، حيث أوصل الرّسول ﷺ بحواره الشابّ إلى قناعة تامة بخطر الزنا، وذلك من خلال محاورته وإثارة الغيرة الكامنة في نفسه على أمّه وأخته وأهل بيته، فأقرّ في الأخير بأنّ هذا الأمر المنكر الشنيع الذي يفعله في أعراض النّاس وهم غافلون، يمكن أن يفعله غيره مع أهل بيته وهو غافل، وبعد اكتمال علاج العقل استخدم معه علاج الروح، فدعا الله تعالى له أن يطهّر قلبه ويحصّن فرجه.[2]

فالنّبيّ ﷺ راعى حال الشابّ فلم يعنّفه، بل أدناه قريبا منه وأجلسه وحاوره بكلّ لطف، وبعد أن اقتنع الشابّ من خلال تلك الأسئلة الخمسة التقريرية وضع النّبيّ ﷺ يده الشريفة عليه، وفي ذلك مزيد عطف وحنان، و لم يكتف بذلك، بل دعا له وهو يسمع ثلاث دعوات هو بأمسّ

---

[1] مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزّهد، رقم:2957، والبخاري في الأدب المفرد، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، مذيلة بأحكام الألباني، دار البشائر الإسلاميّة، بيروت، ط3، 1409هـ / 1989م، رقم:962.

[2] محمود العاني، أساليب الدعوة والتربية، ص361.

الحاجّة إليها، فكانت النتيجة أن طابت نفس ذلك الشاب ورجعت عن المعصية التي كان قبل قليل تتوق نفسه إليها، و و لم يكن بعد ذلك يلتفت إلى شيء.

وممّا يعززّ هذا المعنى ذلك الحوار الذي جرى بين النّبيّ ﷺ وبين أبي الوليد، حيث يعلّمنا رسول ﷺ كيف أنّ أولى مراحل الانتصار أن تهزم عدوّك من داخله، وعتبة لم يسلم، ولكنّه هزم نفسيا أمام نصاعة الدّعوة وبلاغة القرآن، وبهذا الأسلوب من الأدب الرفيع استطاع النّبيّ ﷺ أن يحيد رأسا من رؤوس الكفر ويجعله ينسحب ووراءه جمع كبير هم قبيلة بني أمية، وهذه سياسة حكيمة ودعوة بصيرة.[1]

المطلب الرابع: التّجاوب والعطاء

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلّى فمرّ على النّساء، فقال:" يا معشر النّساء تصدّقن فإنّي رأيتكنّ أكثر أهل النّار." فقلن: وبم يا رسول الله ؟ قال:" تكثرنّ اللّعن وتكفرنّ العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبّ الرّجل الحازم من إحداكنّ "، قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ قال: " ألّيس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل"، قلن: بلى، قال : " فذلك من نقصان عقلها، ألّيس إذا حاضت لم تصلّ و لم تصم "، قلن: بلى، قال: " فذلك من نقصان دينها "[2]، حيث استغربت النّساء أن يكنّ ناقصات عقل ودين، وهنّ يساهمنّ على نفس مستوى الرّجال في بناء المجتمع، فيحاورهنّ النّبيّ ﷺ كاشفا عن أسباب ذلك، ممّا يسهّل عليهنّ الاقتناع بالأمر[3]، يقول ابن حجر –رحمه الله –:" وفي الحديث أيضا مراجعة المتعلّم لمعلّمه، والتّابع لمتبوعه فيما لا يظهر له معناه، وفيه ما كان عليه الصّلاة والسّلام من الخلق العظيم والصّفح الجميل والرّفق والرّأفة، زاده الله تشريفا وتعظيما "[4]، إذ حاول النّبيّ ﷺ من خلال طرحه الذي افتتح به الحوار أن يرغّب النّساء، فيشاركن معه المحادثة والمناقشة لتكون أبلغ في نفوسهنّ، حيث أعلمهنّ بأنّهنّ أكثر أهل النّار، وهكذا حتّى يستفسرنّ بعد ذلك عن السبب، ثمّ يجيبهنّ عن استفسارهنّ بأنّهنّ يكفرن العشير ويكثرن اللّعن، وهكذا حتّى يصل بهنّ إلى الاقتناع بما يريد أن يوصله إليهنّ، ونفس الأسلوب

[1] فرحات محبوب، ضوابط الحوار في الدعوة الإسلامية، رسالة ماجستير، إشراف: عمر لعويرة، 1420هـ، ص273.

[2] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، رقم:304.

[3] مصطفى الطحان، التربية ودورها في تشكيل السلوك، ص190.

[4] ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص407.

سلكه معهنّ لمّا أراد أن يخبرهنّ بأنّهنّ ناقصات عقل ودين، فنرى من نتائج هذا الحوار مع النّساء أن استجبن له ﷺ وتفاعلنّ معه، يقول بن بطّال رحمه الله :" وفيه أنّه على الخطيب في العيدين أن يفرد النّساء باللّقاء لهنّ والموعظة، ويخبرهنّ بما يخصّهنّ من تقوى الله والنّهي عن كفران العشير، وما يلزمهنّ من ذلك، إذا لم يمكنه إسماعهنّ، فحينئذ يمرّ بهنّ ويعظهنّ بالكلمة والكلمتين في موضعهنّ كما فعل النّبيّ ﷺ.[1]

المطلب الخامس: تصويب الخطأ

فقد كان النّبيّ ﷺ يستعمل مع المخطئ الحوار أحيانا حتى يقتنع بخطئه فيوجّهه إلى الصواب ومن أمثلة ذلك: عن عامر بن سعد عن أبيه قال: "قسم رسول الله ﷺ قسما، فقلت: يا رسول الله! أعط فلانا فإنّه مؤمن، فقال النّبيّ ﷺ " أو مسلم" أقولها ثلاثا، ويردّدها عليّ ثلاثا " أو مسلم"، ثمّ قال:" إنّي لأعطي الرجل وغيره أحبّ إليّ منه، مخافة أن يكبّه الله في النار"[2]، فقد استعمل النّبيّ ﷺ الحوار حتى أقنع سعدا بأنّه يعط الرجل ويترك الآخر خشية أن يكبّه الله في العذاب الشّديد يوم القيامة.

ومن ذلك حديث أنس المتقدم "لّما أفاء الله على رسوله من أموال هوازن حين أعطى النّبيّ ﷺ بعض أشراف قريش و لم يعط الأنصار فوجدوا في ذلك..." إذ يتبين من خلال هذا الحديث أهميّة الحوار والإقناع في تغيير الآخرين إلى الصّواب، وكذلك فعل النّبيّ ﷺ مع الأنصار بأسلوب رقيق حتى بكوا وتأثّروا بقوله وأعلنوها بقولهم: رضينا برسول الله ﷺ قسما وحظا.

ومن ذلك أيضا عن النعمان بن بشير قال: "إنّ أباه أتى به إلى رسول الله ﷺ فقال إنّي نحلت ابني غلاما ما كان لي، فقال رسول الله ﷺ: "أكلّ ولدك نحلته مثل هذا؟" فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ:" فارجعه. "[3]

"قوله:" أيسرك؟": أيعجبك ويجعلك مسرورا ؟ أن يكونوا أي أولادك جميعا إليك في البرّ سواء أي مستوين في الإحسان إليك، وفي ترك العقوق عليك وفي الأدب والحرمة والتعظيم لديك

---

[1] ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج1، ص420.

[2] مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تألف قلب من خاف إيمانه، رقم:150.

[3] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الهبة، باب الهبة للولد،رقم: 2586 ومسلم في صحيحه، كتاب الهبات، باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة، رقم: 1623.

قال: بلى، قال: فلا إذن، أي إذا كنت تريد ذلك، فبيّن له ﷺ حقيقة الأمر وأظهر له علّة الحكم ليوقفه على الدليل بقوله:" أيسرّك أن يكونوا إليك في البرّ سواء"، ومعلوم أنّه يسرّه ذلك كما أنّه إن فعل وأعطى واحدا وترك الباقين فإنّهم لا يجتهدون في برّه ولا يسارعون إلى مودّته، هذا إذا لم يحصل منهم ما يجرّهم إلى العقوق والشحناء، فانظر إلى كمال تربية هذا النّبيّ الكريم والرسول العظيم صلّى الله عليه وسلّم."[1]

عن أبي هريرة رضي الله عنه:"أنّ رجلا أتى النّبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله ولد لي غلام أسود، فقال:" هل لك من إبل؟" فقال: نعم، قال:" ما ألوانها؟"، قال: حمر، قال:" هل فيها من أورق؟"، قال: نعم، قال:" فأنّى ذلك؟ "، قال:لعلّه نزعه عرق، قال: فلعلّ ابنك هذا نزعه."[2]، فلو قال له ﷺ إنّ اللّون لا دخل له في إلحاق الولد ونفيه ما دام أنّه ولد على فراشه وفي مدّة يمكن إلحاقه به لكان كافيا، ولكنّه ﷺ أراد أن يبيّن له وجه الحكم، ليقف منه على الحقيقة ويستمسك منه ببرهان فأعاده ووجّه نظره إلى نظيرها ممّا هو مسلّم لديه ومعلوم عنده، ليقيس المجهول بالمعلوم ويردّ المشكوك منه إلى اليقين منه.

ممّا يمكن أن نستخلصه تحت هذا العنوان أنّ الحوار لن يكون له الأثر الإقناعي وإقلاع المخطئ عن الخطأ إلاّ إذا استوفى شروطا جوهرية، هذه الأخيرة التي ضمّنتها حوارات النّبيّ ﷺ في تعامله مع النّاس وفي حواره معهم، فلتكن فيه أسوة حسنة.

[1] الحسيني، محمد صلّى الله عليه وسلّم إنسان كامل، دار الشروق، جدة، ط4، 1408ه/ 1987 م، ص290.

[2] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب: إذا عرض بنفي الولد، رقم: 5305.

المبحث الثالث: الآثار المعرفية التوضيحية

إنّ الصّيغ اللّفظية التساؤلية والاستفهامية في نصوص الحديث النّبويّ أو الجمل والعبارات التي أورد فيها الرّسول ﷺ أدوات الاستفهام المختلفة، كانت ترد بصورة متعدّدة، من أبرزها عرض الأسئلة أثناء التّفاعل اللّفظي، لتصحيح إجابة سابقة بصورة ذاتية من المتعلّم، بعد توجيه المعلّم، وهو ما يطلق عليه اسم السبر، هذا الأخير الذي هو عبارة عن نوع من الاستراتيجيات التي تشير إلى احتراف المعلّم في طرح الأسئلة أو استخدام عبارات تحثّ المتعلّم على الإلمام بالإجابة، التي افتقر إليها أو تصحيح إجابته الأوّلية أو الأصلية الخاطئة أو النّاقصة أو الغامضة أو السطحية أو الحالية، وتمكينه من إعطاء دلائل يثبت بها صحّة إجابته، ويظلّ الحوار بين المعلّم والمتعلّم حتّى يعرف هذا الأخير الإجابة الصّواب أو يصحّح إجابته أو يكمّلها أو يوضّحها أو يعمّقها أو يثبت صحّتها، والنّبيّ ﷺ قد استخدم هذه الطريقة باستفاضة لكي يعلّم المتلقين أمور دينهم ودنياهم[1]، وهذا ما سأحاول أن أبيّنه تحت هذا العنوان، كيف أنّ النبيّ ﷺ جعل الحوار أسلوبا له في تعليم الصّحابة، وكيف أثمر هذا الأخير آثارا معرفية وعلمية طيّبة.

المطلب الأول: ترسيخ العلم والإيمان

عن عبد الله بن عمر: أنّ رسول الله ﷺ قال: " إنّ من الشّجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المسلم حدّثوني ما هي ؟" فوقع النّاس في شجر البادية ووقع في نفسي أنّها النّخلة، قال عبد الله:فاستحييت، فقالوا:يا رسول الله أخبرنا بها، فقال رسول الله ﷺ: " هي النخلة "، قال عبد الله: فحدّثت أبي بما وقع في نفسي، فقال: لأن تكون قلتها أحبّ إلي من أن يكون لي كذا وكذا.[2]

-في سؤال النّبيّ ﷺ أمام مختلف الأعمار، دليل على أنّ التّعليم لا يقتصر على فئة عمرية دون أخرى، بل العلم مطروح على الجميع ولابدّ أن يكون التّعليم والمعرفة مستمرّة مع حياة المسلم.

-هذا يعطينا القدوة في رسول الله ﷺ، لأنّه يغرس في نفوس النّاشئة كثيرا من المبادئ الحسنة وكثيرا من القيم المرتبطة بالتّربية البيئيّة.[3]

- في الحديث لطيفة من اللّطائف وهي أنّ النّبيّ ﷺ جعل نوعا من الفسحة أمام الحاضرين،

---

[1] رفعت محمد مزيد، التربية البيئية في ضوء السنّة النبوية، دار العلم والإيمان، ط1، 2008 م، ص264 بتصرف.

[2] البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، رقم:131، ومسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب مثل المؤمن مثل النخلة، رقم:2811، والترمذي في سننه،، كتاب الأمثال، باب المؤمن القارئ للقرآن وغير القارئ، رقم:2867.

[3] رفعت محمد مزيد، التربية البيئية في ضوء السنّة النبوية، ص265.

حتّى يجيبوا بما يرون بكلّ حرية، كلّ حسب قدراته حتّى الصغير لا يمنع من ذلك، ممّا يشجّع الجميع على إبداء الرّأي والمشاركة والتّفاعل المعرفي الحقيقي.

– أراد النّبيّ ﷺ أن يلقي الدرس المتعلّق بالبيئة في صورة مسألة أو مشكلة، وطلب منهم الإجابة والحلّ، حتّى يعمل تفكيرهم ويحدث انتباههم ويزيد من استجابتهم له، ويثير اهتمامهم إلى التفقه والمعرفة.[1]

– استخدم النّبيّ ﷺ الحوار، حيث جعل المتعلّمين يشاركونه الحوار بإبداء الرّأي:" فوقع الناس في شجر البوادي " وهكذا حتى توصّل أحدهم وهو ابن عمر وكان أصغرهم إلى الإجابة الصواب.

المطلب الثاني: كشف الحقائق عن كثير من المسائل

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منّا أحد حتّى جلس إلى النّبيّ ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفّيه على فخذيه، وقال:" يا محمّد أخبرني عن الإسلام"، فقال رسول ﷺ: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّدا رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحجّ البيت إن استطعت إليه سبيلا "، قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدّقه، قال:" فأخبرني عن الإيمان"، قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرّه "، قال:" صدقت"، قال: "فأخبرني الإحسان "، قال:" أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك "، قال: "فأخبرني عن السّاعة "، قال: "ما المسؤول عنها أعلم من السائل "، قال:" فأخبرني عن أمارتها ؟" قال:" أن تلد الأمة ربّتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان "، ثمّ انطلق فلبث مليا، ثمّ قال: "يا عمر أتدري من السائل"، قلت:" الله ورسوله أعلم "، قال:" فإنّه جبريل أتاكم يعلّمكم أمر دينكم."[2]

كان السؤال في هذا الحديث من طرف جبريل عليه السلام عن ماهية الإسلام، أو بما يراد

---

[1] أمينة أحمد حسين، نظرية التربية في القرآن وتطبيقاته في عهد الرسول صلّى الله عليه وسلّم، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1985، ص256.

[2] البخاري، صحيح البخاري،كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النّبي صلى الله عليه وسلّم عن الإيمان والإسلام والإحسان...رقم:50 ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الإسلام والإيمان والإحسان....، رقم: 12.

به أو يفهم منه المعنى اللغوي للإسلام، ولكنّ الرسول ﷺ أجابه عن أركان الإسلام، وقد سلّم السائل بذلك حين قال:" صدقت "، ونفس الشيء عن سؤاله عن الإيمان، إذ كان الجواب عن أركان الإيمان، وقد سلّم جبريل عليه السلام بذلك.

2 – موقف المحاور في هذه الحالات أن يهمل الجواب وينصرف إلى جانب آخر لتحقيق مجموعة من الأهداف:

– يوحي للسائل بأنّ واجبه أن يسأله عمّا يهمّه ويحقق له الفائدة المرجوّة.

– توجيه الفكرة للاتجاه الصحيح الذي ينفع المؤمن في عقيدته وحياته، وتصحيح الأفكار، لأنّ العقول أصبحت مزدحمة بكثير من المفاهيم التي تمنعهم من وضوح الرؤية.

– إجابة السائل عمّا يريد، فقد لا يستطيع طرح سؤاله بالطّريقة الصّحيحة، فالمحاور يجبّ عليه أن يرأف به، ولا يفضحه ولا يعنّفه، بل يجيبه عن مسألته، ولا يتأتّى ذلك إلاّ إذا كان المحاور عليما بأحوال النّاس وظروفهم.

– قد يتعمّد السّائل طرح السؤال وإحاطته بالغموض، لأنّ الموضوع خاصّ لا يريد الاطلاع عليه من قبل النّاس، فالمحاور يجيبه بالطريقة التي يفهمها دون أن يخرج الموضوع عن سريّته، لئلا يفضح السائل.

– لإفادة السامعين الحاضرين وذلك ثمرة لا يجب التغافل عنها.[1]

– والذي يمكننا أن نستنتجه من هذا الأسلوب الحواري النّبويّ توجيها نبويّا كريما لمعلّمي هذا الزمان ومربيه، بضرورة تشجيع المتعلمين في أن يكونوا المبادرين في طرح السؤال، لما في ذلك من أثر تربوي كبير، يتمثّل في اختيار المتعلّمين الموضوعات التعليمية التي يرغبونها، الأمر الذي يكون أشدّ أثرا ووقعا في نفوسهم.

– كان من نتائج هذه المحاورة الطيبة بين النّبيّ ﷺ وجبريل عليه السلام، في حضرة الكثير من الصّحابة أن تعرّف الصحابة رضوان الله عليهم على الكثير من المعاني العظيمة، والتي يدور الإسلام كلّه عليها، فقد تعرّفوا على أركان الإسلام، والإيمان وعلى علامات الساعة، والإحسان الذي هو أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك، وهذا حتى يحفّزهم بعد أن أدركوا

[1] فرحات محبوب، ضوابط الحوار في الدعوة الإسلامية، ص181.

هذه المعاني الجليلة على المضي في الطّريق المستقيم على بصيرة من أمرهم.

المطلب الثالث: ترسيخ المعاني الربّانيّة في النّفوس

حيث استخدم النّبيّ ﷺ الحوار لتوضيح الكثير من الأمور التي أشكلت على الصّحابة، وتعريفهم بالعديد من الحقائق المعرفيّة التي عجزوا عن فهمها والوقوف على معانيها، وذلك من خلال التّركيز على أسلوب طرح السؤال للكشف عن مدى فهم المتعلّمين ومعرفتهم، ثمّ يتولّى بعد ذلك ﷺ مهمّة الإجابة عن الأمور التي سأل عنها.

لقد ظهر هذا الأسلوب التربوي الفريد في عدّة أحاديث، لعلّ من أبرزها حديث أبي هريرة عن الرسول ﷺ عندما سأل أصحابه قائلا: " أتدرون ما الغيبة ؟" قالوا: الله ورسوله أعلم، قال:" ذكرك أخاك بما يكره "، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال:" إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتّه."[1]

ففي الحديث نجد أنّ الرسول ﷺ قد اتّخذ من الأسلوب الحواري طريقة تربوية لتوضيح الفرق بين الغيبة والبهتان، وهي من الأمور التي لا يستطيع الصّحابة فهم معناها وإدراك حقيقتها، لولا أن بيّنها النّبيّ ﷺ، فهو من أوتي القرآن ومثله معه، والمتأمّل في آي الذكر الحكيم يجد أنّ الله تعالى استخدم الأسلوب الحواري في تربية المؤمنين وتنقية سرائرهم من الغيبة، وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ ﴿١٢﴾ ﴾ الحجرات: ١٢.

– في هذه المحاورة سؤال وجواب بين النّبيّ ﷺ والحاضرين معه أدّت إلى تثبيت المعنى في نفوسهم رضوان الله عليهم، ذلك أنّ " في السؤال إثارة نفسيّة لتقوية الانتباه لتقبّل المعلومات، وهذا من الأساليب التّربويّة التي استعملها الرسول ﷺ مع أصحابه."[2]

وهذا الذي يظهر أيضا في حديث المفلس، حيث "بيّن النّبيّ ﷺ للصحابة وعلّمهم أنّ الغني يوم القيامة في ميزان القيم الربانية التي يزن بها أعمال العباد: هو من أغنى حياته بالأعمال الصالحة دون أن يكون قد أذى أحدا أو غشّ أحدا، وأنّ حقوق العباد لا تضيع عند الله تعالى، بل يقتصّ

[1] مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، رقم:2589.

[2] يوسف خاطر حسن الصوري، أساليب الرسول صلّى الله عليه وسلّم في الدّعوة والتّربيّة،صندوق التّكافل لرعاية أسر الشهداء والأسرى، ص49.

لهم ممّن ظلمهم يوم القيامة، وأنّ المفلس من حبط عمله بسبب ما أكل من حقوق العباد "[1]، فعن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قَالَ:"أتدرون من المفلس "، قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال:"إنّ المفلس من أمّتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثمّ طرح في النّار. "[2]

"حيث تأتي مراحل الحوار هنا في صورة واضحة مبسطة، فالمرحلة الأولى تتجلّى في سؤال النّبيّ ﷺ وجواب الصّحابة ليتبيّن به ما عندهم من خبرات حول موضوع السؤال، أمّا المرحلة الثانية فجاءت ضمن المرحلة الثالثة، لأنّ الموضوع لا يحتاج إلى نقاش مع المتعلّمين، فالصّحابة يؤمنون بالقيم التي سيأتي الجواب الأخير موافقا لها حسب أولوياتها وسلّمها، ثمّ تأتي المرحلة الثالثة ليقرّر الرسول ﷺ معنى المفلس عند الله تعالى وموقفه يوم القيامة."[3]

يمكن القول في خاتمة هذا المبحث أنّ النّبيّ ﷺ قد استخدم أسلوب الحوار في التّربية في الحلقات التي كان يعقدها لتربية أجيال المسلمين، "وهي طريقة تدفع بالمتعلّمين إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم والتساؤل عمّا لا يدركه من الحقائق، وهي طريقة لا يمكن للمتعلّم أن يكون سلبيا أو مصدّقا فقط دون الفهم والإدراك العقلي، وقد توجّه الأسئلة من المربي إلى المتعلم بطريقة تقوده لأن يتوصل بنفسه إلى الحقيقة."[4]

كما يمكن أن يقال أنّ الرسول ﷺ كان كثير الاستعمال للطريقة الحوارية مع أصحابه ومع غيرهم من المشركين وأهل الكتاب، حيث كان يستعمل الاستجواب في كثير من الأحوال، للوصول إلى فكرة معينة يعجز الصحابي عن الجواب عنها، فيسأل الرّسول ﷺ فيجيبه ويعلّمه، وبذلك تحصل له المعرفة.

وعليه فإنّ "الحوار يعدّ أسلوبا من أهمّ الأساليب في التعليم والتعلّم، بل إنّ صياغته تعتبر

---

[1] عبد الرحمن النحلاوي، التربية بالحوار، ص129.

[2] مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم: 2581.

[3] عبد الرّحمن النّحلاوي، التّربيّة بالحوار، ص 129.

[4] عبد الجواد سيّد بكر، فلسفة التّربيّة الإسلاميّة في الحديث الشريف، ت: عبد الغنيّ عبّود، دار الفكر العربي، ص333.

فنا له شروطه وطريقته يستخدمه المربون استخداما له أهدافه في مجالهم"[1]، وهذا ما قمنا بإثباته من خلال الأمثلة من السنّة النّبويّة الشريفة، وما تزال له فعالية وشيوع في أساليب التعليم منذ القـــدم وحتّى اليوم.

[1] علي خليل أبو العينين، القيم الإسلامية والتربية، مكتبة إبراهيم حلـــبي، المدينـــة المنـــورة، ط1، 1408هـــــ / 1988م، ص153.

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من خلال ما تقدّم من هذا البحث يمكن أن تظهر للباحث عدّة نتائج نجملها على النّحو التّالي :

- يعدّ الحوار أسلوبا في التّعامل مع الآخرين ، بل من أهمّ الأساليب التي لابدّ أن تراعى أثناء التّربيّة والدّعوة ، ذلك أنّه الوسيلة الأمثل في الاتّصال والتّواصل الصّحيح مع الآخرين وفهم مرادهم ، وبالتّالي مراعاة أحوالهم ، كما هو السّبب في فتح الكثير من المغاليق وتدليل صعوبة فهم الآخرين ، وبالتّالي سهولة التّعامل معهم .

- عدم اقتصار الحوار على فئة دون أخرى ، بغضّ النّظر عن الانتماءات الفئويّة للأطراف ، وهو ما لمسناه في الفصل الأوّل من هذا البحث ، فقد حاور النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم جميع الفئات .

- تجلّى الحوار الهادف في النّصوص القرآنيّة أثناء عرض القرآن للقصص التي تجسّد فيها الحوار أسلوبا ماتعا من خلال ما دار بين الأقوام وأنبيائهم .

- آداب وضوابط على المحاور التّقيّد بها أثناء حواره ، كإخلاص النيّة لله عزّ وجلّ ، والتّجرّد في طلب الحقّ ، مع التّدرج في عرض الموضوعات ، بهدف الوصول إلى نتائج تعود على جميع الأطراف بالخير .

- يغرس الحوار القيم الفاضلة والنّبيلة في نفوس النّاشئة خاصّة ، كما أنّه سبب في دخول غير المسلمين في دين الله تعالى .

- يفتح الحوار المجال واسعا أمام الذين نحاورهم ، ليعبّروا عن مرادهم بكلّ حريّة .

- ضرورة اعتماد المربّين على نهج الحوار النّبويّ في العمليّة التّربويّة والدّعويّة ، ومنها اعتبار الحوار كأسلوب تربويّ ، كما درج عليه الأنبياء والرّسل في دعوتهم إلى الله تعالى.

ملخّص البحث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثبت أنّ الحوار نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين أو فئتين من النّاس ، يتمّ بينهما كلام وتحادث ، بالتّداول بطريقة متكافئة ، يغلب عليها الهدوء وتجنّب الخصومة والتّعصّب .

ومن مرادفات الحوار : الجدل والمناظرة ... وبين هذه الألفاظ عموم وخصوص ، إذ الحوار لفظ عامّ يشمل تلك الأساليب كلّها .

وللحوار منزلته الشرعيّة والحضاريّة من خلال القرآن الكريم ، حيث لم يخل القصص القرآني كلّه من ذلك الأسلوب الأمثل الذي اعتمده جميع الأنبياء والرّسل مع أقوامهم في الدّعوة إلى الله تعالى ، وقد بيّنا ذلك بالأمثلة.

كما للحوار نصيبه الأوفر في حياة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهديه الشّريف ، وذلك لطبيعة الرّسالة ومتطلّباتها ، فالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قد استعمل أسلوب الحوار والمناقشة في العديد من المواقف التّربويّة والتّعليميّة ، فلم يدع صغيرا ولا كبيرا ، رجلا أو امراة ، مسلما أو كافرا ، إلّا وسلك معه الحوار أسلوبا وسبيلا روما للاستقامة والرّجوع إلى الحقّ .

وتحقيقا لمقصد التّحاور النّاجح رسمت السنّة النّبويّة الشّريفة المنهجيّة لذلك ، فأرست ضوابط بين يدي المحاور والمتحاور معه ، فكانت بمثابة آداب شرعيّة يتحلّى بها كلّ طرف أثناء ذلك وهي:

- التّجرّد في طلب الحقّ وقصده .
- مقت الجدال في تعصّب ، ونبذ المجادلة في تخاصم .
- عدم اتّهام النيّات والنّوايا .
- الاهتمام بالأهمّ في عرض الموضوعات .
- مراقبة الله ّعزّ وجل أثناء الحوار .
- الالتزام بالموضوعيّة والواقعيّة أثناء التّحاور .

فبهذه الآداب يثمر التّحاور أثارا تربويّة جليلة تعود على كلّ الأفراد والمجتمعات بالخير قد يتمثّل أيضا في:

أ - الآثار الوجدانيّة والعاطفيّة ، ككسب القلوب وتغليب الرّوح الإنسانيّة ونشر المحبّة

والتّسامح وروح التّعايش وكذا إشاعة الأمن والطّمأنينة بين النّاس .

ب – قوّة الإقناع وتصويب الخطأ ، وبالتّالي تحبيب النّاس في الإسلام وتهذيب أخلاقهم .

ج – الآثار الثّقافيّة والمعرفيّة المتمثّلة في ترسيخ العلم الصّحيح بالبرهان والدّليل في النّفوس ، واكتشاف حقائق المسائل والاقتناع بها منطقيّا وعقليّا .

والحمد لله ربّ العالمين .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Summary of the research

The dialogue is a speech between two persons two groups or two categories of people they get into a talk . dialogue is characaterized by equity humble cool and without violence and subjectivity.

The synonym of dialogue is debate and speech contraction and between the two concepts we find certain specificity and generalization but the concept of dialogue englobe all of these methods .

The dialogue is considered in the Shari'a and the civilisation of Islam from the Quran so that we find the stories of Quran that have used it and it was the way of Prophet when they have called their people to the way of Allah.

We can say also that dialogue has a large place in the life of the Prophet (peace be upon him) and its directives and its was the nature of its mission of Islam and its prerogatives.

The Prophet (peace be upon him) has used the method of dialogue in discussing a lot of tutorial and education issues and did not leave anything whatever small or big, man or woman Muslim or apotre that have not just used the dialogue withe him as a way of pursuing the truth and following the right way in order to reach the essence of dialogue the traditions of the prophet has built a method for a dialogue and expressed its rules between the two interlocutors and it was the moral conditions that bind each one during the dialogue which are as follows:

_ To be sincere in pursuing the truth and mean it.
_ Hate the subjective debate and get rid of troubles in talking.
_ Do not accuse the good will of people.
_ To be aware of Allah when getting into dialogue.
_ To be objective e and realist when getting into dialogue.

In this way the dialogue will give a lot of benefits in education to the people and groups and it will embrace the following points:

a. It will influence the feelings such as acquiring the hearts of people and prevailing the human spirit and spreading love tolerance and living together and also spreading safety between people.

b. It will give the power of persuasion and adjusting the wrong doings so that it will convince people in Islam and enhance their morality.

c. There are some cultural informational repercussions which help in strengthening a good science through evidence and discovering the truths of some actions and to be logically and intellectually convinced with it.

Résumé:

Il est prouvé que le dialogue est la conversation entre deux personnes, deux groupes, deux catégories de gens, se déroule la parole et la discussion circule d'une façon égalé, dominée par le calme, évité la dispute et l'intolérance.

Parmi les synonymes: la controverse et le débat…et parmi ces mots le spécifique et le générale, ou le dialogue est une expression globale comprend des procédés.

Et le dialogue a sa place légitimé et civilisé a travers le saint coran et les histoires coranique ne sont sans de cet idéal style que tous les prophètes et les apôtres avec leurs gens et les appelés au chemine de Dieu le Tout-Puissant et on a clarifié tous ça avec des exemples.

Le dialogue occupe aussi une plus grande partie dans la vie du prophète (Prier& Paix soit sur lui) et son honoré guide selon la nature du message et ses exigences. Car le prophète à utilisé le style de dialogue et la discussion dans de nombreuse situations éducatives et instructives ou il na pas épargner ni le grand ni le petit, ni l'homme ni la femme, ni le musulmane ni l'aposté comme une méthode pour suivre la juste voie de la vérité, et le retour vers le droit et la réalisation de l'intention.

Et pour achevé la bonne intention d'un dialogue réussi, et pour ce là la tradition prothétique honoré a dessinée une méthode qui a fondée des règles entre les mains du dialoguer et son dialoguant comme des disciplines légales se comporte avec au court de la conversation sont:

- Être sincère dans la poursuite de la vérité et l'admettre (impartialité).
- Abhorré le débat en l'intolérance, et éviter la controverse en disputant.
- Ne pas accusé les bonnes intentions des gens.
- S'intéressé par l'essential on exposant les sujets (susciter l'intérêt).
- Sentir la surveillance du Dieu le Tout-Puissant durant le dialogue.
- Se comporté avec subjectivité et se engagent au réalisme on discutant.

Avec ses éducatifs le dialogue aura des effets solennelle influencera tous les individus et les sociétés et se présentés dans:

a)-Des effets sentimentaux et émotionnels: comme priorité a gagner les cœurs et l'esprit de l'humanité et évoquer la tolérance publié et l'amour et la coexistence aussi remueur les valeurs de la sécurité et la paie.

b)-La force de la conviction, la correction des fautes et alors convertir les gens a aimés l'Islam et correction et raffinement de leurs morales.

c)-Les effets éducatives et connaissables par le soulèvent de la science et ça consolidation et par la découverte des issues faits et ce convaincre logiquement et mentalement par eux.

-« Louange à Allah, Seigneur des Mondes »-

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات الكريمة

ـــــــ مرتّبة حسب ورودها في المصحف ـــــــــــ

السّورة	رقم الآية	الصفحة
الفاتحة		
﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	1	19
﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾	2	19
﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾	3	19
﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾	4	19
﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ... ﴾	7 ــ 6	19...
البقرة		
﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ ... ﴾	33 ــ30	26
﴿ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤٢ ﴾	42	81
﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ۝٨٣ ﴾	83	32
﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ... ﴾	256	109
آل عمران		
﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ ... ﴾	66	102 ــ 94
﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ ... ﴾	144	46
النّساء		
﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ ... ﴾	35	101

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾	59	15
المائدة		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ... ﴾	41	51
﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾	44	51
﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾	47	51
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ... ﴾	67	40
﴿ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ... ﴾	95	101
الأنعام		
﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ ... ﴾	91	93
﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾	103	40
الأعراف		
﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ ... ﴾	32	101
﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ ... ﴾	43	31
﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا ... ﴾	44	31
﴿ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ ... ﴾	46	31
﴿ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	47ـ 49	31
﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ... ﴾	50	31
﴿ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ... ﴾	50 ـ 51	31

﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾	59	97 ــ 95
﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ... ﴾	199	79
التّوبة		
﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ ... ﴾	84	57
﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ ... ﴾	128	36
هود		
﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ ... ﴾	26 ــ 25	27
﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا ... ﴾	27	27
﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي ... ﴾	31 ــ 28	109 ــ 28
﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا ﴾	32	82 ــ 14
﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾	35 ــ 33	28
﴿ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ ﴾	40	29
﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾	42	28
﴿ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴾	43	28
﴿ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي ... ﴾	45	29
﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ ﴾	46	29
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ ﴾	47	29
﴿ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ ... ﴾	51	78
﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا ... ﴾	112	48
يوسف		

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ ... ﴾	39	95
﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ ... ﴾	40	96
إبراهيم		
﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ ... ﴾	24 ــ 26	32
الحجر		
﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ... ﴾	32ــ39	26
النّحل		
﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ... ﴾	125	ب ــ 18ــ 24 ــ 94 ــ 122
﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾	125	13 ــ94
الإسراء		
﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ ... ﴾	53	32
﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ... ﴾	85	50
الكهف		
﴿ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴾	34	22
﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ ... ﴾	37	22
﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ ... ﴾	54	14
﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ ... ﴾	56	14
﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا ... ﴾	65 ــ 70	29
﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ ... ﴾	71	29

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾	72	30 ــ 29
﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾	73	30
﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ ... ﴾	74	30
﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾	75	30
﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا ﴾	78 ــ 77	30
مريم		
﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ ... ﴾	43	103 ــ 85
﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ ... ﴾	45	97
طه		
﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾	44	32
﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾	59	104
﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ... ﴾	73 ــ 72	105
الأنبياء		
﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ ... ﴾	24	22
﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ... ﴾	47	119 ــ 98
﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا ﴾	87	83
الحج		
﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾	8	102
﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾	24	106 ــ 32
المؤمنون		
﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾	32	27

الشعراء		
﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	109	78
النّمل		
﴿ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ... ﴾	64	23
﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ ... ﴾	65	40
القصص		
﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴾	74	23
العنكبوت		
﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾	46	17 ــ 110
﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ... ﴾	61 ــ 63	48
لقمان		
﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ ... ﴾	19	85
الأحزاب		
﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ... ﴾	6	101
سبأ		
﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ ... ﴾	43	23
﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ... ﴾	46	24 ــ 108
الصّافات		
﴿ وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ... ﴾	20 ــ 23	19
وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ... ﴾	24 ــ 25	19
﴿ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ﴾	26	19

﴿ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ... ﴾	27 ــ 28	19
﴿ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ... ﴾	29 ــ 30	20
ص		
﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴾	21	82
﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	26	82
الزمر		
﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ ... ﴾	67	52
غافر		
﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ... ﴾	4	13ــ 14ــ 17
﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ ... ﴾	5	14
الشورى		
﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا ... ﴾	51	40
الزخرف		
﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾	58	14 ــ 101
الجاثية		
﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ ﴾	23	7 7
الحجرات		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾	2	85
﴿ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ ﴾	11	88
﴿ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ ... ﴾	12	131

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

النّجم		
﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾	7	40
﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾	13	40
﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ... ﴾	23 ــ 21	20
﴿ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ... ﴾	25 ــ 24	20
المجادلة		
﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ تَحَاوُرَكُمَآ .. ﴾	1	15 ــ 16ــ 22
القلم		
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ... ﴾	4	ب
نوح		
﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ ... ﴾	1	27
العلق		
﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ... ﴾	3 ــ 1	66

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث والآثار

ـــــ مرتبة ترتيبا ألفبائيا ـــــ

طرف الحديث	الصّفحة
أتدرون ما الغيبة.....	131
أتدرون من المفلس...	132
أتى النبي صلى الله عليه وسلّم فتى من قريش...	70
أتينا النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ونحن شببة...	69
أخبرتني بقول أهل الإفك...	42
أرسل إليّ أبو بكر الصديق...	36
ألا لا يمنعنّ رجلا أن يقول ...	79
أنّ أعرابيا دخل المسجد...	118
أنا زعيم بيت في ربض الجنّة ...	94
أنّ الله تعالى يجعل السموات على أصبع...	52
أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مرّ بالسوق ...	123
أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مات وأبو بكر بالسنح...	45
أنّ فاطمة أرسلت إلى أبي بكر ...	79
أنّ امرأة سألت النبي صلّى الله عليه وسلّم ...	65
أنّ النبي صلّى الله عليه وسّم ركب حمارا...	55
أنّه لمّا بلغته دعوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم...	53 ــ 123
أوّل ما بدئ به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الوحي...	66
إنّ لي مملوكين يكذّبونني ...	97 ــ 119
إنّما أنا ابن امرأة كانت تأكل القدّيد ...	106
إنّما الأعمال بالنيات...	77
إنّما نزل أوّل ما نزل ...	96
إنّ من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ...	128

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إنّي نحلت ابني ...	126
إنّي لأعلم إذا كنت عنّي راضية ...	68
إنّهم يعذّبون في قبورهم ...	110
بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خيلا قبل نجد...	114
بعثنا الرسول صلّى الله عليه وسلّم في سرية ...	87
بينا أنا أمشي ...	50
بينما نحن جلوس عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم...	129
جاءت امرأة إلى الرسول صلّى الله عليه وسلّم...	105
جاء رجل حجّ البيت...	43
جعل الرسول صلّى الله عليه وسلّم على الرجالة ...	61
جاء العاقب والسيّد صاحبا نجران...	53
حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت ...	58
قدم عيينة بن الحصين...	78
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ...	19
قسم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قسما...	126
قال النّساء للنّبي صلّى الله عليه وسلّم...	63
قل يا أبا الوليد أسمع ...	82
قوموا فانحروا ثمّ احلقوا ...	67
غزونا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل نجد...	57
كل ممّا يليك ...	73
كنّا نجلس على باب أبي موسى ...	90
كنت أظنّ النّاس على ضلالة ...	59
كنت أقرئ عبد الرحمن بن عوف...	44
كنت أنا وابن عمر مستندين ...	38
كنت قائما عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ...	49

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كنت متكئا عند عائشة ...	40
كنّا نجلس على باب أبي موسى الأشعري ...	90
لا تغضب...	83
لعلّه نزعه عرق...	127 ــ 92 ــ 22
لقى الرسول صلّى الله عليه وسلّم نفرا من الخزرج...	96
لّما أعطى الرسول صلّى الله عليه وسلّم...	116 ــ 88
لّما خرجت الحرورية...	102
لم يكن النبي صلى الله عليه وسلّم فاحشا...	83
ليس الشديد بالصرعة...	83
ما بال أقوام يشترطون شروطا...	99
ما تقول في الصلاة...	107
ما رأيت معلّما قبله ولا بعده...	118
ما ضلّ قوم بعد هدى أتاهم ...	94
مرّ على النبي صلّى الله عليه وسلّم يهودي محمّما...	50
من دخل دار أبي سفيان...	108 ــ 37
من دعا رجلا بالكفر...	11
نفر من قدر الله إلى قدر الله ...	37
نهينا أن نسأل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ...	58
نعوذ بالله من الحور إلى الكور ...	11
هل تدري ما حق الله على عباده...	120
ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتّق الله...	86
يا أبا عمير ما فعل النّغير ...	72
يا أنيس أذهبت ...	73
يا رسول الله أهلك ولا تعلم إلّا خيرا ...	71
يا معشر النّساء تصدّقن...	125 ــ 64

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المصادر و المراجع

– مرتبة ترتيبا ألفبائيا –

القرآن الكريم

– أ–

– ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان،محمود علي حماية، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1983.

– إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، مكتبة و مطبعة كرباطة فوترا ، أندونيسيا.

– أخطاء في أدب المحادثة و المجالسة، محمد بن إبراهيم، دار ابن خزيمة، الرياض، 1422 ه–.

– الأدب المفرد، البخاري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، البشائر الإسلامية، بيروت الطبعة 3، 1989م.

– أدب البحث و المناظرة، محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

– أدب الحوار و المناظرة، علي جريشة، دار الوفاء، مصر، 1410ه–.

– الأذكار، شرف الدّين النّووي، ت– : محمّد الحجّار، دار البشائر.

– أساس البلاغة، محمود الزّمخشري، ت: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت.

– أساليب التّعامل مع الخصوم في ضوء السنّة النّبويّة، نور الدين بن يربح، رسالة دكتوراه، إشراف: مظفر شاكر الحياني، جامعة بغداد، 1422 ه–.

– أساليب الدّعوة والتّربيّة في السنّة النّبويّة، زياد محمود العاني، دار الكتب و الوثائق، بغداد، 2001م.

– أساليب الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في الدّعوة والتّربيّة، صندوق التّكافل لرعاية أسر الشّهداء والأسرى.

– أصول التّربيّة الإسلاميّة و أساليبها، عبد الرحمن النّحلاوي، دار الفكر، سوريا، 1403ه–.

– أصول الدّعوة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1407ه–.

– أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمّد الأمين الشّنقيطي، دار الفكر، 1415ه–.

- الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، 1986م.

- إعلام الموقّعين عن ربّ العالمين، ابن القيم الجوزية، ت: طه عبد الرؤوف، دار الجيل، بيروت، الطبعة 2، 1408ه-.

- إغاثة اللّهفان في حكم طلاق الغضبان، ابن القيم الجوزية، ت: محمّد عفيفي، المكتب الإسلاميّ، بيروت، مكتبة فرقد الخاني، الرياض، 1408ه-.

- الإقناع الاجتماعيّ، عامر مصباح، ديوان المطبوعات الجامعية، بني عكنون، 2005.

- ب -

- البداية و النّهاية، ابن كثير، اعتنى به: عبد الرّحمن اللاذقي، محمّد غازي بيضون، دار المعرفة، بيروت، الطبعة 10، 1428ه-.

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السّابع، محمّد علي الشّوكاني، ت: خليل المنصور، دار الكتب العلميّة، الطبعة 1، 1418ه-.

- ت -

- التّاج المكلّل، صديق بن حسن، البخاري القنوجي، مكتبة دار السّلام، الرّياض، الطبعة1، 1995م.

- تاج العروس من جواهر القّاموس، سيّد مرتضى الزّبيدي، ت: عبد المنعم إبراهيم، كريم محمود، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1427ه-.

- تاريخ الجدل، محمّد أبو زهرة، دار الفكر العربي، 1400ه-.

- تحفة الأحوذي شرح سنن التّرمذي، المباركفوري، دار الكتب العلميّة، بيروت.

- التّحرير و التّنوير، الطّاهر بن عاشور، الدّار التّونسيّة، تونس، 1404 ه-.

- التّربيّة الاجتماعيّة الإسلاميّة،علي عبد الحليم محمود، دار التّوزيع و النّشر الإسلاميّة، القاهرة، 1422 ه-.

- التّربيّة الإسلاميّة، سعدون محمود السّاموك، هدى علي جواد الشمرّي، الورّاق، عمّان، الطّبعة 1، 2003م.

- التّربيّة بالحوار، عبد الرّحمن النّحلاوي، دار الفكر، دمشق، الطّبعة 1، 1421ه-.

- التّربيّة البيئيّة في ضوء السنّة النّبويّة، رفعت محمّد مزيد، دار العلم و الإيمان، الطّبعة 1، 2008م.

- التّربيّة و دورها في تشكيل السّلوك، مصطفى الطحّان، دار المعرفة، بيروت، 1427ه-.

- التّعريفات، علي الجرجاني، ت: محمّد عبد الحكيم القاضي، دار الكتب العلميّة، بيروت.

- تفسير البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي، دار الفكر، بيروت.

- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ت: محمّد ناصر الدّين الألباني، مكتبة الصّفا، القاهرة، 1425ه-.

- التّفسير الكبير، فخر الدّين الرّازي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421ه-.

- التّفسير و المفسّرون، محمّد حسين الذّهبي، الطّبعة 2، 1976م.

- التّمهيد لما في الموطّأ من المعاني و المسانيد، ابن عبد البرّ، ت: مصطفى بن أحمد العلوي، وزارة عموم الأوقاف و الشّؤون الإسلاميّة، المغرب، 1378ه-.

- تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان، عبد الرّحمن ناصر السّعدي، مؤسّسة الرسالة، 1423ه-.

- التّيسير و رفع الحرج و أثره في الدّعوة، جمال عبد الستّار، مجلّة قوليّة، كليّة الدّعوة الإسلاميّة، القاهرة، العدد 16.

- توضيح الكافية الشافية، عبد الرّحمن ناصر السّعدي، ت: شرف بن عبد المقصود، أضواء السّلف، الرّياض، 1420ه-.

- التّوقيف على مهمّات التّعاريف، عبد الرّحمن المناوي، ت: محمد رضوان الدّاية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، سوريا، 1410ه-.

- ثقافة الحوار في الإسلام، محمّد الكتّاني، منشورات الأوقاف الإسلاميّة، المغرب، 1428ه-.

- ج -

- جامع البيان في تفسير القرآن، محمّد بن جرير الطّبري، ت: أحمد شاكر، مؤسّسة الرّسالة 1428ه-.

- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، ت: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرّياض، 2003م.

- الجدل عند الأصوليين، مسعود فلوسي، مكتبة الرّشد، 1424 ه-.

- جزء فيه فوائد حديث أبي عمير، أحمد بن أبي أحمد المطيري، اعتنى به: حسين محمّد علي شكري، دار المدينة المنورة، 1424 ه-.

- الجواهر الدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني، الشّوكاني، دار الكتاب، بيروت، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1406ه-.

- ح -

- الحوار، أصوله المنهجيّة وآدابه السلوكية، أحمد بن عبد الرّحمن الصّويان، دار الوطن، ط1، 1423 ه-.

- الحوار آدابه و ضوابطه في ضوء الكتاب و السنّة، يحي محمد زمزمي، دار التربية، مكة.

- الحوار التّربوي في السنّة النّبويّة ودلالاته التّربويّة، محمّد أحمد عقلة الزبون، جامعة البلقاء التّطبيقيّة، كليّة عجلون الجامعيّة، 2006 م.

- الحوار في السّيرة النّبويّة، السيّد علي الخضر، رابطة العالم الإسلاميّ.

- الحوار في السّيرة النّبويّة، محمّد إبراهيم الحمد، جامعة القصيم، 1429 ه-.

- الحوار في القرآن، حسين فضل الله، دار المنصوري، الجزائر، دار المعرف، بيروت.

- الحوار لغة القرآن و السنّة، أحمد الوقفي، دار الفكر، القاهرة، 1993م.

- د -

- درء تعارض العقل و النقل، تقيّ الدّين ابن تيمية، ت: محمّد رشاد سالم، جامعة الإمام أحمد بن سعود الإسلاميّة، 1401ه-.

- الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، ضبطه و صحّحه: عبد الوارث محمّد علي، دار الكتب، بيروت، الطبعة 1، 1418ه-.

- دلائل النّبوّة، البيهقي، ت: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، 1408 ه-.

- ذ -

- ذكر أسماء التّابعين و من بعدهم، علي الدّارقطني، مؤسّسة الرّسالة العلميّة، بيروت، الطّبعة 1، 1411 ه-.

- ر -

- رجال الفّكر والدّعوة في الإسلام، أبو الحسن النّدوي، دار ابن كثير، بيروت، الطّبعة 1، 1420ه-.

- الرّد على المخالف من أصول الإسلام ومراتب الجهاد، بكر أبو زيد، دار العاصمة، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1414ه-.

- رفع الأصر عن قضاة مصر، ابن حجر العسقلاني، ت: علي محمّد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة1، 1418ه-.

- الرّوض الأنف في تفسير السّيرة النّبويّة لابن هشام، أبو القاسم الخثعمي، دار الفكر، بيروت، 1972م.

- س -

- السّلسلة الصّحيحة، محمّد ناصر الدّين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1416 ه-/1996م.

- سنن أبي داود، أبو داود، ت: محي الدّين عبد الحميد، دار الفكر.

- سنن ابن ماجه، ابن ماجه، ت: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر.

- سنن التّرمذي، أبو عسيى التّرمذي، ت: إبراهيم عطوة عوض، أحمد محمّد شاكر، محمّد فؤاد عبد الباقي، الطبعة2، 1395ه-.

- سنن الدّارمي، عبد الله أبو أحمد الدارمي، ت: فؤاد أحمد زمرلي، خالد السّبع العلمي، الطبعة 1، 1407ه-.

- السّنن الكبرى، أبو بكر البّيهقي، ت: محمّد عبد القادر عطا، الطّبعة 3، 1424 ه-.

- سنن النّسائي، أحمد بن شعيب النّسائي، ت: حسن عبد المنعم شلبي، الرّسالة.

- سير أعلام النّبلاء، شمس الدّين الذّهبي، ت: محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة1، 2006م.

- ش-

- شجرة النّور الزّكيّة في طبقات المالكيّة، محمّد بن محمّد بن مخلوف، دار الفكر.

- شذرات الذّهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، دار الكتب العلميّة، بيروت.

- شرح سنن ابن ماجه، السّيوطي وآخرون، قديمي كتب خانة، كراتشي.

- شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النّشر، الرّياض، 1423ه-.

- شرح المسند للإمام أحمد، أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، الطّبعة 1، 1995م.

- ص-

- صحيح البخاري، البخاري، ت: مصطفى ديب البغا، دار بن كثير، اليمامة، بيروت، الطّبعة 3، 1407ه-.

- صحيح سنن أبي داود، ناصر الدّين الألباني، مكتبة المعارف، الرّياض، ط1، 1419ه-.

- صحيح سنن ابن ماجه، ناصر الدّين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1417ه-.

- صحيح سنن التّرمذي، ناصر الدّين الألباني، مكتبة المعارف، الرّياض، ط1، 1420ه-.

- صحيح مسلم، مسلم، ت :محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت.

- صحيح مسلم بشرح النّووي، النّووي، ت: محمّد بن عبد الحكيم، مكتبة صفا، القاهرة، 1424ه-.

- الصّواعق المرسلة على الجمعيّة المعطّلة، ابن القيم الجوزية، ت: علي الدخيل، مؤسسة قرطبة، مكتبة أولاد الشيخ، الجزيرة، 1412ه-.

- الصّورة والإقناع، محمود شمال حسين، دار الآفاق العربية، الطبعة 1، 2006م.

- ض-

- الضّوء المنير على التّفسير، علي الحمد الصالحي، مؤسّسة النّور، مكتبة دارالإسلام.

- ضوابط الحوار في الدّعوة الإسلاميّة، فرحات محبوب، رسالة ماجستير، إشراف: عمر لعويرة، 1420ه-.

- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرّحمن حبنّكة الميداني، دار القلم، 1426ه-.

- ط-

- طبقات الشّافعيّة، عبد الرّحمن الأسنوي، ت: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلميّة، الطّبعة1، 1418ه-.

-ع-

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدّين العيني، إدارة الطباعة المنيريّة.

-غ-

- غريب الحديث، ابن الجوزي، ت: عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطّبعة1، 1985م.

- غريب الحديث، ابن قتيبة، ت: عبد الله الجبّوري، مطبعة العاني، بغداد، الطّبعة1، 1397ه-.

- غريب الحديث، محمّود الزّمخشري، ت: علي محمّد البخاري، محمّد أبو الفضل إبـــراهيم، دار المعرفة، لبنان، الطّبعة2.

- ف-

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ت: عبد الرّحمن البرّاك، اعتنى به: أبو قتيبة الغريابي، دارطيبة، الرياض، 1426ه-.

- فقه الحوار في ضوء السنّة النّبويّة، أحمد عبده عوض، ألفا، مصر، الطبعة1، 1429ه-.

- فقه الحوار، فيصل الحاشري، دار الإيمان، مصر.

- فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنّة النّبويّة، عبد الله الموصـــلي، الـــدّار الأثريّـــة، عمـــان، 1428ه-.

- فقه الدّعوة في صحيح البخاري، علي بن ســـعيد القّحطـــاني، وزارة الشّـــؤون الإســـلاميّة السّعوديّة، 1421ه-.

- فقه السّيرة، محمّد الغزالي، خرّج أحاديث الكتاب : ناصر الدّين الألباني، دار الكتب الحديثـــة، ط6، 1995 م.

- فلسفة التّربية الإسلامية في الحديث الشّريف، عبد الجواد بكر، ت: عبد الغني عبود، دار الفكر العربي.

- في فقه الحوار، سعد الدين العثماني، منشورات الفرقان، ط1993،1.

- فقه الدّعوة، حبنّكة الميداني، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1996.

- ق-

- القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادي، دار الفكر، بيروت.

- القيم الإسلاميّة والتّربيّة، علي أبو العينين، مكتبة إبراهيم الحلبي، المدينة المنـــورة، الطّبعـــة1، 1408ه-.

- ك-

- الكافية في الجدل، الجويني، ت: فوقية حسين محمود، مكتبة الكليّـــات الأزهريـــة، القـــاهرة، 1399ه-.

- الكشّاف عن حقائق وغوامض التّنزيل، الزّمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407ه-.

- كيف تحاور، طارق بن علي الحبيب، مؤسّسة الجريسي للتوزيع والإعلام، الرياض، ط14، 1426ه-.

- ل-

- لسان العرب، ابن منظور، ت: عامر حيدر، راجعه، عبد المنعم خليل إبراهيم.

- م-

- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ت: أنور الباز، عامر الجزّار، دار الوفاء، 1426ه-.
- مختصر تاريخ ابن عساكر، ابن منظور، ت: وفاء تقي الدّين، الطّبعة 1، 1410ه-.
- محمّد صلّى الله عليه وسلّم إنسان كامل، الحسيني، دار الشروق، جدّة، ط4، 1987.
- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن المباركفوري، إدارة البحوث العلميّة والدّعوة والإفتاء، الهند، 1404ه-.
- المستفاد من قصص القرآن للدّعوة والدّعاة، عبد الكريم زيدان، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1421ه-
- مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، دار الأفكار الدّولية، الرياض، 1419ه-.
- المصباح المنير في تهذيب تفسير بن كثير، جماعة من العلماء، إشراف صفيّ الرّحمن المباركفوري، دار السّلام للنّشر والتّوزيع، الرّياض، ط2، 1421ه-.
- المصنّف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن شيبة، ت: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرّياض، الطبعة1، 1409ه-.
- مضامين الحوار في القرآن الكريم، عبد الله حجيرة، رسالة ماجستير، جامعة الحاجّ لخضر، باتنة، الجزائر، 2003.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة1، 1411ه-.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التّراث العربي.
- معجم المفسّرين من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر، عادل نويهض، قدّم له، حسن خالد، مؤسّسة نويهض، الطّبعة 1، 1403ه-.
- معجم مقاييس اللّغة، ابن فارس، ت: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، 1399ه-.
- المفردات في غريب القرآن، الرّاغب الأصبهاني، ضبطه: محمّد عتاني، دار المعرفة، بيروت، 1418ه-.

- مفهوم الحكمة في الدّعوة إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنّة، صالح بن عبد الله بن حميد، دار الوطن، الطّبعة1، 1414ه-.
- مقالات في السّياسة الشّرعيّة، ترجمة وتحرير : فهد الحمّودي، الشّبكة العربيّة للأبحاث والنّشر، بيروت، ط1، 2014.
- مقوّمات الدّاعيّة النّاجح، علي بادحدح، مؤسّسة الرّسالة، الرياض.
- الموافقات، أبو إسحاق الشّاطبي، ت: أبو عبيدة مشهور، دار بن عفّان، 1417ه-.
- موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس، ت: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التّراث العربي.

- ن -

- نظرية التّربية في القرآن وتطبيقاته في عهد الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، أمينة أحمد حسين، دار المعارف، القاهرة، الطّبعة1، 1985م.
- نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدّين البقاعي، خرّج أحاديثه : عبد الرزّاق المهدي، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1425ه-.
- النّهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ت :علي الحلبي، دار ابن الجوزي، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1،1421ه-.

- و -

- الواضح في أصول الفقه، أبو الوفاء ابن عقيل، ت: عبد الله بن عبد المحسن التّركي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، ابن خلكان، دار صادر، بيروت.
- وقفات تربويّة في ضوء القرآن الكريم، عبد العزيز الجليل، دار طيبة، الرّياض، 1418ه-.

مصادر الإنترنيت :

- الموسوعة الحرّة : ويكيبيديا.
- فقه التعامل مع الأخطاء على ضوء منهج السّلف، عبد الرحمن المدخلي، موقع صيد الفوائد.

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة
المقدّمة..... أ

الفصل التّمهيدي

المبحث الأول: مفهوم الحوار..... **11**
المبحث الثاني: أنواع الحوار..... **17**
المبحث الثالث: القيمة الحوارية للحوار في القرآن الكريم **22**

الفصل الأول : مظاهر الحوار في السنّة النّبويّة

المبحث الأول : الحوار مع المسلم المخالف..... **35**
المطلب الأول : الحوار بين العلماء 36
المطلب الثاني : الحوار في مجال التّعلّم 38
المطلب الثالث : الحوار مع العوام 41
المطلب الرابع: الحوار في الفتن والنّوازل 42
المطلب الخامس : الحوار في باب السياسة الشرعيّة 44
المبحث الثاني : الحوار مع المسلم غير المخالف **48**
المطلب الأول : الحوار مع اليهود 48
المطلب الثاني : الحوار مع النّصارى 53
المطلب الثالث : الحوار مع المنافقين 55
المطلب الرابع : الحوار مع المشركين 57
المبحث الثالث الحوار مع المسلم غير المخالف **63**
المطلب الأول : الحوار مع النساء عموما 63
المطلب الثاني : الحوار مع أمّهات المؤمنين 66
المطلب الثالث : الحوار مع الشّباب 69
المطلب الرابع : الحوار النّبوي مع الأطفال 72

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني : آداب وضوابط الحوار في السنّة النّبويّة

المبحث الأول : الآداب النّفسيّة للحوار **77**
المطلب الأول : التّجرّد في طلب الحقّ 77
المطلب الثاني : مراقبة النّفس أثناء الحوار..... 81
المطلب الثالث : عدم اتّهام النّيّات 86
المبحث الثاني : الآداب العلميّة للحوار **92**
المطلب الأول : الحذر من الجدال 92
المطلب الثاني : البدء بالأهمّ في عرض الموضوعات 95
المطلب الثالث : الالتزام بالموضوعيّة أثناء الحوار 99
المبحث الثالث : آداب متعلّقة بجوّ الحوار **104**
المطلب الأول : ملاءمة المكان 104
المطلب الثاني : ملاءمة الزّمان 105
المطلب الثالث : ملاءمة الموضوع وطريقة طرحه 106

الفصل الثالث : الأثر التّربويّ للحوار في ضوء السنّة النّبويّة

المبحث الأول : الآثار الوجدانيّة والعاطفيّة..... **114**
المطلب الأول : محبّة الرسول صلّى الله عليه وسلّم 114
المطلب الثاني : كسب القلوب وتغليب الروح الإنسانية على العاطفيّة 115
المطلب الثالث : نشر الحبّة بين النّاس 118
المطلب الرابع : إشاعة الأمن والرّاحة والطمأنينة 119
المبحث الثاني: الحوار في الإقناع وتصويب الخطأ **122**
المطلب الأول : الدّخول في الإسلام 123
المطلب الثاني : التّقليل من شأن الدّنيا 124
المطلب الثالث : تهذيب الأخلاق والرّجوع عن المعصيّة 124
المطلب الرابع : التّجاوب والعطاء 125
المطلب الخامس : تصويب الخطأ 126
المبحث الثالث : الآثار المعرفيّة التّوضيحيّة **128**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول : ترسيخ العلم والإيمان 128
المطلب الثاني : كشف الحقائق عن كثير من المسائل 129
المطلب الثالث : ترسيخ المعاني الربانيّة في النّفوس 131
الخاتمة 135
ملخّص البحث بالعربيّة 137
ملخّص البحث بالإنجليزيّة 139
ملخص البحث بالفرنسية 140
فهرس الآيات القرآنيّة 142
فهرس الأحاديث والآثار 150
فهرس المصادر والمراجع 153
فهرس الموضوعات 163

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية